مطارحات في العقيدة

المعاد

رؤية قرآنيّة

المرجع الديني

السيد كمال الحيدري دام ظله

الجزء الثاني

بقلم

الشيخ خليل رزق

مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام
للفكر والثقافة

الكاظميّة المقدسة ـ باب الدروازة

١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

يطلب من

- مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام للفكر والثقافة؛ بغداد
  ٠٠٩٦٤ـ٧٧٠٧٩٠٠٨٤٢
  ٠٠٩٦٤ـ٧٨٠٠٢٣٠٠٢٩
- مؤسسة الثقلين للثقافة والإعلام؛ كربلاء
  ٠٠٩٦٤ـ٧٨٠١٤٢١١٩٤
- معرض الكتاب الدائم؛ النجف الأشرف
  ٠٠٩٦٤ـ٧٧١١٦٤١٦٦٩
- مكتبة زين العابدين؛ البصرة ـ الطويسة
  ٠٠٩٦٤ـ٧٧٠٦٠٧٢٢٧١
- مكتبة دار الأمير؛ الناصريّة ـ الحبوبي
  ٠٠٩٦٤ـ٧٨٠٣٠٩٨٤٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المبحث السادس عشر

شهداء الأعمال في الآخرة

- المراد من شهداء الأعمال
- من هم شهداء الأعمال ؟
- الشهداء من غير الأنبياء والرُّسل
- صفات الشهيد والشهادة
- زمان عرض الأعمال
- علم الإمام عليه السلام بأعمال الخلائق
- الآثار المترتّبة على شهادة الأعمال
- الشهيد على الشهداء
- الأمّة الوسط وشهادة الأئمّة عليهم السلام

المراد من شهداء الأعمال

بحسب الاستعمال المتداول هناك استعمالان لمفردة الشهيد:

الأوّل: هو المتعارف بين المسلمين والمؤمنين حيث يُراد من «الشهيد» المقتول في سبيل الله تعالى، وهو اصطلاح روائيّ ووارد في كلمات العلماء، وكذلك هو استعمال فقهيّ ضمن الشرائط الموجودة في كتاب الجهاد في الرسائل العمليّة والكتب الفقهيّة، فضلاً عمّا ورد في القرآن الكريم في هذا المجال.

الثاني: هو الاصطلاح الكلامي وأيضاً القرآني، وهو أن يُطلق الشهيد ويُراد منه الشاهد كما في كتاب القضاء حيث تُطلب البيِّنة على مَن ادّعى واليمين على مَن أنكر، ومن البيِّنة الشهود، فيأتي الشاهد ليشهد.

والقرآن الكريم عندما يستعمل مصطلح الشهيد والشهداء والإشهاد وما يناظرها فإنّه يريد المصطلح الثاني.

والمراد من هؤلاء أولئك النفر أو الموجودات التي تشهد على أعمال الخلائق يوم القيامة حين تقوم المحكمة الإلهيّة ويؤتى بصحيفة الأعمال للإنسان، فهنا يؤتى بالشهود والشهداء والأشهاد ليشهدوا على ما في صحيفة أعمال الإنسان.

وليس المراد بها أعمال الخلائق الأعمال الظاهريّة كالصلاة والصوم وغيرهما، وإنّما الأعمّ منها ومن الأعمال الجوانحيّة القلبيّة والاعتقادات.

ودور الشهود أن يشهدوا على الإنسان إن كان مؤمناً بالله تعالى حقيقةً،

أو أنّه كان يتظاهر بالإيمان وهو منافق، وبهذا يختلف الشاهد يوم القيامة عن الشاهد في القضاء الذي يشهد على الأمور الظاهريّة فقط.

«والشهادة على الشيء هي تلقّيه بالحضور والرؤية، ويسمّى تحمّلها وحكايتها كلاهما شهادة، ومن المعلوم أنّ الشهادة على الأعمال ليست على مجرّد صورها الظاهرة، بل على ما هي عليها من الطاعة والعصيان والسعادة والشقاوة؛ إذ هو قضيّة القضاوة وسيّما من أحكم الحاكمين.

وهذه الأوصاف غير ممكنة الإحراز إلاّ بارتباط الشاهد على محتد هذه الأعمال من الضمائر والسرائر وخصوصيّات الأعمال من الإرادات والقصود. فالشهادة يومئذ ـ على أنّها تشريف للشاهد بالإذن في كلامه كما قال سبحانه: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (هود: ١٠٥) ـ إنّما يختصّ بها مَن أتاه الله سبحانه هذه الكرامة في الدُّنيا وهي الوقوف على حقائق الأعمال ومحتدها من الضمائر والسرائر؛ قال سبحانه: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: ٣٨) والصواب خلاف الخطأ، وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦). فالشهادة يومئذ إنّما تتحقّق ممّن حفظ أعمال العاملين على حقيقتها من غير خطأ وعوج»[1].

مَن هم شهداء الأعمال؟

أشار القرآن الكريم إلى أنّ الشهداء يوم القيامة على عدّة أنواع:

• قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هود: ١٨).

---

(١) **الرسائل التوحيديّة**، محمّد حسين الطباطبائي، المؤسسة العلمية والفكرية للسيد الطباطبائي، قم، ١٩٨٦ م: ج ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

وفقاً لهذه الآية فإنّ الشهود متعدّدون وكلّهم يشهدون على حقيقة واحدة ولا يختلفون، وكذلك لا يخطئون، وإلاّ لاختلفت الشهادات.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ (غافر: ٥١).

فالله تعالى وعد بأن ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدُّنيا، وكذلك ينصرهم يوم يقوم الأشهاد، وهم الذين يشهدون على أعمال الخلائق يوم القيامة، وهذا يكشف عن الدور والأهمّية لهؤلاء إلى درجة أنّ يوم القيامة يُنسب إليهم: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ .

أمّا عن السؤال: مَن هم الأشهاد ؟ فقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع متعدّدة لا يمكن استعراضهم جميعاً، ولكن لابدّ أن يُعلم أنّ الزمان يشهد على الإنسان، وكذلك المكان، والأرض .... .

يقول العلاّمة الطباطبائي: «واعلم أنّ الشهادة على الأعمال ـ على ما يفيده كلامه تعالى ـ لا يختصّ بالشهداء من الناس، بل كلّ ما له تعلّق ما بالعمل، كالملائكة والزمان والمكان والكتاب والجوارح والحواسّ والقلب، فله فيه شهادة»[١] .

فإذن: الزمان، والمكان، والكتاب، والجوارح، والقلب، واللسان، والملائكة... كلّها من شهداء الأعمال يوم القيامة على الإنسان.

وهنا نشير إلى عدّة مصاديق من هؤلاء الأشهاد من الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم مفصّلاً وهم:

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن** محمّد حسين الطباطبائي (ت: ١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، مصوّر عن طبعة مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م: ج ١ ص ٣٢٣.

١ ـ **الأرض**؛ قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ١ ـ ٤).

وكيفيّة شهادتها أن تنطق يوم القيامة وتقول: فلان من الناس في اليوم الكذائي، وفي الساعة الكذائيّة.. قام بطاعة معيّنة لربّه، مثل الصلاة، أو أنّه عصى ربّه ...، ولهذا نجد أولياء الله تعالى وأهل المعرفة عندما يدخلون إلى البقاع والأماكن المقدّسة إذا أرادوا الصلاة والقيام ببعض العبادات ينتقلون من مكان إلى مكان، ولا يجلسون في مكان واحد؛ لأنّهم يعلمون أنّ هذه الأماكن والبقاع من الأرض سوف تشهد لصالحهم، وبعض الأماكن لها امتيازات خاصّه كالمساجد وحرم الأئمّة المعصومين.

٢ـ **الجوارح**؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (يس: ٦٥).

اليد والرجل والأفواه لها شهادتها يوم القيامة، وهي ليست مأمورة للإنسان، بل أمرها بيد خالقها، ولذا يعترض الإنسان على الأعضاء والحواسّ بسبب شهادتها عليه كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (فصّلت: ١٩ـ ٢١).

وسياق الآيات أنّها واردة في أهل النار، فشهادة الجوارح مخصوصة بهم، وهي من الشواهد على شمول خطابات الفروع لغير المؤمنين.

فكلّ شيء ينطق ليشهد، ولا يمكن لأحد أن يشهد وهو لا يعلم، أو لا يسمع، أو لا يبصر، وأداء الشهادة فرع تحمّل الشهادة.

فمن أراد أن يشهد على فلان أنّه فعل كذا، وعمل كذا من الطاعة أو

المعصية، لابدّ أن يوجد عنده علم وسمع وإدراك ورؤية و... وفي عالم الدُّنيا صحيح أنّ كثيراً من الأمور لا تنطق، ولكنّها في الآخرة تنطق وتشهد وإن كان نطقها من نوع آخر.

وفي تفسيره للآية المتقدّمة من سورة السجدة يقول الطباطبائي: «وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ (فصّلت: ٢١) جوابها لهم وقد عدلوا عن الشهادة إلى النطق ثمّ إلى الإنطاق إشعاراً بأنّ الأمر إلى الله، لا إليهم، فلا وجه لعتابهم لهم بوضعهم موضع المستقلّ التامّ الاختيار في أمرهم بعدما كان نطق كلّ شيء منه سبحانه وليس لشيء من الأمر شيء، ولذا أردف ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾. فالبدو والعود كلاهما له سبحانه، وهو القائم على كلّ نفس، فليس سبحانه غائباً عن شيء، بل هو الرقيب وإنّما يرقب الشيء بالشيء، ويحتجب بالشيء عن الشيء، ولذا أردفه سبحانه بقوله: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾ كأنّه يقول ما كنتم تحتجبون عن شهادة الجوارح لا لأنّكم لا تحذرون منها ومن نتيجة شهادتها ولكن ظننتم استقلال الأشياء وغيبة الحقّ سبحانه عنها وأنّ كلّ واحد منها منفصل عن الحقّ ليس مرصاداً له سبحانه وأنّه على كلّ شيء شهيد وأنّ كلّ ما يحضر عند شيء أو يعلمه شيء فهو حاضر عنده بعينه معلوم له بعينه، وذلك ظنّكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين، فافهم»[١].

وفي كيفيّة شهادة الجوارح أقوال أخرى لا تخلو من تكلّف:

أحدها: أنّ الله يبنيها ببنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة.

---

(١) **الرسائل التوحيديّة**، محمّد حسين الطباطبائي، مصدر سابق: ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

الثاني: أنّ الله تعالى يفعل فيها كلاماً يتضمّن الشهادة فيكون المتكلِّم هو الله تعالى دون الجوارح، وأضيف إليها الكلام على التوسّع لأنّها محلّ الكلام.

الثالث: أنّ الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة، ويظهر فيها أمارات دالّة على كون أصحابها مستحقّين للنار، فسمّي ذلك شهادة مجازاً كما يُقال: عيناك تشهدان بسهرك، وأمّا شهادة الألسن فبأن يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنّه لا ينفعهم الجحود[1].

٣ ـ **الملائكة**؛ قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨).

وإنّما ذكر القول في الآية من باب أنّه أبرز الأعمال، فالرقيب العتيد يكون على القول وكذلك على العمل.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١٠ـ١١).

والكتابة كما تشتمل على الأعمال كذلك النوايا، فالنيّة الصالحة لها رائحة طيّبة، والنيّة السيّئة لها رائحة كريهة كما في رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله مضمونها أن للذنوب روائح، فينبغي التعطّر بالاستغفار.

ومحلّ الشاهد هنا هو شهادة الملائكة كما في الآيات المتقدِّمة بحسب ما ذكر ذلك المفسِّرون، ومن الشواهد الروائيّة:

- في تفسير القمّي في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «فإنّها نزلت في قوم يعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون: ما عملنا منها شيئاً، فيشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم.

---

(١) **مجمع البيان في تفسير القرآن**، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت: ج٤ ص ٢١١.

فقال الصادق عليه السلام: **فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئاً..»**(١).

٤ ـ **الناس**؛ وهذه الشهادة هي الأهمّ في هذا البحث، ومن هنا لابدّ من التفصيل فيها، لأنّ هذه الشهادة وردت في عشرات الآيات من الكتاب الكريم.

يقول السيّد الطباطبائي: «وآيات الشهادة من معضلات آيات القيامة على ما في جميع آيات القيامة من الإعضال وصعوبة المنال... ومن الواجب قبل الورود في بحث الشهادة وسائر الأمور التي تصفها الآيات ليوم القيامة كالجمع والوقوف والسؤال والميزان والحساب أن يُعلم أنّه تعالى يعدّ في كلامه هذه الأمور في عِداد الحجج التي تُقام يوم القيامة على الإنسان لتثبيت ما عمله من خير أو شرّ، والقضاء عليه بما ثبت بالحجّة القاطعة للعذر، والمنيرة للحقّ، ثمّ المجازاة بما يستوجبه القضاء من سعادة أو شقاء أو جنّة أو نار»(٢).

قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ (الزمر: ٦٩)، فبقرينة عطف الشهداء على النبيِّين نصل إلى أمرين:

الأوّل: أنّ هؤلاء الشهداء من سنخ البشر.

الثاني: أنّ العطف يدلّ على المغايرة، فليس من الضروري أنّ هؤلاء الشهداء يكونون أنبياء، فقد يكونون من الأنبياء وقد لا يكونون، وإذا كان كلّ الشهداء من البشر هم أنبياء فإنّ هذا العطف يكون في غير محلّه.

---

(١) **تفسير القمّي**، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (من أعلام القرنين ٣ و ٤ هـ)، منشورات مكتبة الهدى، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ: ج ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٣٢٢.

والقرآن يثبت في الكثير من آياته أنّ الشهداء الذين هم من البشر متعدّدون وليس الشاهد واحداً، هذا أوّلاً.

وثانياً: إنّ لكلّ أمّة شهيداً كما قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ (النحل: ٨٤)، وهذا البعث غير بعث يوم القيامة، بل بعث في البعث، فكلّ أمّة لها حشرها الخاصّ، وهذا الشخص الشاهد يشهد عليهم ويحضر معهم. فمن هو هذا الشاهد ؟

يشير القرآن الكريم بشكل صريح إلى أنّه إذا كان في أمّة نبيّ فيكون هو الشهيد والشاهد على أعمال تلك الأمّة ما دام نبيّهم ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧).

والقيد الأخير ﴿ مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إشارة إلى أنّ الشهداء لهم مقامات مختلفة، فهناك مقام لشهيد من الأمّة وهو أنّه شاهد عليهم ما دام فيهم، وهذا هو حال جميع الأنبياء، ولكن هناك استثناء خاصّ للنبيّ الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله الذي لا يوجد له مثل هذا القيد. وتفصيل الكلام حول هذه المسألة سوف نتعرّض له في طيّات هذه الأبحاث.

والشواهد الروائيّة تثبت كون الأنبياء والرسل هم الشهداء، منها:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة يوم القيامة: «**يجتمعون في مواطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلّم أحد إلاّ من أذِنَ له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسل فيسأل، فذلك قوله لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (النحل: ٨٩)**».[1]

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٣٢٢.

فشهادة الأنبياء صلوات الله عليهم أمرٌ ثابت لا ريبَ فيه، ولكن إذا لم يكن في الأمّة نبيّ فهل يوجد شهيد على الأعمال؟

الشهداء من غير الأنبياء والرسل

قال الله تعالى في الآية (٨٤) من سورة النحل: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾، وفي نفس السورة في الآية (٨٩) قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ .

وهناك مائز بين الآيتين وهو أنّه في الآية (٨٩) أضاف إلى المقطع الأوّل والوارد في الآية (٨٤) قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وقد اتّفقت كلمات المفسّرين من الشيعة والسنّة على أنّ كلّ نبيّ شاهد على أمّته، وأيضاً في كلّ جمع وقرن من القرون لابدّ أن يكون هناك شهيد عليهم، والشهيد في عصر الرسالة هو النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي كلّ زمان بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وآله هناك شهيد ليس بنبيّ، وهذا ما ذكره الفخر الرازي حيث قال: «وثبت أيضاً أنّه لابدّ في كلّ زمان بعد زمان الرسول من الشهيد، فحصل من هذا أنّ عصراً من الأعصار لا يخلو من شهيد على الناس، وذلك الشهيد لابدّ وأن يكون غير جائز الخطأ، وإلا لافتقر إلى شهيد آخر ويمتدّ ذلك إلى غير النهاية، و ذلك باطل».[1]

وهذه هي نفس النظريّة التي يتبنّاها الشيعة الإماميّة التي تعتقد بأنّه لا يخلو زمان أو عصر من شاهد على الأمّة، وإن اختلفوا في بيان المصداق.

قال الطبرسي: «وفي قوله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾: أي من أمثالهم من البشر، ويجوز أن يكون ذلك الشهيد نبيّهم

---

(١) التفسير الكبير، للرازي: ج ٢٠ ص ٢٥٧.

الذي أُرسل إليهم، أو يجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي، وفي هذا دلالة على أنّ كلّ عصر لا يجوز أن يخلو ممّن يكون قوله حجّة على أهل عصره، وهو عدل عند الله تعالى، وهو قول الجبائيّ وأكثر أهل العدل، وهذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا وإن خالفوهم في أنّ ذلك العدل والحجّة مَن هو؟»(١).

وفي كلام الطبرسي إشارة مهمّة إلى حقيقة هؤلاء الشهود وصفاتهم وليس كما يظنّ البعض أنّ الأمّة الإسلاميّة بجميع أفرادها تصلح لهذا المقام كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام عن هذا الاشتباه الخاطئ حيث قال في تفسير هذه الآية: «**فإنْ ظننت بأنّ الله تعالى عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحِّدين، أَفَتَرى أنّ من لا تجوز شهادته في الدُّنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاّ، لم يَعْنِ الله مثلَ هذا من خَلْقِهِ**»(٢).

صفات الشهيد والشهادة

بعد أن ثبت لنا من آيات القرآن الكريم وجود الشهداء على الأعمال يوم القيامة فلنا هنا أن نسأل عن صفات هؤلاء الشهداء، والمؤهّلات التي تؤهّلهم لكي يكونوا في مقام الشهادة، والشروط التي ينبغي توفّرها فيهم.

إنّ البحث عن شهادة الأرض والملائكة والزمان ... يحتاج إلى بحث

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٨٦.

(٢) تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاّتي، مطبوعات إسماعيليّان، قم، ط٤، ١٤١٢هـ: الحديث ٤٠٩، ج ١ ص ١١٣.

تفصيليّ في كلّ واحدة من أنواع هذه الشهود، ولذا سنحاول بيان القدر المشترك بين شهادة هذه الأنواع وشهادة الإنسان التي ستكون المحور الأساس في بيان الصفات والاستحقاقات لمن يريد أن يؤدّي هذه الشهادة.

بيان ذلك: في باب القضاء والدعاوى من الأحكام الفقهيّة أنّ القاضي والحاكم عندما يريد قبول شهادة أحد من الشهود يشترط مجموعة من الشروط، وكذلك المؤهّلات والصفات التي ينبغي توفّرها في الشاهد.

وهذه الشروط والمؤهّلات على قسمين: فبعضها مؤهّلات عامّة كأن يكون عاقلاً، مسلماً، عادلاً... وبعضها مؤهّلات خاصّة يحتاجها القاضي في بعض القضايا مثل أن يكون الشاهد قويّ البصر فيما لو كانت القضيّة مرتبطة بالنظر، أو قويّ السمع إذا كانت القضيّة مرتبطة بالسمع وهكذا...

والإنسان الذي يريد أن يشهد يوم القيامة لابدّ أن يكون على قدر تحمّل هذه الشهادة، فمن يريد أن يشهد على فلان بأنّه صلّى أو لم يصلِّ، وأنّ نيّته كانت عن إخلاص أو عن رياء، أو أنّ فلاناً كان من المؤمنين أو من الفاسقين والكافرين، أو أنّ فلاناً كان في قلبه مرض أو لا ـ وهكذا بالنسبة إلى كلّ الاعتقادات والأعمال والنوايا ـ لابدّ أن يعلم بها يقيناً، وإلاّ كيف له أن يحقّق تحمّل الشهادة من غير أن يرى تلك الحقائق؟

«وعلى هذا فمن الواجب أن يكون هذا الشهيد ذا عصمة إلهيّة يمتنع عليه الكذب والجزاف، وأن يكون عالماً بحقائق الأعمال التي يشهد عليها لا بظاهر صورها وهيئاتها المحسوسة، بل بحقيقة ما انعقدت عليه في القلوب، وأن يستوي عنده الحاضر والغائب من الناس..

ومن الواجب أن تكون شهادته شهادة عن معاينة كما هو ظاهر لفظ الشهيد وظاهر تقييده بقوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ في قوله: ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ

أَنفُسِهِمْ ﴾ غير مستندة إلى حجّة عقليّة أو دليل سمعيّ...»[1].

والشهادة غير العلم، لأنّ الله تعالى عندما يقول عن الشاهد بأنّه شاهد على أعمالكم فإنّ مراده من الشهادة هو العلم ليس عن سماع فحسب، بل عن معاينة ومشاهدة، فالشهادة تتضمّن وتحمل معنى العلم وفيها خصوصيّة أخرى وهي المعاينة.

وهذا من قبيل الطبيب عندما يعاين المريض المتألّم فإنّه يعلم بألمه، ولكنّه لا يشعر به، وهذا بخلاف ما لو تألّم هو بنفسه عندما يمرض فهو في هذه الحالة يشعر بالألم ويعاينه ويشاهده فيكون العلم هنا علماً خاصّاً، والشهادة تعطي هذا المعنى، فعندما نقول «شاهد على أعمال الخلائق»، أي الذي يعاين ويشاهد أعمال الخلائق، وعندما نقول «أعمال» فليس مرادنا من ذلك القيام والجلوس في الصلاة، بل حقيقة الشيء وباطنه وملكوته والذي نعبِّر عنه بالنيّة أو الاعتقاد والغيب.

فإذا كانت الشهادة تتوقّف على المعاينة وعلى التحمّل وعلى الرؤية، فإذن لابدّ أن تكون الأعمال في الدُّنيا حاضرة عند الشاهد، وإلاّ كيف يستطيع أن يكون يوم القيامة شاهداً على زيد بأنّه كان مؤمناً وعلى عمرو بأنّه لم يكن مؤمناً، لو لم يكن في الدُّنيا قد عاين باطن زيد وعمرو ليشهد عليهما بعد ذلك.

وهذه الحقيقة أثبتتها عشرات الآيات والروايات، وكلّها تثبت أنّ أعمال الخلائق تُعرض على إمام كلّ زمان، ومنشأ ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٣٢٣.

فالآية تبيّن أنّ كلّ عمل يقوم به الإنسان ظاهريّاً كان أو باطنيّاً فإنّ الله تعالى يراه: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق: ١٤)، وكذلك الرسول صلى الله عليه وآله الذي يرى أعمال الخلائق سواء كان في عالم الدُّنيا، أو بعد انتقاله صلى الله عليه وآله إلى عالم الآخرة ـ بخلاف سائر الأنبياء الذين تنقطع مسؤوليّاتهم الدنيويّة ودورهم الملكوتي عن الأمّة بعد رحيلهم إلى الله تعالى بمقتضى قوله تعالى: ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ ـ وكذلك الأئمّة المعصومون عليهم السلام.

روايات عرض الأعمال

والروايات التي تتحدّث عن عرض الأعمال على النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام كثيرة نذكر منها ما أورده صاحب الكافي:

• عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**تُعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كلّ صباح، أبرارها وفجّارها فاحذروها، وهو قول الله تعالى:** ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ (التوبة: ١٠٥) وسكت»[١].

والملاحظ في الرواية أنّ عرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله لا يختصّ بحياته بل يستمرّ بعد وفاته أيضاً، ومن ضيق اللفظ نستخدم الوفاة، وإلاّ فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام هم في الحقيقة وواقع الأمر أحياء عند ربّهم يُرزقون.

والملاحظ في الرواية أيضاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام لم يُكمل الآية وهي «والمؤمنون» ربّما لأنّ المجلس لم يكن يسمح بإتمام الآية، وتوضيح

---

(١) **الأصول من الكافي**، محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٩٨٦م: الحديث ١ ، ج ١ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

الإمام لمن تقصدهم الآية في قوله: «والمؤمنون». بيدَ أنّه فعل ذلك في روايات أخرى سيأتي ذكرها، كما في الرواية التالية.

• عن يعقوب بن شعيب قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؟ قال: **هم الأئمّة**»[١].

• عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: **ما لكم تسوءون رسول الله صلى الله عليه وآله؟!** فقال رجلٌ: كيف نسوؤه؟ فقال: **أما تعلمون أنّ أعمالكم تُعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله وسرّوه**»[٢].

عن عبد الله بن أبان الزيّات وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام قال: «قلت للرضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي. فقال: **أولست أفعل؟ والله إنّ أعمالكم لتعرض عليَّ في كلّ يوم وليلة.** قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: **أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؟** قال: **هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام**»[٣].

زمان عرض الأعمال

تعرّضت الروايات إلى بيان وقت وزمان عرض الأعمال على النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ومنها:

• عن محمّد بن الفضيل، عن صاحبه (الإمام أبي الحسن عليه السلام)

---

(١) الأصول من الكافي: الحديث ٢، ج ١ ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٣.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٤.

قال: «**إنّ أعمال هذه الأمّة تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله في كلّ خميس أبرارها وفجّارها**»[١].

• عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ أعمال العباد تُعرض على نبيّكم كلّ عشيّة الخميس، فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيّه العمل القبيح**»[٢].

• عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «سمعته يقول في الأيّام حين ذكر يوم الخميس فقال: **هو يومٌ تُعرض فيه الأعمال على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وعلى الأئمّة عليهم السلام**»[٣].

• عن داود الرقّي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: **يا داود أعمالكم عُرضت عليَّ يوم الخميس فرأيت لك فيها شيئاً فرّحني، وذلك صلتك لابن عمّك، أما إنّه سيمحق أجله، ولا ينقص رزقك.**

قال داود: وكان لي ابن عمّ ناصب كثير العيال محتاج، فلمّا خرجت إلى مكّة أمرت له بصلة، فلمّا دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أخبرني بهذا»[٤].

وهناك روايات تشير إلى أنّ عرض الأعمال يكون يوم الاثنين والخميس، ومنها:

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل: «.. **لأنّ أعمالكم تعرض عليَّ كلّ اثنين وخميس، فما كان من حسن حمدتُ الله تعالى عليه، وما**

---

(١) **بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليه وآله**، محمّد بن الحسن بن فرّوخ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ: الحديث ١٣، الباب٤، ج٩ ص ٤٤٦.
(٢) المصدر نفسه: الحديث ١٤ ، الباب ٤ ج ٩ ص ٤٤٦.
(٣) المصدر نفسه: الحديث ٩ ، الباب ٥ ج ٩ ص ٤٤٨.
(٤) المصدر نفسه: الحديث ٣، الباب ٦ ج ٩ ص ٤٤٩.

كان من سيّئ استغفرت لكم»[١].

والروايات المتقدّمة في الفقرة السابقة تشير إلى أنّ عرض الأعمال يكون في كلّ يوم، وفي كلّ صباح، أو في كلّ يوم وليلة.

ومن الروايات التي تشير إلى عرض الأعمال على النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته وبعد مماته:

• عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: **حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم**. قالوا: أمّا حياتك يا رسول الله فقد عرفنا، فما في وفاتك؟ **قال: أمّا حياتي فإنّ الله يقول:** ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، **وأمّا وفاتي فتعرض عليَّ أعمالكم فأستغفر لكم»**[٢].

• عن أبي سعيد الخدري: «أنّ عمّاراً قال: يا رسول الله وددتُ أنّك عمّرت فينا عمر نوح عليه السلام، فقال رسول الله: **يا عمّار حياتي خيرٌ لكم، ووفاتي ليس بشرٍّ لكم، أمّا حياتي فتحدثون وأستغفر لكم، وأمّا بعد وفاتي فاتّقوا الله وأحسنوا الصلاة عليَّ وعلى أهل بيتي، فإنّكم تعرضون عليَّ بأسمائكم وأسماء آبائكم، فإن يكن خير حمدتُ الله، وإن يكن سوى ذلك استغفرت الله لذنوبكم**، فقال المنافقون والشكّاك والذين في قلوبهم مرض: يزعم أنّ الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال وأسماء آبائهم وأنسابهم إلى قبائلهم، إن هذا لهو الإفك، فأنزل الله جلّ جلاله: ﴿ وَقُلِ

---

(١) **أمالي الطوسي**، محمّد بن الحسن أبو جعفر الطوسي، تحقيق مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ: الحديث ٢٤ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١

(٢) **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفّار (ت: ٢٩٠هـ)، الأعلمي، طهران: الحديث ٧، الباب ١٣ ج ٩ ص ٤٦٤ـ ٤٦٥.

﴿ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ فقيل له: ومَن المؤمنون؟ فقال: **عامّة وخاصّة، أمّا الذين قال الله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فهم آل محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، ثمّ قال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾** (التوبة: ١٠٥) **من طاعة ومعصية**»[(١)].

أما طريقة الجمع بين الروايات التي تقول بأنّ عرض الأعمال يكون كلّ صباح أو كلّ يوم وليلة وبين التي تقول يوم الخميس أو يوم الخميس والاثنين، فهو أنّ هناك قاعدة أصوليّة في مثل هذه الموارد تقول بأنّ هذه الروايات لا يقيّد بعضها بعضاً لأنّها ليست متعارضة، فليس هناك رواية تثبت وأخرى تنفي بل كلّها يثبت، والمثبتات لا تنافي بينها، مثل أن يأتي شخص ويقول فلان يملك ألف، ويأتي شخص آخر ويقول بأنّه يملك مليون، وشخص ثالث يقول بأنّه يملك عشرة ملايين، فهذه الإخبارات لا تنافي بينها، وكلّها صحيحة.

علم الإمام عليه السلام بأعمال الخلائق

تعتقد مدرسة أهل البيت بأنّ الإمام المعصوم عليه السلام يعلم بجميع أعمال الخلائق، وقد ذكرت الروايات طريقة علمه ومعرفته بذلك، ومنها:

- عن إسحاق القمّي، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك ما قدر الإمام؟ قال: **يسمع في بطن أمّه، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوباً: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، ثمّ يبعث أيضاً له عمود من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض**

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، العلاّمة المجلسي، دار التعارف، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ج٢٣ ص ٣٥٣.

يرى فيه أعمال الخلائق كلّها ثمّ يتشعّب له عمود آخر من عند الله إلى أذن الإمام، كلّما احتاج إلى مزيد أفرغ فيه إفراغاً»[١].

ونكتفي بهذه الرواية لنحيل القارئ الكريم إلى الموسوعة الحديثيّة «بحار الأنوار» في الجزء السادس والعشرين، أبواب علومهم عليهم السلام، والتي استعرض فيها العلاّمة المجلسي الروايات الكثيرة في كيفيّة علم الإمام عليه السلام، ولا سيما علمه بأعمال الخلائق وطريقة معرفته بها.

وإلى هنا نكون قد وقفنا على الشرط الأوّل وهو ضرورة تحمّل الشهادة المتوقّف على رؤية الأعمال التي تحتاج إلى أداة وهي العلم.

وأمّا الشرط الثاني الذي ينبغي أن يتوفّر في الشاهد على أعمال الخلائق يوم القيامة فهو عدم الاشتباه، وعدم النسيان، وعدم الخطأ، وعدم السهو، وبعبارة واضحة جامعة أن يكون معصوماً في تحمّل الشهادة وفي أدائها، لأنّ الإنسان قد يكون عادلاً ومعصوماً في تحمّل الشهادة، ولكنّه عندما يريد أن يؤدّيها قد يقع في الاشتباه فلا يؤدّيها بالصورة المطلوبة، وقد ينسى أو يشتبه أو يسهو.

فلكي تؤدّي الشهادة أثرها المطلوب ولا تُدخل المطيع إلى النار، وتدخل العاصي إلى الجنّة، لابدّ أن يكون هذا الشاهد معصوماً في كلتا المرحلتين؛ أي في مرحلة تحمّل الشهادة، وفي مرحلة أدائها.

ونظراً لأهمّية هذا البحث فإنّنا نشير إلى أنّ علم الإمام عليه السلام بأعمال العباد هو من الأبحاث التي تعرّضنا لها في كتابنا (بحث حول الإمامة)[٢]،

---

(١) **بصائر الدرجات**: الحديث ٧، الباب ١٢ ج ٩ ص ٤٦٣.

(٢) راجع: **بحث حول الإمامة**، السيّد كمال الحيدري، بقلم جواد كسّار، دار فراقد، ط١، قم، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ص١٦٣ وما بعدها.

وفيه ذكرنا بأنّ أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام عليه السلام؛ لأنّ واحدة من أهمّ مسؤوليّات الإمام هي إيصال المستحقّين إلى المطلوب، بمعنى أنّ الإنسان المؤمن يحتاج في سيره التكاملي نحو الله سبحانه إلى دليل مرشد، وهذا يتبيّن من خلال المقدّمات التي استعرضناها حول علم الإمام.

والسؤال: ألا ينبغي لهذا الدليل المُرشد لكي يرشد غيره في سيره المعنوي إلى الله سبحانه، أن يكون واقفاً على درجة الإنسان الذي يرشده؟

لقد ذكرت النصوص الروائيّة أنّ الإيمان على درجات متعدّدة، ومن يريد أن يمارس دوره في رفع الإنسان من درجة إيمانيّة إلى أخرى، لابدّ أن يكون واقفاً على درجته الإيمانيّة، وإلاّ لما استطاع أن يكون له دليلاً يأخذه بيده صوب الدرجات الأعلى.

والشيء الثابت بداهةً أنّ الناس على درجات، والمراد من الدرجة مجموع العقائد والملكات والأعمال، وفق الترابط الموضوعي فيما بينها. فالأعمال التي تصدر من الإنسان ناشئة من أخلاق وملكات، وتلك الأخلاق والملكات التي توجد عند الإنسان من خلال الاعتقادات التي يتبنّاها، فإذا ما آمن الإنسان بالمعاد مثلاً فسيحصل عنده الخوف، ثمّ يقود ترسّخ الخوف إلى إيجاد ملكة الخوف من الله في نفسه ووجوده، وعندئذ تردعه هذه الملكة عن اجتراح المحرّمات في الواقع الخارجي بحسب الأعمال التي يقوم بها أو السلوك الذي ينطوي عليه.

الأعمال إذن مترتّبة على الملكات، والملكات تنشأ من الاعتقادات، ولكي يستطيع الإمام أن ينهض بدوره في هداية الناس لابدّ أن يكون واقفاً على عقائدهم وعلى ملكاتهم وأخلاقهم، وأعمالهم الخارجيّة وسلوكهم الموضوعي من وراء ذلك.

والروايات التي ذكرناها صريحة في الدلالة على المطلوب، وكذلك الآيات كثيرة نذكر منها ردّ الكفّار على رسول الله صلى الله عليه وآله بقولهم: لست مرسلاً، فاحتجّ النبيّ صلى الله عليه وآله بشاهدين:

الأوّل: هو الله سبحانه وتعالى.

والثاني: مَن عنده علم الكتاب.

يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد: ٤٣). وثمّة روايات من الفريقين في أنّ الآية نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إذن عند الإمام عليّ عليه السلام علمٌ بالكتاب. وهو علمٌ مضاف؛ أي: لا يوجد شيء في الكتاب إلاّ وعلمه عند الإمام عليه السلام.

من جهة ثانية إذا علمنا أنّه ما من رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين، أي في إمام مبين، فسيتّضح أنّه ما من شيء إلاّ وهو موجود في الكتاب، والإمام أمير المؤمنين يوجد عنده علم الكتاب؛ فإذن لا يُحجب عن علمه شيء.

وما يتّضح من الآيات والروايات أنّ عند الإمام علماً مطلقاً، فضلاً عن علمه بأعمال العباد.

شؤون المعاش والمعاد أيضاً

لا تقتصر مسألة علم الإمام على أعمال العباد، فليست الأعمال غير محجوبة عن الإمام وحسب، بل لابدّ له أن يكون عارفاً بما يحتاج إليه الناس في المعاش والمعاد أيضاً.

لتوضيح الموضوع لابدّ من التفصيل الآتي:

في ما يرتبط بأعمال العباد فالمسألة واضحة؛ لأنّ ذلك أساساً جزءٌ من وظيفته التكوينيّة، فإذا ما أراد الإمام أن يكون دليلاً ومرشداً فلابدّ أن يكون واقفاً على درجاتهم الإيمانيّة والعقائديّة والوجوديّة.

ولكنّ الإمام يحتاج بالإضافة إلى ذلك أن يكون عالماً أيضاً بكلّ ما يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم، وهذا أمرٌ واضح من الناحية العقليّة ويتوقّف على المقدّمتين التاليتين:

الأولى: ما دام الإنسان له هدف وهو الاستقرار في النشأة الآخرة وأنّه لم يأت إلى هذه الدُّنيا للبقاء فيها ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ (آل عمران: ١٨٥)، إذن فلن يبقى أحدٌ منهم في هذه الدُّنيا بل ينتقل الجميع إلى الدار الآخرة، إمّا إلى الجنّة ودرجاتها، أو إلى الجحيم ودركاتها، وما الموت إلاّ انتقال من دار إلى دار.

الثانية: هناك ارتباط وثيق بين ما ينجزه الإنسان في دار الدُّنيا، والجزاء الذي يحصل عليه في الآخرة. فهنا البذر وهناك الحصاد، والدُّنيا مزرعة الآخرة، كما أشارت لذلك الآيات والروايات. والجزاء هناك يكون وفق العمل هنا؛ للرابطة التكوينيّة الموجودة بين العمل والجزاء.

إذا تمّت هاتان المقدّمتان وعرفنا سابقاً أنّ وظيفة الإمام هي أن يكون مرشداً ودليلاً إلى الله سبحانه، أي دليلاً إلى تلك النشأة، فلابدّ وأن يكون واقفاً على ما تحتاجه تلك النشأة، متوفّراً على معرفة النافع والضارّ في مسارها. وحيث ترتبط هذه الدُّنيا ارتباطاً وثيقاً بتلك النشأة فلابدّ أن يكون الإمام واقفاً على معاد البشر ومعاشهم تبعاً للارتباط الوثيق بين المعاد والمعاش.

في هذا الضوء ينبغي للإمام أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس

في أمور معاشهم ومعادهم لكي يستطيع أن ينهض بدوره.

قال الطباطبائي في تفسيره (الميزان): «وبالجملة فالإمام يجب أن يكون إنساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت، متحقّقاً بكلمات من الله سبحانه. وقد مرّ أنّ الملكوت هو الأمر الذي هو الوجه الباطن من وجهي هذا العالم.

فقوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يدلّ دلالة واضحة على أنّ كلّ ما يتعلّق به أمر الهداية ـ وهو القلوب و الأعمال ـ فالإمام باطنه وحقيقته، ووجه الأمر حاضر عنده غير غائب عنه، ومن المعلوم أنّ القلوب والأعمال ـ كسائر الأشياء ـ كونها ذات وجهين، فالإمام يحضر عنده و يلحق به أعمال العباد، خيرها وشرّها، وهو المهيمن على السبيلين جميعاً، سبيل السعادة وسبيل الشقاوة.

وقال تعالى أيضا: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١) وسيجيء تفسيره بالإمام الحقّ، دون كتاب الأعمال، على ما يظنّ من ظاهرها.

فالإمام هو الذي يسوق الناس إلى الله سبحانه يوم تبلى السرائر، كما أنّه يسوقهم إليه في ظاهر هذه الحياة الدنيا وباطنها».(١)

الآثار المترتّبة على شهادة الأعمال

هناك آثار عقائديّة وتربويّة وأخلاقيّة تترتّب على مسألة الشهادة على الأعمال لم يقف عندها علماؤنا بشكل دقيق ومفصّل، سواء على الشاهد أو على شخص المشهود عليهم.

ونحن هنا نستعرض أوّلاً الآثار المترتّبة على الشخص الشاهد، فما هي

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٧٣.

هذه الآثار؟

أوّلاً: ثبوت القضيّة القائلة بأنّ **الأرض لا تخلو من حجّة لله**، وهذه من أهمّ المفاصل التي وقع الخلاف فيها بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام والاتّجاهات الأخرى، ونظريّة وجود إمام أو حجّة في كلّ زمان لا تخلو الأرض من وجوده، من الحقائق الثابتة في القرآن الكريم، والتي هي عين القول بوجود شاهد على الأعمال. فصريح القرآن الكريم يثبت لنا أنّه لابدّ في الأمّة من شهيد وشاهد حيّ حاضر معهم.

ولا يقول لنا قائل بأنّ الشهيد في زماننا هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، لأنّه وإن كان هو شهيداً بمعنى من المعاني، ولكنّنا نحتاج إلى شهيد حيّ حاضر كما ثبت في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧) التي تكشف على أنّه لا يكفي في الشاهد أن يكون ولو في عالم الملكوت، بل لابدّ أن يكون في هذه النشأة بقرينة القيد في الآية ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾.

وأثبت الفخر الرازي هذه الحقيقة (وجود إمام في كلّ زمان) في مواضع متعدّدة من تفسيره، نشير إلى بعضها:

- يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩):

«**المسألة الأولى**: أنّه تعالى أمر المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب الكون مع الصادقين فلابدّ من وجود الصادقين في كلّ وقت، وذلك يمنع من إطباق الكلّ على الباطل، ومتى امتنع إطباق الكلّ على الباطل، وجب إذا أطبقوا على شيء أن يكونوا محقّين، فهذا يدلّ على أنّ إجماع الأمّة حجّة... فكانت الآية دالّة على أنّ من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً

بمَن كان واجب العصمة، وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين»[١] .

وذلك من أجل أن يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، لأنّ الآية المباركة أمرت مطلقاً ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ .

لذا يقول الرازي: «فهذا يدلّ على أنّه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتّى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ، وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان، فوجب حصوله في كلّ الأزمان.. لما لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن مع المعصوم الموجود في كلّ زمان؟»[٢] .

وأجاب الرازي عن التساؤل الأخير بقوله: «قلنا: نحن نعترف بأنّه لابدّ من معصوم في كلّ زمان، إلاّ أنّا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع الأمّة، وأنتم تقولون: ذلك المعصوم واحد منهم...»[٣] .

فالرازي وافق وأكّد وفقاً للقرآن الكريم على لابدّيّة وجود الشاهد بمواصفات معيّنة، إلاّ أنّنا نختلف معه في مصداق هذا الشاهد حيث اعتبره مجموع الأمّة، والمدرسة الإماميّة ترى أنّه الإمام المعصوم من الأئمّة الإثني عشر عليهم السلام. فالحقيقة الأولى التي نستفيدها من مسألة الشهادة على الأعمال هو ضرورة وجود إمام معصوم في كلّ زمان، وأنّ الأرض لا تخلو

---

(١) **التفسير الكبير**، الإمام الفخر الرازي ط٢. طهران، عن منشورات محمّد علي بيضون، نشر كتب السنّة والجماعة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ: ج ١٦ ص ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٦ ص ٢٢١.

(٣) المصدر نفسه.

من حجّة.

ثانياً: ثبوت العصمة للأنبياء والأوصياء والأئمّة عليهم السلام على مستوى الموضوعات الخارجيّة، وبيان ذلك:

أنّ العصمة لها مراحل متعدّدة، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: وهي التزام الإنسان بجميع الأوامر والنواهي الإلهيّة، وهذا يعني أن لا يترك واجباً، وأن لا يفعل محرّماً مطلقاً.

المرحلة الثانية: وهي العصمة في تلقّي الوحي من الله سبحانه وتعالى، والعصمة في حفظه وإبلاغه إلى الناس. وبذلك ستكون هذه المرحلة من مقاطع ثلاثة:

الأوّل: هو حفظ المعصوم من الخطأ والاشتباه حينما ينزل الوحي على قلبه.

الثاني: هو حفظ ما نزل عليه وبقاؤه في قلبه كما هو.

الثالث: هو حفظ المعصوم من الخطأ والاشتباه حينما يبلّغ ما نزل عليه.

المرحلة الثالثة: وهي عصمة النبيّ في تطبيق الشريعة في حياة الناس. وفي ضوء هذه المرحلة فمن غير الممكن أن يخطئ في تطبيق الوحي على نفسه كأن يصلّي الفجر ثلاث ركعات بسبب السهو والغفلة مثلاً.

المرحلة الرابعة: عصمة النبيّ أو الإمام في الموضوعات الخارجيّة، كما لو سُئِلَ عن الشخص القادم من مسافة بعيدة، أيمكن أن يخطئ في تشخيصه، أم هذا ممّا لابدّ أن يكون معصوماً فيه أيضاً، ومثاله أيضاً: أن يقترض من شخص ما مبلغاً من المال، فهل يمكن أن ينسى أو يشتبه أو يسهو؟ أو إذا شهد على قضيّة فهل يمكن أن يخطئ ؟

وأدلّة الشهادة على الأعمال تثبت أنّه يستحيل، ولا يمكن عقلاً أن

يكون النبيّ أو الإمام مشتبهاً أو مخطئاً على مستوى الموضوعات، وأنّه لا يمكن أن يشتبه بين زيد وعمرو فيتصوّر أنّ زيداً هو الذي أطاعه، والمفروض أنّه عصاه، وأنّ عمراً هو الذي عصى والمفروض أنّه كان مطيعاً، وإلاّ لوقعت نتائج خطيرة جدّاً على مستوى أداء الشهادة يوم القيامة.

وهكذا يتّضح أنّ القرآن الكريم يثبت بأنّ طائفة من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يشهدون على أعمال الخلق في الآخرة، ولا تنحصر هذه الأعمال بالأمور الظاهريّة كالصلاة والصوم، بل تشمل الأعمال الباطنيّة والأمور القلبيّة والنوازع النفسيّة.

في ضوء هذه القدرة التي يحظى بها الشهداء في التسلّط على ظاهر الخلائق وباطنها، من غير الممكن حينئذ أن نتصوّر الخطأ والاشتباه ممّن كانت لديه هذه الخصلة في حياته الاعتياديّة، ومن ثمّ لابدّ أن يكون الشهيد معصوماً في جميع تشخيصاته، صغيرها وكبيرها، وبذلك تثبت عصمته في المرحلة الرابعة[1].

فالنتيجة الثانية المهمّة التي نستفيدها في مسألة الشهادة على أعمال الخلق يوم القيامة هي إثبات العصمة للأنبياء والأوصياء والأئمّة والحجج الإلهيّين على مستوى الموضوعات الخارجيّة.

الشهيد على الشهداء

قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١).

تشير هذه الآية إلى قضيّة الشهيد على الشهداء، وهو النبيّ الأكرم، وهذه من خصائصه صلى الله عليه وآله .

---

(١) انظر: **عصمة الأنبياء في القرآن**، السيّد كمال الحيدري، بقلم محمود نعمة الجياشي، دار فراقد، ط١، قم، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م: ص ٦١ و ١٧٦.

فمن الخصائص والمميّزات التي أشار إليها القرآن الكريم للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله أنّه شاهد على الشهداء جميعاً، وهذا ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيره للآية المتقدِّمة حيث يقول: «.. **وهو الشهيد، والشهداء هم الرسل عليهم السلام**»[1].

وبالنصّ القرآني ثبت أنّ لكلّ أمّة شهيداً في أنفسهم، وبهذه الآية يثبت أنّ على هؤلاء الشهداء جميعاً شهيداً هو النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله.

لقد انتهت شهادة عيسى عليه السلام برحيله عن الدُّنيا ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾. وهذا بخلاف شأن النبيّ صلى الله عليه وآله الذي له وظيفة الشهادة على الأمّة ما دام فيهم، وله وظيفة أخرى ومسؤوليّة أخرى وهي الشهادة على أعمال الشهداء، سواء كان في الدُّنيا أو لم يكن.

فالنبيّ صلى الله عليه وآله بعد موته يعلم بالسلام عند السلام عليه، ويستغفر ويستشفع لَمن يطلب منه ذلك، والقرآن الكريم يثبت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حاضر عند جميع الشهداء، وهو الشاهد والشهيد عليهم.

«فإنّ ظاهر آية البقرة ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ أنّ بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين الناس الذين هم عامّة من بعث إليهم من زمانه إلى يوم القيامة شهداء يشهدون على أعمالهم، وأنّ الرسول إنّما هو شهيد على هؤلاء الشهداء دون سائر الناس إلاّ بواسطتهم، ولا ينبغي أن يتوهّم أنّ الأمّة هم المؤمنون وغيرهم الناس وهم خارجون من الأمّة؛ فإنّ ظاهر الآية في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ (النحل: ٨٤) أنّ الكفّار من الأمّة المشهود عليهم..»[2].

---

(١) تفسير العيّاشي، محمّد بن مسعود، الأعلمي، بيروت،: الحديث ١٣٢، ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

الأمّة الوسط وشهادة الأئمّة

لا ريب أنّ شهادة الأنبياء عليهم السلام على الأمم يوم القيامة هي إحدى الحقائق التي تعرّض لها القرآن الكريم مفصّلاً، بل إنّ الشهادة في عالم الآخرة ليست مختصّة بالأنبياء عليهم السلام، وإنّما هناك أمور أخرى يمكن أن تشهد على الإنسان في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ـ بالبيان المتقدّم ـ.

وإذا كان الأنبياء عليهم السلام هم الشهداء على الخلق يوم الحساب، فمَن هو الشاهد على الأمّة إذا فُقد نبيّها كما هو الحال في الأمّة اليوم ؟

نعتقد بأنّ الشاهد في هذه الحال هو الإمام المعصوم الذي هو خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله على الأمّة، كما ينصّ القرآن الكريم على هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

تبدأ النقطة التأسيسيّة لهذا الاستدلال من معرفة المراد بـ «الأمّة الوسط» في هذه الآية المباركة؟

ذهب المفسِّرون من غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى أنّ المراد بالأمّة الوسط هي الأمّة الإسلاميّة جمعاء، فإنّها ستشهد على باقي الأمم يوم القيامة، ويكون خاتم النبيِّين صلى الله عليه وآله هو الشاهد عليها.

لكنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام فسّروا «الأمّة الوسط» بصورة مختلفة عن ذلك وأكّدوا أنّه من غير الممكن أن يكون المراد بالأمّة الوسط هو مجموع الأمّة الإسلاميّة كما تذهب إلى ذلك المدارس الأخرى.

يقرّر الإمام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة في الرواية التالية:

- عن الزبيري، عنه عليه السلام، قال: «**أفترى مَن لا تجوز شهادته في الدُّنيا**

على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا، لم يعنِ الله مثل هذا من خلقه»[١].

فالمراد إذاً هو «بعض الأمّة»، نظير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ مخاطباً بني إسرائيل، والمراد بعضهم.

والدليل على أنّ المراد بعض الأمّة، هو أنّ أكثر أبنائها ليست لهم معرفة بالأعمال إلاّ بصورها إذا كانوا في محضر المشهود عليهم، وهو لا يفي في مقام الشهادة، لأنّ المراد منها هو الشهادة على حقائق الأعمال والمعاني النفسانيّة من الكفر والإيمان، وعلى كلّ ما خفي عن الحسّ ومستبطن عن الإنسان ممّا تكسبه القلوب، الذي يدور عليها حساب ربّ العالمين، يقول سبحانه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٥)، وليس ذلك في وسع الإنسان العادي إذا كان حاضراً عند المشهود عليه، فضلاً عن كونه غائباً، وهذا يدلّنا على أنّ المراد رجال من الأمّة لهم تلك القابليّة بعناية من الله تعالى، فيقفون على حقائق أعمال الناس المشهود عليهم، أضف إلى ذلك أنّ أقلّ ما يعتبر في الشهود هو العدالة والتقوى، والصدق والأمانة، والأكثريّة الساحقة من الأمّة يفقدون ذلك وهم لا تُقبل شهادتهم على صاع من تمر أو باقة من بقل، فكيف تُقبل شهادتهم يوم القيامة؟![٢]

أمّا من هو هذا «البعض» الذي يكون شاهداً على الأمّة يوم القيامة؟ فهذا ما تقرّره الروايات التالية:

- عن بريد العجلي قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله تبارك

---

(١) **تفسير نور الثقلين**، مصدر سابق: الحديث ٤٠٩، ج ١ ص ١١٣.

(٢) راجع: **الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل**، الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن مكّي، دار الأميرة، ط٦، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م: ص ٤٤٣.

وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ قال: **نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه وحججه في أرضه**»[١].

وفي حديث آخر أنّ الأمّة الوسط هم الأمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، وهم أهل البيت عليهم السلام، وإلاّ فكيف تكون خير أُمّة أُخرجت للناس ويوجد فيها أمثال يزيد بن معاوية وأشباهه؟!!

• في رواية حمران، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّما أنزل الله تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ **يعني عدلاً** ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ قال: **ولا يكون شهداء على الناس إلاّ الأئمّة والرّسل، فأمّا الأمّة فإنّه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم من لا تجوز شهادته في الدُّنيا على حزمة بقل**»[٢].

• عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال الله تعالى:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ **فإن ظننت أنّ الله تعالى عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين أفترى أنّ من لا يجوز شهادته في الدُّنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاّ لم يعن الله مثل هذا من خلقه، بل الأمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) **وهم الأُمّة الوسطى وهم خير أُمّة أُخرجت**

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: الحديث٤، ج ١ ص ١٩١.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ح٦٣، ج٢٣ ص ٣٥١.

للناس»[١].

وأمّا طبيعة الشهادة النبويّة على شهادة الأئمّة المعصومين والذين هم في أعلى مراتب العصمة فهي ليست من قبيل شهادة الأنبياء والأئمّة على الخلائق، ولا هي من قبيل شهادته على طاعتهم ومعصيتهم لأنّ المفروض أنّهم معصومون، بل هي شهادة من مختصّات الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله حيث له مقام مختلف عن مقام جميع الأنبياء والرسل، إذ إنّ كلّ نبيٍّ أو وصيّ لكي يثبت ويقدّم لله تعالى أنّه أدّى ما عليه من مسؤوليّات لابدّ أن يوجد عليه شهادة من الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله، ومن هنا ذكر بعض المحقّقين والأعلام أنّ هذه واحدة من معاني الخاتميّة، أي لابدّ أن يكون خاتماً على أعمال كلّ نبيّ من الأنبياء، وصحيفة ورسالة ومسؤوليّة كلّ نبيّ أو وصيّ إنّما تقبل عند الله تعالى إذا كانت مختومة بختم خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) **تفسير العيّاشي**، مصدر سابق: الحديث ١١٤، ج ١ ص ٨٢.

المبحث السابع عشر

رجال الأعراف في الآخرة

- أضواء على المسألة قرآنيّاً وروائيّاً
- ما هو الحجاب والأعراف ؟
- صفات أهل الأعراف
- من هم أهل الأعراف ؟
- الحاكميّة يوم القيامة
- علماء الشيعة وأقوالهم في الأعراف

أضواء على المسألة قرآنيّاً وروائيّاً

من المواقف المهمّة في الحشر الأكبر موقف الأعراف ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾، فما هو المراد من الأعراف من حيث المصداق، ومن هم رجال الأعراف؟

الموضوعات العقائديّة التي يشير إليها القرآن الكريم على قسمين:

الأوّل: الموضوعات التي يشير إليها في أكثر من آية، وفي أكثر من مناسبة ويوضحها تفصيلاً، وعند ذلك يمكن للإنسان أن يعتمد على قاعدة أنّ القرآن يفسِّر بعضه بعضاً، ويشهد بعضه على بعض، وينطق بعضه ببعض، فنقف على محتوى تلك الآية، وبهذا يسهل عمل المفسِّر.

الثاني: الموضوعات التي لا يشير إليها القرآن الكريم إلاّ في آية واحدة، ويتعرّض لها من خلال طرحها في موضوع واحد، وهذا يعقّد عمل المفسّر ويحتاج معه إلى دقّة وتأمّل ليقف على جوانب الآية، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك بحث الأعراف في القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ (الأعراف: ٤٦ ـ ٤٨).

وسبقت هذه الآيات آيات تتضمّن النداء بين أهل الجنّة وأهل النار: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ ...﴾ (الأعراف: ٤٤)، وفي اللغة العربيّة لا يكون النداء إلاّ للبعيد، ولا يُقال لِمَن تكلّم مع مَن هو بجانبه أنّه ناداه، وهذا

يكشف عن أنّ المسافة بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار بعيدة جدّاً وواسعة، ومع ذلك فإنّ أصحاب الجنّة يستطيعون سماع أهل النار.

والخطاب ابتدأ به أصحاب الجنّة وليس أصحاب النار، فأصحاب الجنّة هم الذين أُعطوا الإذن بالكلام، وأمّا أصحاب النار فليس لهم إذنٌ بالكلام، لأنّ الخطاب ليس هو حواراً بين طرفين، وإنما بدأ أصحاب الجنّة بالحديث؛ لكرامتهم ولمقامهم، فيوم القيامة لا يؤذَن لكلّ أحد بالكلام.

ومضمون الخطاب أنّ أصحاب الجنّة يخبرون أهل النار بأنّهم قد وجدوا ما وعدهم ربُّهم من الثواب والجنّة ونحو ذلك حقّاً.

وهاهنا بحثٌ تفصيليّ بين المفسِّرين في أنّ ما يتعلّق بالنار أ وعدٌ هو أم وعيد؟

لكن من الواضح بأنّ ما يتعلّق بنار جهنّم ليس وعداً وإنّما هو وعيد، ومن هنا وقع الكلام بين القوم بأنّه ما الفرق بين الوعد بالجنّة وبين الوعيد بالنار؟ الروايات بيّنت هذه الحقيقة وذكرت بأنّ الوعد بالجنّة من الله تعالى لم يجعل فيه سبحانه وتعالى لنفسه البداء، بخلاف الوعيد بالنار حيث جعل لنفسه البداء، وأن يرجع فيه.

ولذا قالوا: إنّ الوعدَ لا يُخلَف، والوعيد يمكن أن يتخلّف ولا ينفَّذ.

ومحلّ الشاهد عندنا في الآية (٤٤) من سورة الأعراف في قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ والمؤذِّن بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار يكشف عن وجود من يُعلِم الطرفين، ومفاد إعلامه ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بنداء يسمعه الفريقان، والمراد من اللعنة هو غضب الله تعالى وأليم عقابه على الكافرين والإبعاد عن الرحمة.

وعبّر القرآن الكريم هنا عن الكافرين بالظالمين، كما أنّه عبّر في بعض

الموارد عن الظالمين بالكافرين.

وبيّنت الروايات شخص المؤذِّن وهويّته ومنها:

• روى أبو القاسم الحسكانيّ بإسناده عن محمّد بن الحنفيّة، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «**أنا ذلك المؤذِّن**»(١).

• وبإسناده عن أبي صالح، عن ابن عبّاس: «**أنّ لعليّ في كتاب الله أسماءً لا تعرفها الناس، قوله:** ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ **فهو المؤذِّن بينهم يقول: ألا لعنة الله على الظالمين الذين كذّبوا بولايتي واستخفّوا بحقّي**»(٢).

• عن أحمد بن عمر الحلاّل قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: **المؤذِّن أمير المؤمنين عليه السلام**»(٣).

وذكر الآلوسي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ﴾ فقال: «هو على ما روي عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه: صاحب الصور عليه السلام، وقيل: مالك خازن النار، وقيل: مَلَك من الملائكة غيرهما يأمره الله تعالى بذلك. ورواية الإماميّة عن الرضا وابن عبّاس أنّه عليّ كرّم الله تعالى وجهه ممّا لم يثبت من طريق أهل السنّة، وبعيد عن هذا الإمام أن يكون مؤذِّناً وهو إذ ذاك في حظائر القدس»(٤).

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨ ص ٣٣١؛ عن **مجمع البيان**: ج ٢ ص ٦٥٠ـ ٦٥١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) **الأصول من الكافي**: الحديث ٧٠، ج ١ ص ٤٢٦.

(٤) **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، أبو المعالي شهاب الدِّين محمود بن عبدالله البغدادي الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر، بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي: ج ٨ ص ١٢٢.

ويرد على كلام الآلوسي: أنّ وظيفة صاحب الصور هي النفخ فيه ولا علاقة له بهذا الأذان، وثانياً أنّه في القرآن نادراً ما نجد أنّ أعمال يوم القيامة تنجز من قبل الملائكة وكلّها منسوبة إلى البشر.

ثمّ إن استبعاده هذا الأمر عن الإمام عليّ عليه السلام، ليس نفياً منه لمقامات الإمام عليه السلام، بل ـ على حدّ قوله ـ لأنه عليه السلام في مقام أرفع وأعلى من ذلك وهو مقام حظيرة القدس.

«وقد أبهم الله هذا الذي يخبر عنه بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ ولم يعرّفه مَن هو؟ أمن الإنس أم من الجنّ؟ أم من الملائكة؟ لكن الذي يقتضيه التدبّر في كلامه تعالى أن يكون هذا المؤذِّن من البشر لا من الجنّ ولا من الملائكة؛ أمّا الجنّ فلم يُذكر في شيء من تضاعيف كلامه تعالى أن يتصدّى الجنّ شيئاً من التوسّط في أمر الإنسان من لدن وروده في عالم الآخرة وهو حين نزول الموت إلى أن يستقرّ في جنّة أو نار فيختم أمره، فلا موجب لاحتمال كونه من الجنّ.

وأمّا الملائكة فإنّهم وسائط لأمر الله وحملة لإرادته بأيديهم إنفاذ الأوامر الإلهيّة، وبوساطتهم يجري ما قضى به في خلقه، وقد ذكر الله سبحانه أشياء من أمرهم وحكمهم في عالم الموت وفي جنّة الآخرة ونارها كقولهم للظالمين حين القبض ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ...﴾ (الأنعام: ٩٣)، وقولهم لأهل الجنّة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ...﴾ (النحل: ٣٢)، وقول مالك لأهل النار: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ (الزخرف: ٧٧)، ونظائر ذلك.

فهذه جهات من تصدّي الشؤون، والقيام بالأمر يوم القيامة حبا الله الإنسان به دون الملائكة، مضافاً إلى أمثال الشهادة والشفاعة اللّتين له.

فهذا كلّه يقرّب إلى الذهن أن يكون هذا المؤذِّن من الإنسان دون

الملائكة»[١].

وروى الحسكاني في «شواهد التنزيل» طائفة من الروايات عن محمّد بن الحنفيّة وابن عبّاس وغيرهم أنّ المؤذِّن هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

والسبب في انتخاب أمير المؤمنين علي عليه السلام مؤذِّناً ومنادياً آنئذ هو:

أوّلاً: لأنّه كان له مثل هذا المنصب من قبل الله تعالى والنبيّ صلى الله عليه وآله في الدُّنيا أيضاً، فلقد كلّفه الله تعالى بعد فتح مكّة بأن يتلو الآيات الأُولى من سورة البراءة على مسامع الناس بصوتٍ عالٍ في موسم الحجّ، تلك الآيات التي تبدأ بقوله: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ ﴾ (التوبة: ٣).

ثانياً: كان موقف الإمام عليّ عليه‌السلام طوال حياته الشريفة موقف المكافحة للظلم، والنضال ضدّ الظالمين، حتّى أنّ دفاعه عن المظلوم وعداءه للظالم وخاصّةً مع ملاحظة ظروف عصره، لتسطع في الصفحات البارزة من تأريخه.

أفليست الحياة في العالم الآخر هي نوعاً من تجسيد كبير وواسع ومتكامل لحياة البشر في هذا العالم؟ وكلاهما بالتالي وجهان لعملة واحدة.

فإذا كانت هذه حقيقة من الحقائق، لم يبق أيّ مجال لاستغراب أن يكون مؤذِّن ذلك اليوم، والذي يلعن الظالمين في مكان بين الجنّة والنار، بأمر من الله والنبيّ صلى الله عليه وآله هو عليٌّ عليه السلام.

بهذا يتّضح الجواب على ما كتبه صاحب «المنار» الذي شكّك في كون هذا المقام لعليّ عليه السلام فضيلة، إذ يقول: «ولو كنّا نعقل لإسناد هذا

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) **شواهد التنزيل**، الحسكاني: ج١ ص ٢٦٧.

التأذين إليه كرّم الله وجهه معنىً يُعدّ فضيلة أو مثوبة عند الله تعالى لقبلنا الرواية بها دون السند الصحيح»[(١)].

إذ يجب أن نقول له: كما أنّ النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في إبلاغ سورة البراءة في موسم الحجّ تعتبر من أكبر فضائله عليه السلام، وكما أنّ مكافحته للظالمين والجائرين تعتبر من أبرز فضائله، يكون حمله لهذه المهمّة في القيامة والذي يعدّ استمراراً لنفس ذلك البرنامج فضيلة ظاهرة له أيضاً...»[(٢)].

ما هو الحجاب والأعراف؟

إنّ هذا المؤذّن إذا أراد أن يُعلم الناس جميعاً بشيء فلابدّ أن يقف وسطهم أو على مرتفع، وهذا سيلقي لنا الضوء بعد ذلك على قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾، والمراد من قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾: أي بين أصحاب الجنّة وأصحاب النار، كما في مقدّمة الآية (٤٤)، وصار الحجاب منشأً لأن يكون هناك نداء من أصحاب الجنّة إلى أصحاب النار، وهذا الحجاب منع هذه الطائفة عن الطائفة الأُخرى.

ولكن ما هو هذا الحجاب؟

في سورة الحديد أشار القرآن الكريم إلى هذا الحجاب في قوله تعالى:

---

(١) **تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار**، تأليف الشيخ محمّد رشيد رضا، وهي مجموعة الدروس التي أخذها عن أستاذه الشيخ محمّد عبده، تعليق وتصحيح: سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ: ج ٨ ص ٤٢٦.

(٢) **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م: ج ٥ ص ٣٨ ـ ٣٩.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٢ ـ ١٣).

والسور الوارد ذكره في هذه الآيات هو «الحجاب»، والمؤذِّن يقف على أعالي هذا السور والحجاب.

و«الأعراف» في اللغة جمع «عرف» بمعنى المحلّ والموضع المرتفع، ولهذا يطلق على شعر ناصية الفرس، والريش الموجود على عنق الديك لفظ العُرف، فيُقال «عرف الفرس» أو «عرف الديك»، ومن هذا المنطلق يطلق على المكان المرتفع من البدن لفظ العرف أيضاً.

قال الرازي: «وأمّا الأعراف فهو جمع عرف وهو كلّ مكان عال مرتفع، ومنه عُرف الفرس وعرف الديك، وكلّ مرتفع من الأرض عرف، وذلك لأنّه بسبب ارتفاعه يصير أعرف ممّا انخفض منه.

إذا عرفت هذا فنقول: في تفسير لفظ الأعراف قولان:

القول الأوّل: وهو الذي عليه الأكثرون أنّ المراد من الأعراف أعالي ذلك السور المضروب بين الجنّة والنار، وهذا قول ابن عبّاس. وروي عنه أيضاً أنّه قال: الأعراف شرف الصراط.

والقول الثاني: وهو قول الحسن وقول الزجاج في أحد قوليه أنّ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ أي: وعلى معرفة أهل الجنّة والنار رجالٌ يعرفون كلّ أحد من أهل الجنّة والنار بسيماهم، فقيل للحسن: هم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم؟ فضرب على فخذيه ثمّ قال: هم قومٌ جعلهم الله تعالى على

تعرّف أهل الجنّة وأهل النار، يميّزون البعض من البعض، والله لا أدري لعلَّ بعضهم الآن معنا!»[١].

وذكر الطبرسي في تفسيره أنّ الأعراف سورٌ بين الجنّة والنار، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ قال: وقيل: الأعراف شرف ذلك السور؟ وقيل: الأعراف الصراط»[٢].

وقال الطباطبائي في الميزان: «الحجاب معروف وهو الستر المتخلّل بين شيئين يستر أحدهما من الآخر. والأعراف أعالي الحجاب، والتلال من الرمل. والعرف للديك والفرس وهو الشعر فوق رقبته، وأعلى كلّ شيء، ففيه معنى العلو على أيّ حال.

وذكر الحجاب قبل الأعراف، وما ذكر بعده من إشرافهم على الجميع وندائهم أهل الجنّة جميعاً، كلّ ذلك يؤيّد أن يكون المراد بالأعراف أعالي الحجاب الذي بين الجنّة والنار وهو المحلّ المشرف على الفريقين أهل الجنّة وأهل النار جميعاً»[٣].

وفي «الاعتقادات» قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الأعراف أنّه سورٌ بين الجنّة والنار، عليه رجالٌ يعرفون كلاً بسيماهم، والرجال هم النبيّ وأوصياؤه عليهم السلام...»[٤].

وقال الشيخ المفيد في شرح هذا الكلام: «قد قيل: إنّ الأعراف جبلٌ

(١) **تفسير الرازي**، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٨٦.

(٢) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

(٣) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٢١.

(٤) **رسالة اعتقادات الصدوق**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، طبعة المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ: ٨٧.

بين الجنّة والنار، وقيل أيضاً: إنّه سورٌ بين الجنّة والنار، وجملة الأمر في ذلك أنّه مكان ليس من الجنّة ولا من النار، وقد جاء الخبر بما ذكرناه...»[١].

وهذه الأقوال المختلفة بحسب الظاهر هي كما ترى في واقعها تصبّ في مصبٍّ واحد وحقيقة واحدة.

صفات أهل الأعراف

بعد أن اتّضح هذا المقام وهذه العظمة لهؤلاء الرجال الذين هم أهل الأعراف، وأنّ لهم مقاماً يشرفون منه على الصراط وعلى أهل الجنّة وأهل النار، ومقاماً أيضاً أنّهم يحدّثون هؤلاء وهؤلاء، هنا يأتي السؤال مَن هم هؤلاء، وما هي صفاتهم ؟

الآيات المباركة في سورة الأعراف تبيّن أنّ أهل الأعراف لديهم التفويض في الحديث والكلام حيث ينادون أصحاب الجنّة وكذلك أصحاب النار: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ...﴾ (الأعراف: ٤٧ـ٤٩).

فصفات أصحاب الأعراف أنّهم يعطون الحكم لأصحاب الجنّة بدخولها، وكذلك لأصحاب النار، ويعرفونهم بسيماهم.

وكلمات بعض المفسّرين بعيدة عن واقع الآيات وحقيقتها، ولذا اختلفوا في تفسير المراد من أهل الأعراف كما نقل الطبرسي ذلك؛ قال:

---

(١) **شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد**، الشيخ محمّد بن محمّد النعمان (المفيد) المطبوع مع أوائل المقالات في المذاهب المختارات للمفيد، طبعة قم: ص ٨٦ ـ ٨٧.

«اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال: فقيل: إنّهم أقوام استوت حسناتهم وسيّئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار، وحالت سيّئاتهم بينهم وبين الجنّة فجعلوا هنالك حتّى يقضي الله فيهم ما شاء، ثمّ يدخلهم الجنّة، عن ابن عبّاس وابن مسعود، وذكر أنّ بكر بن عبد الله المزنيّ قال للحسن: بلغني أنّهم قومٌ استوت حسناتهم وسيّئاتهم، فضرب الحسن يده على فخذه ثمّ قال: هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنّة والنار يميّزون بعضهم من بعض، والله لا أدري لعلّ بعضهم معنا في هذا البيت؛ وقيل: إنّ الأعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعبّاس وعليّ وجعفر يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومُبغضيهم بسواد الوجوه؛ عن الضحّاك عن ابن عبّاس؛ رواه الثعلبيُّ بالإسناد في تفسيره.

وقيل: إنّهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنّة والنار، ويكونون خَزَنة الجنّة والنار جميعاً، أو يكونون حفظة الأعمال الشاهدين بها في الآخرة، عن ابن مجلز، وقيل: إنّهم فضلاء المؤمنين، عن الحسن ومجاهد، وقيل: إنّهم الشهداء وهم عدول الآخرة، عن الجبائيّ...»[1].

وقال البعض بأنّهم مؤمنون من الجنّ، أو إنّهم أولاد الكفّار الذين لم يبلغوا في الدُّنيا أوان البلوغ، وقولٌ يقول: إنّهم أولاد الزنا، أو أنّهم أهل العُجب بأنفسهم...

وهذه الأقوال كلّها تريد أن تقلّل من شأنيّة مقام أصحاب الأعراف، وأنّه مقامٌ لا قيمةَ له، وبالتالي فإنّ من ثبت له هذا المقام ليس له مزيد شرف أو كرامة. وسياق الآيات يخالف هذه الأقوال كلّها، وصحيح أنّ الآيات لم تذكر أنّهم أهل البيت عليهم السلام بالاسم، ولكنّها ذكرتهم بالصفات بحيث

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

لا يكون لها مصداق إلاّ أهل البيت عليهم السلام.

والوصف الأوّل لهؤلاء في سورة الأعراف أنّهم رجال؛ ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾. وهذه الصفة يعطيها القرآن الكريم لَمن يكون لهم منزلة وكرامة عالية مثل: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ (النور: ٣٧) و﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣) و﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ (يوسف: ١٠٩). وهذه الآيات لا تشير إلى الذكوريّة، بل إلى أفراد بلغوا من المقام والمنزلة والدرجة الإنسانيّة مقامات عالية، وليس المقصود منها البُعد الذكوري، بل المقصود الكمال الذي هو ذلك البُعد المشترك بين الذكر والأُنثى باعتبار وجود أمور مشتركة بين الذكر والأُنثى وهي الأبعاد المعنويّة والأخلاقيّة والقيميّة.

وبذكر الرجال في الآية خرج من الاحتمال الجنّ والملائكة، وكذلك من تساوت حسناتهم، وأولاد الزنا، ولكن لم يخرج من الاحتمال النساء.

وفي ردّه على مَن زعم أنّ المراد برجال الأعراف «الملائكة» قال الرازي: «ولقائل أن يقول: الوصف بالرجوليّة إنّما يحسُن في الموضع الذي يحصل في مقابلة الرجل من يكون أُنثى ولّما امتنع كون الملك أُنثى امتنع وصفهم بالرجوليّة»[(١)].

وفي الميزان قال الطباطبائي: «لا ريب أنّ إطلاق لفظ (رجال) لا يشمل الملائكة فإنّهم لا يتّصفون بالرجوليّة والأُنوثيّة كما يتّصف به جنس الحيوان وإن قيل: إنّهم ربّما يظهرون في شكل الرجال فإنّ ذلك لا يصحّح الاتّصاف والتسمية، على أنّه لا دليل يدلّ عليه.

---

(١) **تفسير الرازي**، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٨٨ .

ثمّ إنّ التعبير بمثل قوله: ﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ ...﴾ وخاصّةً بالتنكير يدلّ بحسب عرف اللغة على اعتناء تامّ بشأن الأفراد المقصودين باللفظ؛ نظراً إلى دلالة الرجل بحسب العادة على الإنسان القويّ في تعقّله وإرادته الشديدة في قوامه.

وعلى ذلك يجري ما يوجد في كلامه تعالى من مثل هذا التعبير كقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٧) وقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ (التوبة: ١٠٨)، وقوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣)... .

فالمراد بالرجال في الآيات أفراد تامّون في إنسانيّتهم لا محالة. وإن فُرض أنّ فيهم أفراداً من النساء كان من التغليب.

وأمّا المستضعفون فإنّهم ضعفاء أفراد الإنسان لا مزيّة في أمرهم توجب الاعتناء بشأنهم، وفيهم النساء والأطفال حتّى الأجنّة، ولا فضل لبعضهم على بعض، ولرجالهم على غيرهم حتّى يعبّر به عنهم بالرجال تغليباً...»[1].

والوصف الثاني لأهل الأعراف بحسب الآيات أنّهم ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، وفي هذا المقطع القرآني ثلاث مفردات هي: أوّلاً: (يعرفون)، ثانياً: (كلاًّ)، ثالثاً: (سيماهم).

أمّا في ما يتعلّق بالمفردة الثانية (كلاًّ) فهي للإشارة إلى أصحاب الجنّة وأصحاب النار، فالمراد كلاًّ من الفئتين.

وأمّا المفردة الثالثة (بسيماهم) فإنّ القرآن الكريم عندما يذكر علامات أصحاب الجنّة وأصحاب النار يشير إلى نحوين من العلامات:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

النحو الأوّل: العلامات العامّة التي لا تختصّ بأحد من قبيل: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ (الحديد: ١٢) فعلامة النور هنا ليست مختصّة بفرد دون آخر، ولذا فإنّ المنافقين يوم القيامة يقولون (انظرونا) ومعنى ذلك أنّ المنافق يرى هذه العلامة بحيث لا تختصّ برجال الأعراف فقط، بل بجميع المؤمنين من أهل الجنّة.

وأيضاً من قبيل: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٤١)، وهذه من العلامات العامّة التي يرى بها الجميع المجرمين بهذه الصورة، ولا يراها البعض دون البعض الآخر.

ومن تلك العلامات العامّة التي ذكرها القرآن الكريم لأصحاب الجنّة وأصحاب النار ما في سورة آل عمران: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ٢٠٦) فإنّ بياض الوجوه وسوادها علامات لا تختصّ بالبعض دون البعض الآخر.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٤ـ ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨ ـ ٣٩) وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (عبس: ٤٠ـ٤١) وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (الغاشية: ٨).

وهكذا الحال في الكثير من الآيات التي تبيّن العلامات العامّة.

وفي موردنا فإنّ قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ لا يشير إلى العلامات العامّة التي يعرفها كلّ أهل المحشر، بل هي العلامات الخاصّة بحيث إنّهم يعرفون كلّ فرد فرد بسيماه الخاصّ به، وهذه من صفات وخصوصيّات رجال الأعراف التي تشير إلى واحدة من مقاماتهم حيث كلّ فرد بظاهره وباطنه من جهة العلم والعمل والسلوك... إلى غير ذلك.

وهذا هو الذي ينطبق على ما قلناه من شهادة الأعمال من أنّه يوجد في كلّ زمان وليّ من أولياء الله ـ نبيّاً أو إماماً وصيّاً ـ يعرف أعمال كلّ فرد، وماذا عمل ظاهراً وباطناً.

ولهذا فإنّ هذه الآية تنطبق تمام الانطباق مع شهداء الأعمال في المبحث الذي أشرنا إليه سابقاً.

فلو كان المراد من السيماء السيماء العامّة لما كانت مختصّة برجال الأعراف، لأنّ كلّ واحد من أهل الجنّة وأهل النار يعرفون هذه الأحوال من أهل الجنّة وأهل النار. ولمّا بطل هذا الوجه ثبت أنّ المراد هو أنّ أهل الأعراف يعرفون في الدُّنيا أهل الإيمان والخير والصلاح وكذلك أهل الكفر والفساد، وهذا ما قلناه في مبحث شهداء الأعمال في الآخرة من أنّ أداء الشهادة يوم القيامة يتوقّف تحمّلها في الدُّنيا على معرفتها وعلى العلم بها وعلى عدم الخطأ والنسيان والاشتباه والسهو في ذلك العلم، ولأنّهم كانوا في الدُّنيا شهداء الله تعالى على أهل الإيمان والطاعة، وعلى أهل الكفر والمعصية، فهو تعالى يجلسهم على الأعراف.

وفي المحاكم العرفيّة يجري مثل هذا الأمر؛ فعندما يؤتى بالمتّهم يوضع في مكان ثمّ يؤتى بالشاهد ويوضع في مكان آخر، ويُجعل القاضي في مكان آخر، وهؤلاء الشهداء على الأعمال يكون موقعهم على الأعراف. وبهذا يتّضح سبب جعل مبحث الأعراف بعد مبحث شهداء الأعمال مباشرةً.

ذكر الرازي في ذيل هذه الآية المباركة من سورة الأعراف بأنّ قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ يوجد فيه أقوال ومنها:

«وثالثها: قالوا: إنّهم هم الشهداء لأنّه تعالى وصف أصحاب الأعراف بأنّهم يعرفون كلّ واحد من أهل الجنّة وأهل النار، ثمّ قال قوم: إنّهم يعرفون أهل الجنّة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة، وأهل النار بسواد

وجوههم وزرقة عيونهم، وهذا الوجه باطل، لأنّه تعالى خصَّ أهل الأعراف بأنّهم يعرفون كلّ واحد من أهل الجنّة وأهل النار بسيماهم، ولو كان المراد ما ذكروه لما بقي لأهل الأعراف اختصاص بهذه المعرفة، لأنّ كلّ أحد من أهل الجنّة ومن أهل النار يعرفون هذه الأحوال من أهل الجنّه ومن أهل النار، ولمّا بطل هذا الوجه ثبت أنّ المراد بقوله: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ هو أنّهم كانوا يعرفون في الدُّنيا أهل الخير والإيمان والصلاح، وأهل الشرّ والكفر والفساد، وهم كانوا في الدُّنيا شهداء الله على أهل الإيمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية، فهو تعالى يجلسهم على الأعراف، وهي الأمكنة العالية الرفيعة ليكونوا مطّلعين على الكلّ يشهدون على كلّ أحد بما يليق به، ويعرفون أنّ أهل الثواب وصلوا إلى الدرجات، وأهل العقاب إلى الدركات»[١].

ومراد الرازي نفس ما ذكرناه في مبحث شهداء الأعمال في الآخرة.

وهذا أيضاً ما ذكره الطباطبائي في تفسير هذه الآية بقوله: «وليس معنى السيماء أن يُعلم المؤمنون والكفّار بعلامة عامّة يُعرف صنفهم بها كلّ من شاهدهم كبياض الوجه أوسواده مثلاً؛ فإنّ قوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالًا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ * أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ...﴾ يفيد أنّهم ميّزوا خصوصيّات من أحوالهم وأعمالهم من سيماهم ككونهم مستكبرين أولي جمع وقد أقسموا كذا وكذا، وهذه أمور وراء الكفر والإيمان في الجملة»[٢].

---

(١) تفسير الرازي، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٨٧ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٢٤ .

والصفة الثالثة لرجال الأعراف هي أنّهم طبقة مخصوصة يوم القيامة يؤذن لهم بالتكلّم يوم لا يتكلّم أحدٌ إلاّ بإذن الله سبحانه وتعالى.

وهذه خصوصيّة عظيمة لهم في تلك النشأة الأخرى، ففي آيات سورة الأعراف ورد على لسان أهل الأعراف: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ فلهم حوارٌ مع أهل الجنّة، وفي الآيات أيضاً أنّهم قالوا لطبقة معيّنة ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقبل ذلك ينادي أصحاب الأعراف فريقاً من أهل جهنّم الذين يعرفونهم بملامح وجوههم ويلومونهم قائلين: أما ترون أنّ جمعكم للأموال والأفراد والتجبّر والتكبّر عن قبول الحقّ لم ينفعكم شيئاً، فأين تلك الأموال وأولئك الأعوان؟ وماذا حصدتم من تلك المواقف والصفات السيّئة؟! ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ومرّةً أخرى يقولون موبّخين ومعاتبين، وهم يشيرون إلى جمع من ضعفاء المؤمنين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾. والمآل تشمل الرحمة الإلهيّة هذه الطائفة من ضعفاء المؤمنين، ويُقال لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وهذا هو خطاب أهل الأعراف لطبقة من المستكبرين وغيرهم كانوا يعتقدون أنّ هذه الفئة من المستضعفين ليسوا من أهل الجنّة.

والمستفاد من هذه الخطابات أنّ قوانين النشأة الأخرى التي حكى عنها القرآن أنّ الكلام فيها ليس باختيار الإنسان، وليس له القدرة على الكلام إلاّ بإذن الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (هود: ١٠٥)، أمّا أصحاب الأعراف فلهم الإذن التكويني وليس التشريعي بالكلام مع مَن يشاؤون، وإلاّ ففي هذه الدُّنيا يمكن أن لا يكون هناك إذنٌ تشريعيّ من الله

تعالى للبعض بالكلام، ولكنّهم مع ذلك يخالفون ويتكلمون. فأصحاب الأعراف مشمولون لقوله تعالى في سورة هود: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ ويؤذَن لهم بالكلام.

وصريح القرآن الكريم عندما أشار إلى هذه الطبقة في سورة النبأ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: ٣٨) أنّهم عندما يؤذَن لهم بالكلام يوم القيامة لا يقولون إلاّ صواباً.

وقول أصحاب الأعراف: ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ...﴾ قولٌ صواب وحقّ.

وهذه الصفة امتياز لأهل الأعراف لا يوجد لأهل المحشر.

والصفة الرابعة لأهل الأعراف أنّهم بلغوا مقاماً يقولون بل يطلبون من فئة من الناس أن تدخل الجنّة، ومن فئة أخرى أن تدخل النار.

وهذا الأمر لا يطلبونه من الله سبحانه وتعالى، وفرق كبير بين أن يطلب رجال الأعراف من الله تعالى أن يُدخل هؤلاء إلى الجنّة، وأولئك إلى النار، وبين أن يكون لهم الإذن بأن يُدخلوا الجنّة أو النار مَن يشاؤون؛ لأنّهم لا يقولون إلاّ الصواب والحقّ.

«فهذه الخصوصيّات التي تنكشف واحدة بعد واحدة من هذه الآيات بالتدبّر فيها، وأخرى تتبعها، لا تبقي ريباً للمتدبّر في أنّ هؤلاء الذين أخبر الله سبحانه عنهم في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ جمع من عباد الله المخلصين من غير الملائكة هم أرفع مقاماً وأعلى منزلةً من سائر أهل الجمع يعرفون عامّة الفريقين، لهم أن يتكلّموا بالحقّ يوم القيامة ولهم أن يشهدوا، ولهم أن يشفعوا، ولهم أن يأمروا ويقضوا»[١].

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن الكريم**، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٢٥.

من هم أهل الأعراف ؟

هذه الأوصاف التي أشارت إليها هذه الآيات لبيان مقام أهل الأعراف لا شكّ بأنّ لها مصاديق تنطبق عليهم هذه الأوصاف، فمن هم هؤلاء ؟

من خلال ما بيّناه وذكرناه من الصفات لأهل الأعراف يتّضح عدم صحّة الأقوال المذكورة في تفسير أصحاب الأعراف، وهذا بغضّ النظر عن الروايات الواردة في هذا المجال؛ لأنّ البحث القرآني والمنهج الذي نتبنّاه هو المسلك الذي لا يلتفت في البدء إلى الروايات، ومن خصوصيّات منهجنا في فهم القرآن الكريم هو أن نأتي إلى الصفات والخصوصيّات التي يذكرها القرآن الكريم ثمّ نطبّقها على مَن يتّصف بها قبل أن نذهب إلى الروايات.

فعلى سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فأوّلاً لابدّ أن نفهم دلالة الآية على عصمة أهل البيت قبل أن نتكلّم حول مَن هم أهل البيت عليهم السلام، فإن دلّت على عصمتهم فعند ذلك وبطبيعة الحال سوف نخرج نساء النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّنا لا نجد من نسائه صلى الله عليه وآله من ادّعت العصمة لنفسها، ولا من ادّعى لهنّ العصمة، وكذلك يخرج منها أقرباء النبيّ صلىالله عليه وآله.

فالكتاب الكريم نور مبين يفسِّر بعضه بعضاً، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه لبعض.

وفي ما يتعلّق بأهل الأعراف فإنّ الصفات المذكورة لهم والتي أشرنا إليها هل يمكن لأحد أن يدّعي أنّها تنطبق مثلاً على أولاد الكفّار الذين لم يبلغوا في الدُّنيا أوان البلوغ، أو أنّهم أولاد الزنا، أو أنّهم أهل العُجب بأنفسهم، أو أنّهم الملائكة، أو أنّهم قومٌ استوت حسناتهم وسيّئاتهم فهم من

المرجون لأمر الله تعالى؟

إنّ كلّ ما جاء في بعض الروايات وكان من هذا القبيل لابدّ من عرضه على كتاب الله تعالى كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومون عليهم السلام، وكلّها ليس لها شاهد ومؤيّد في كتاب الله تعالى فلابدّ من ضربها عرض الحائط.

إذن بناءً على ذلك نأتي إلى الروايات بعد معرفة المواصفات التي ذكرت لأهل الأعراف لنرى على من طبّقتها الروايات بحيث لا يقع التنافي بين ما هو مذكور في الروايات وبين ما هو مؤيَّد وله شاهد في القرآن الكريم.

النصوص الروائيّة أشارت بشكل واضح وصريح إلى أنّ أهل الأعراف هم الأئمّة عليهم السلام، وهي قد بلغت حدّ الاستفاضة، ومنها:

• عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**الأعراف: كثبان بين الجنّة والنار، والرجال: الأئمّة صلوات الله عليهم يقفون على الأعراف مع شيعتهم، وقد سبق المؤمنون إلى الجنّة بلا حساب، فيقول الأئمّة لشيعتهم من أصحاب الذنوب: انظروا إلى إخوانكم في الجنّة قد سبقوا إليها بلا حساب، ثمّ يقولون لهم انظروا لأعدائكم في النار، وهو قول الله تبارك وتعالى وتعالى:** ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ **ثمّ يُقال لهم: انظروا إلى أعدائكم في النار، وهو قوله:** ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ ...﴾ **في النار** ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ **في الدُّنيا** ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾**، ثمّ يقول لمَن في النار من أعدائهم هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم تحلفون في الدُّنيا أن لا ينالهم الله برحمة، ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم:** ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ **ثمّ** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا

رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[١].

• عن حبّة العرنيّ، عن عليّ عليه السلام: «**نحن الأعراف. من عرفنا دخل الجنّة، ومَن أنكرنا دخل النّار**»[٢].

• عن بريد العجليّ قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ قال: **أُنزلت في هذه الأمّة، والرجال هم الأئمّة من آل محمّد**. قلت: فما الأعراف؟ قال: **صراط بين الجنّة والنار، فمن شفع له الأئمّة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومَن لم يشفعوا له هوى**»[٣].

• عن عليّ عليه السلام قال: «**أنا يعسوب المؤمنين، وأنا أوّل السابقين، وخليفة رسول ربّ العالمين، وأنا قسيم الجنّة والنار، وأنا صاحب الأعراف**»[٤].

• عن سلمان قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ أكثر من عشر مرّات: **يا عليّ إنّك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة والنار، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكركم وأنكرتموه**»[٥].

• عن الصادق عليه السلام قال: «**فأمّا في يوم القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء، ليكوننّ على الأعراف بين الجنّة والنار محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والطيّبون من آلهم، فنرى بعض شيعتنا في**

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) تفسير الفرات: ص ١٤٤.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق: الحديث ٥، الباب ١٦ ج ١٠، ص ٥١٦.

(٤) تفسير العيّاشي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢١.

(٥) المصدر نفسه: الحديث ٤٤، ج ٢ ص ٢٢.

تلك العرصات ممّن كان منهم مقصّراً في بعض شدائدها، فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذَرّ وعمّار ونظرائهم في العصر الذي يليهم وفي كلّ عصر إلى يوم القيامة فينقضّون عليهم كالبزاة والصقورة ويتناولونهم كما تتناول البزاة والصقورة صيدها فيزفّونهم إلى الجنّة زفّاً...»[(١)].

• عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، فقال: «**نحن الأعراف نعرف أنصارنا بأسمائهم، ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار فلا يدخل الجنّة إلاّ من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلاّ مَن أنكرنا وأنكرناه...**»[(٢)].

فالرجوع إلى الروايات إذن في ما يتعلّق بباب شهادة الأعمال، والصراط و... يحصل منه اليقين أو الاطمئنان بأنّ أهل البيت عليهم السلام هم أهل الأعراف.

الحاكميّة يوم القيامة

قد يقول قائل: بأنّ كون أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الأعراف، وأنّ لهم أن يُدخلوا إلى الجنّة من يشاؤون، وكذلك الحال في النار، وأنّهم قسماء الجنّة والنار وإلى غير ذلك، يتنافى ويتناقض مع ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (الإنفطار: ١٩) ومفاد الآية الكريمة أن الأمر يوم القيامة يكون لله سبحانه وتعالى، فكيف يكون لغيره تعالى؟

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: الحديث ١١٩، ص ٢٤١ـ ٢٤٢.

(٢) تفسير الفرات، مصدر سابق: الحديث ١٧٤، ص ١٤٣.

وكيف يمكن الجمع بين مفاد هذه الآية، وبين الأمر والنهي الوارد في آيات سورة الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ...﴾ ؟

يتصوّر البعض بأنّ الأمر لله يقتصر فقط على النشأة الآخرة، وأمّا في الدُّنيا فالأمر ليس لله تعالى، مع أنّه لا شبهة ولا ريب أنّه لا أحد يملك حياةً ولا موتاً ولا نشوراً ولا نفعاً ولا ضرّاً إلاّ بإذن الله تعالى.

فالأمر في هذه النشأة الدُّنيا هو أيضاً لله تعالى، ولكن الفرق بين الدُّنيا والآخرة هو أنّه في الدُّنيا هذه الأسباب والوسائط التي تعمل بإذن الله تعالى قد تكون حاجبة عنه تعالى، وأمّا في يوم القيامة فإنّها لا تكون حاجبة.

فنظام الأسباب والوسائط لا يسقط يوم القيامة، والبعض يتصوّر أنّه في هذه النشأة يوجد عندنا نظام الأسباب والوسائط ويوم القيامة لا يوجد ذلك، والواقع أنّه في يوم القيامة يوجد هذا النظام، ويوجد شفعاء، وشهداء، ومن يقسّم بين الجنّة والنار، ولكن في الدُّنيا هذه الأسباب قد تحجب الأمر الإلهي، أمّا في الآخرة فإنّها لا تحجب، والمقصود من الحجاب أنّ الإنسان يراها ولا يرى الله تعالى، فيرى السبب ولا يرى مسبّب الأسباب، أمّا في الآخرة فليس الأمر كذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ لا يعني إلاّ أنّ الشهداء والشفعاء وأهل الأعراف يعملون بإذن الله تعالى.

المبحث الثامن عشر

دور الاعتقاد بإمامة أهل البيت في الجزاء الأخروي

- الطاعة المطلقة والطاعة المقيّدة
- البعد الفقهي والكلاميّ لإنكار إمامة أهل البيت
- شروط حبط العمل مع المشاقّة
- إنكار إمامة أهل البيت مصداق المشاقّة
- الإمامة وطبقات المنكرين
- من هو المستضعف؟
- قوانين الدخول إلى الجنّة
- موانع دخول الجنّة
- مصير الجاحد لإمامة أهل البيت عليهم السلام
- تشبيه الجاحد لإمامة أهل البيت بالكافر

الطاعة المطلقة والطاعة المقيّدة

أشار القرآن الكريم إلى نحوين من الإطاعة:

النحو الأول: الإطاعة المقيّدة. وهي من قبيل القاعدة الكلامية: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾(العنكبوت: ٨) فأمر بطاعة الوالدين، ولكن ما لم يؤدّ إلى الشرك، وإلى مخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى.

على أنّها (الطاعة) غير مختصّة بالوالدين، فكذلك الفقيه والمجتهد وإمام المسلمين، يطاع إذا لم يكن أمره مخالفاً للشرع المقدس.

النحو الثاني: الإطاعة المطلقة. لا شكّ أنّ طاعة الله هي طاعة مطلقة وليست مقيّدة، فلا يعقل القول: إنّ الله سبحانه وتعالى تجب طاعته ما لم يأمر بما لم يخالف به الله! والآيات الدالّة على هذه الإطاعة المطلقة كثيرة جدّاً؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ٥٩).

وكذلك طاعة الرسول صلّى الله عليه وآله هي طاعة مطلقة وليست مقيّدة، لأنّ صريح القرآن الكريم يقول: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) فقد ربط طاعة الرسول بطاعة الله سبحانه وتعالى، وهذا معناه أن من ثبتت عصمته المطلقة تكون طاعته أيضاً مطلقة، فلا معنى لفرض وجوب طاعة الرسول في ما لم يخالف به الله.

ومن هنا يتّضح: أنّ الرسول إذا أمر بشيء، فليس لأحد الخيرة في أمره،

وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، هذا كلّه دليل على أنّ الرسول معصوم بعصمة مطلقة، من دون تمييز بين الأحكام والموضوعات والتشريعات وعلى جميع المستويات، سواء كان سهواً أو نسياناً أو اشتباهاً أو خطأً.

البعد الفقهي والكلامي لإنكار أمامة أهل البيت

من المسائل المهمة التي تهمّ كلّ مسلم، والتي هي محلّ سؤال واستفسار، بيان دور الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام في الجزاء الأخروي.

فما هو مصير الإنسان الذي لا يؤمن بولاية أهل البيت عليهم السلام؟

وما هو الجزاء الأخروي المترتّب على الإيمان بولاية أهل البيت؟

من أجل الوصول إلى الإجابة المطلوبة، لابدّ من الإشارة إلى أنّ هذه المسألة ذات بعدين: فقهيّ وكلاميّ.

الأوّل: البعد الفقهيّ: إنّ كلّ من شهد الشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» وآمن بضروريات الإسلام، فهو مسلم، وتترتّب عليه جميع أحكام الإسلام، من أحكام فردية واجتماعية وسياسية، إلا ما استثني.

الثاني: البعد الكلاميّ: إنّ الإنسان الذي لا يؤمن بإمامة أهل البيت عليهم السلام مسلم، قد يكون لعدم إيمانه أسباب، فقد يكون نتيجة عدم وصول الدليل إليه، أو عدم تمامية الدليل وثبوته بعد وصوله، وقد يكون لأنه أراد العناد والجحود، بعد قيام الحجة الدامغة لديه.

وهنا نريد أن نقول: ما هو مصير مثل هذا الإنسان الذي يؤمن بإمامة أهل البيت عليهم السلام، فهل سيحاسب كما يحاسب من يؤمن بإمامة أهل البيت عليهم السلام؟

أشار القرآن الكريم إلى موارد عديدة من موارد حبط الأعمال، ومن أهمّ هذه المصاديق ـ إضافة إلى الشرك الجليّ ـ مشاقّة الرسول صلى الله عليه وآله.

فقد ذكر القرآن الكريم قاعدة عامّة، وهي أن مشاقّة الرسول صلى الله عليه وآله تؤدّي إلى إحباط العمل وبطلانه. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (محمد: ٣٢). فالآية الكريمة تشير إلى أنّ مشاقّة الرسول تؤدّي ـ كالشرك الجليّ ـ إلى حبط العمل.

والمشاقّة ـ كما يقول أهل اللغة ـ من الشقّ وهو القطعة المبانة من الشيء. فالمشاقّة والشقاق كونك في شقّ غير شقّ صاحبك،(١) وهو كناية عن المخالفة، فالمراد بمشاقّة الرسول بعد تبيّن الهدى: مخالفته وعدم إطاعته.

قد يقول قائل: إنّ الآية المباركة تتحدّث عن الكفّار، ولا تشمل غيرهم، لأنّها قالت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (محمد: ٣٢). فمورد الآية هم الكفّار الذين يصدّون عن سبيل الله، ولا تشمل الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وآله، وإن شاقّوه وخالفوه.

ولكن الآية التي تلي هذه الآية تنفي هذا المعنى، حيث قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ (محمد: ٣٣) فالخطاب للمؤمنين وليس للكفار، فمن خالف الله والرسول وإن كان مؤمناً فإنّ المخالفة تؤدّي إلى حبط عمله وبطلانه.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، قم، مصوّر عن طبعة القاهرة، ١٩٤٥ م: ص ٢٦٤.

وأمّا سبب بطلان جميع أعمال الإنسان بمشاقّة الرسول صلى الله عليه وآله، باعتبار أنّ الله سبحانه وتعالى أمر بطاعته المطلقة، فطاعة الرسول على حدّ طاعة الله سبحانه وتعالى؛ قال تعالى: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ (النساء: ٨٠) فطاعة الرسول إذا كانت من باب أنه من دون الله فتكون شركاً، وأما إذا كانت بأمر الله وإذنه فهي إيمان وتوحيد.

شروط حبط العمل مع المشاقّة

إنّ إحباط العمل مع المشاقّة يتوقّف على أمرين:

الأول: أن تكون المخالفة عبارة عن مشاقّة، وليس مجرد معصية، أي كون الإنسان في شقّ غير الشقّ الذي فيه الرسول صلى الله عليه وآله؛ قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ أي يتخذ الإنسان سبيلاً غير سبيل الرسول صلى الله عليه وآله ﴿**نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ**﴾ (النساء: ١١٥)

وهذا يكشف أنّ المراد بالمشاقّة ليس مجرّد عصيان الحقّ تعالى ومخالفة رسوله صلى الله عليه وآله، وإنّما هو وقوف إزاء دعوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهو معنى الصدّ عن سبيل الله تعالى. فالآية الكريمة بيّنت أن المشاقّة لا تتحقّق إلا بالصدّ عن سبيل الله الذي هو سبيل الرسول وسبيل المؤمنين. ولو كان مطلق المخالفة يؤدّي إلى حبط الأعمال، فهذا معناه أن غير المعصوم لابدّ أن يحبط عمله؛ لأنّه ما من أحد إلا وتوجد عنده مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإن لم تكن عن عمد.

الثاني: أن تكون المشاقّة بعد تبيّن الهدى، أي يكون الوقوف بوجه الرسول صلى الله عليه وآله وصراط الحقّ وسبيله بعد ما تبيّن الهدى؛ قال تعالى: ﴿**مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ**﴾ (النساء: ١١٥). وهذا ما يمكن استفادته

من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (النمل: ١٣) أي بعد مجيء الآية مبصرة وواضحة وجليّة، وبعد أن تمّت البينة والحجّة عليهم، قالوا هذا سحر مبين، ولذا عبّرت الآية التالية عن هذه المشاقّة والعناد بـ «الجحود»؛ قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤). أي جحدوا بهذه البيّنات والمعاجز وبالنبوّة بعد ما تبيّن لهم الهدى.

إذن تشير الآية الكريمة وبشكل صريح إلى وجود طبقة من الناس يستكبرون على الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا ليس مختصّاً بنبيٍّ دون نبيّ، بل في كلّ زمان هناك أناس يقفون بوجه رسل الله ظلماً وعلوّاً.

وكذلك من الآيات القرآنية التي أشارت إلى وجود هذه الطبقة، قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: ٨ـ٩) أي أنّ هؤلاء بعد ما جاءهم الحقّ واتّضح لهم، كذّبوا به.

إنكار إمامة أهل البيت مصداق المشاقّة

تعتقد مدرسة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام أنّ القرآن الكريم والسنّة النبويّة القطعية المتواترة قد نصّت على الإمامة ـ الإمامة الكلامية التي تقع في قبال مدرستي الأشعريّة والمعتزلة ـ والخلافة لعلي وأهل بيته عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله، سواء على البعد السياسي أو الفقهيّ أو الفكريّ. فالرسول صلى الله عليه وآله كان إماماً للأمة وقائداً سياسيّاً وحاكماً دينيّاً ومرجعاً فقهيّاً وفكريّاً، وأسوة يقتدى به. وجميع هذه الأبعاد ـ إلا ما استثني ـ هي موجودة لأهل البيت عليهم السلام بمقتضى الآيات القرآنية والسنّة النبويّة القطعيّة.

وقد دلّت الشواهد القرآنيّة والتاريخيّة على أنّ هناك جهوداً كبيرة قد بذلت، ومن جهات متعدّدة لإقصاء دور أهل البيت عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله على جميع الأصعدة وليس السياسة فقط. وهذه الاتّجاهات والأحزاب قد تشكّلت في حياة النبي صلى الله عليه وآله كما يشير إلى ذلك بعض الكتّاب.

أمّا الشاهد القرآنيّ: فهو ما ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) أي أنّ هناك جبهة داخليّة تعارض هذا الأمر الدينيّ المهمّ، والذي يعدّ إبلاغه عدم إبلاغ للرسالة بكاملها.

فالآية عبّرت بـ :

أوّلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ أي أنّه أمر من الله لإبلاغ الرسالة.

ثانياً: ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي أنّه أمر نازل من الله.

ثالثاً: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أي إنّ جهود هذه السنين الطويلة يعادلها هذا الإبلاغ.

رابعاً: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يظهر أنّه كانت هناك جبهة داخليّة، وعدوّ داخلي، ولم يكن عدو خارجيّ؛ لأنّ العدو الخارجي لم يكن قادراً على الوقوف أمام هذه الدعوة في ذلك الزمان لقوّة حكومة النبي صلى الله عليه وآله.

أمّا الشاهد التاريخيّ: فهو تلك المجزرة الشنيعة التي قامت بها تلك الاتّجاهات والأحزاب بحقّ الإمام الحسين عليه السلام بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

ولم تكن السنّة النبويّة خافية عن الذين عايشوا الرسول صلى الله عليه

وآله، وكانوا محيطين به في ليله ونهاره، وفي كلّ صغيرة وكبيرة، وكانوا عالمين بالمشروع الرسالي الضخيم الذي كان يخطّط له الرسول صلى الله عليه وآله. فهؤلاء اتّضحت لهم القضية بكشل جليّ من خلال القرأن الكريم والسنّة النبويّة التي عايشوها وعاصروها.

فكانت مخالفتهم مخالفة بعد علم، وبعد ما تبيّن لهم الهدى، ولم تكن إمامة أهل البيت عليهم السلام غامضة وغير واضحة لكي يُتصوَّر فيها الاجتهاد، ومن ثمّ الخطأ والصواب في الاجتهاد. بل كانت للمحيطين بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واضحة جدّاً، وكانوا على بيّنة من المشروع والدور الذي عُهد من قبل الرسول صلى الله عليه وآله للإمام علي والأئمة من بعده عليهم السلام، في إدامة دور الرسول صلى الله عليه وآله.

ومن هنا يتّضح ـ وعلى نحو الجملة الشرطية ـ أنّه إذا ثبت كون النبيّ بلّغ إمامة أهل بيته عليهم السلام، وخولف صلى الله عليه وآله، عند ذلك يدخل المخالف لذلك الأمر تحت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ (محمد: ٣٢).

الإمامة وطبقات المنكرين

إنّ الناس في ما يتعلّق بالاعتقاد بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام يمكن تصنيفهم إلى أصناف:

الطبقة الأولى: الذين قتلوا أئمة أهل البيت عليهم السلام، ونصبوا لهم العداء، وأقصوهم عما وضعهم الله ورسوله فيه، وهؤلاء هم النواصب.

الطبقة الثانية: الذين تمّت عليهم الحجة في إثبات إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن كذّبوا، وهؤلاء هم مصداق الذين شاقّوا الرسول من

بعد ما تبيّن لهم الهدى، وهؤلاء سيحبط أعمالهم، وما يعاملون في الآخرة معاملة من لا عمل له، وهي معاملة الكافر، وإن كانوا مسلمين ولهم أحكام الإسلام في الدنيا.

الطبقة الثالثة: وهي طبقة عموم المسلمين، وهي الطبقة الأوسع بين المسلمين وهم أولئك الذين أحبّوا أهل البيت عليهم السلام، ولم يعادوهم، بمقتضى الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣) وبمقتضى الأحاديث المتواترة من الفريقين من أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحبّ علياً وفاطمة والحسن والحسين ...

وهذه الطبقة أحبّت أهل البيت عليهم السلام، وقامت بالواجبات وتركت المحرّمات إلا أنّهم لا يعتقدون بإمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهم على أصناف:

الصنف الأول: الذين لا يمكنهم التمييز بين الحقّ والباطل من الناحية الفكرية. أي عندما تعرض أمامه أدلّة هذا الطرف، وأدلّة الطرف الآخر، لا يمكنهم الحكم باحقّية أحد الطرفين، وكثير من الناس على هذا المستوى.

الصنف الثاني: الذين لم يسمعوا بمسألة إمامة أهل البيت عليهم السلام، لأيّ سبب من الأسباب، ولأيّ مانع من الموانع، فهؤلاء لم يسمعوا أنّ أهل البيت ممّن نصّ عليهم الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّهم معصومون، وتجب طاعتهم، وهذا هو حال الكثير من المسلمين في العالم.

الصنف الثالث: الذين سمعوا بإمامة أهل البيت عليهم السلام، ولهم القدرة على التمييز بين الحقّ والباطل، إلا أنّهم كانوا يعتقدون بصدق علمائهم، ولما سمعوا بمسألة الإمامة رجعوا إلى علمائهم، وإلى من يثقون بهم، فقالوا لهم إنّ الحقّ بهذا الاتّجاه دون ذاك الاتّجاه.

والأسلوب المتّبع في هذا الصنف غير مختصّ بمدرسة دون مدرسة، بل كلّ إنسان عندما تعرضه مسألة أو شبهة يلجأ إلى من يثق به.

وهذه الأصناف الثلاثة ينطبق عليها عنوان «الجاهل القاصر» حسب اصطلاح علماء الكلام والفقه، ويعبّر عنهم بـ «المستضعفين» بحسب الاصطلاح القرآني؛ قال تعالى في سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧).

فهؤلاء هم ظالمو أنفسهم، ولم يكن ربّك بظلّام للعبيد، وهم غير معذورين، لأنّه كان بالإمكان أن يذهب أيّ منهم إلى مكان آخر، ويسمع الحقّ، أو يقيم أحكام الحقّ.

نعم، إنّ الآية استثنت من هؤلاء صنفاً فقالت: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩٨). فهؤلاء مستثنون من قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء: ٩٧).

في ذيل هذه الآية المباركة هناك مجموعة من الروايات القيمة الواردة في هذا المجال:

- منها: عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ...﴾ **قال: لا يستطيعون سبيل أهل الحقّ فيدخلون فيه ولا يستطيعون حيلة أهل النصب فينصبون،** قال: **هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها ولا ينالون منازل الأبرار**».[1]

- ومنها: عن إسماعيل الجعفي قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن

---

(١) **تفسير العيّاشي**، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٩.

الدين الذي لا يسع العباد جهله؟ **فقال: الدين واسع، ولكنّ الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم**. قلت: جعلت فداك فأحدّثك بديني الذي أنا عليه؟ فقال: بلى. فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله وأتولّاكم وأبرأ من عدوّكم ومن ركب رقابكم وتأمّر عليكم وظلمكم حقّكم. فقال: **ما جهلت شيئاً! هو والله الذي نحن عليه**. قلت: فهل يسلم أحد لا يعرف هذا الأمر؟ فقال: **لا إلّا المستضعفين**. قلت: من هم؟ قال: **نساؤكم وأولادكم**. ثمّ قال: **أرأيت أم أيمن؟ فإنّي أشهد أنّها من أهل الجنّة وما كانت تعرف ما أنتم عليه**».[1]

وهذه الرواية أشارت إلى حال المستضعفين الذين لم يعرفوا أمر الإمامة، بعد الاعتقاد بالتوحيد والنبوّة.

• ومنها: عن ضريس الكناسي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ... إلى أن يقول: «قلت: أصلحك الله فما حال الموحّدين المقرّين بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال:

أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرتهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنه يخدّ له خدّ إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة فيلقى الله سبحانه بحسناته وسيّئاته، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله.

وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، فأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنّهم يخدّ لهم خدّ إلى النار التي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة

---

(١) الأصول من الكافي: الحديث ٦، باب المستضعف ج ٢ ص ٤٠٥.

الحميم إلى يوم القيامة، ثمّ مصيرهم إلى الحميم ثمّ في النار يسجرون، ثمّ قيل لهم: أينما كنتم تدعون من دون الله؟ أين إمامكم الذي اتّخذتموه دون الامام الذي جعله الله للناس إماما؟».[١]

من هو المستضعف؟

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن المستضعف، فقال: «**ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه**»[٢] فهنا شروط:

أولاً: إنّ المستضعف هو الذي لم تبلغه الحجّة.

ثانياً: إنّ المستضعف هو الذي لا يعي الحجّة ولا يفهمها وإن بلغته. وهذا هو الجاهل القاصر.

ومن هنا يتّضح: أنّ الجاهل المقصّر هو الذي وصلته الحجّة، وله القدرة على إدراكها والتمييز بين الحقّ والباطل، ومع ذلك لم يؤمن.

عن عليّ بن سويد أنّه سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن الضعفاء، فأجابه الإمام: «**فالضعيف من لم يرفع إليه حجّة ولم يعرف الاختلاف، فإذا عرف الاختلاف فليس بضعيف**»[٣].

قوله: «لم يرفع» أي لم تصل إليه الحجّة، ولم يكن في معرض وصول الحجّة إليه، لسبب من الأسباب، إما لأنّه يعيش في منطقة نائية لا تنالها يد الوصول، أو أنّه لم يتصور وجود حقّ غير ما هو عليه، وهذا هو حال كثير من الناس، فإنّهم يعتقدون أنّ ما هم عليه هو الحقّ ولا حقّ غيره. وهذا

---

(١) **الأصول من الكافي**، مصدر سابق: الحديث ١، ج ٣ ص ٢٤٦.

(٢) **نهج البلاغة**، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة الدكتور صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م: الخطبة ١٨٩.

(٣) **الأصول من الكافي**: ج ٨ ص ١٢٥.

الإنسان معذور، وإن لم يكن على الحقّ؛ لأنّه جاهل قاصر.

لكن من عرف الاختلاف، وعلم أن هناك مدارس واتّجاهات، فهو ليس بضعيف، ولا يحقّ له أن يقول: أنا على دين آبائي وأجدادي، بل عليه السؤال والبحث عن الحقّ في المسألة.

قوانين الدخول إلى الجنّة

دلّت الآيات القرآنيّة والنصوص الروائيّة على أنّ الدخول إلى الجنّة يكون على أساس قانونين لا على أساس قانون واحد.

القانون الأول: قانون الوعد الإلهي

ذكر القرآن الكريم دخول المؤمنين الجنّة، كما في قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ * خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (لقمان: ٨ ـ ٩). ولكن هذا الدخول قائم على أساس الوعد الإلهي، ومعنى الوعد الإلهي هو ما كتبه ربّنا على نفسه من أنّه سوف يُدخل الجنة كلّ من آمن وعمل صالحاً.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٩).
- وقال تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ (النساء: ١٢٢).
- وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يونس: ٥٥).
- وقال تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الروم: ٦)، وعشرات الآيات بهذا المضمون.

وهذا ما يعبّر عنه بـ «يجب عن الله» لا أنّه «يجب على الله» سبحانه وتعالى، أي يكون للإنسان حقّ، ولكنّ منشأ الحقّ هو الوعد الإلهي لما كتبه على نفسه، ولأنّه لا يخلف الميعاد بخلاف الوعيد الإلهي فإنّه قابل للتخلّف.

القانون الثاني: إنّ الله سبحانه وتعالى جعل الدخول إلى الجنّة مرجى لأمره، فإما أن يُدخل العبد الجنة، وإما أن لا يدخله، ولكن هناك قانوناً آخر، من قوانين نشأة الآخرة، وهو قانون «ورحمتي سبقت غضبي» فالإنسان مرجى لأمر الله في الدخول إلى الجنّة وعدم الدخول، ولكن بحسب هذا القانون سوف يدخل الجنّة؛ قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ١٠٦) فهم يرجون دخول الجنة، فهو لم يكتب على نفسه دخول الجنّة لهذه الطائفة ـ كما في القانون الأول ـ وإنّما يعلم الله سبحانه وتعالى من يعذّبه ومن يغفر له، وعلمه وحكمته حاكمة، فلا يعذّب إلّا لعلمه وحكمته، ولا يغفر إلا لعلمه وحكمته.

وهذا ما أشارت إليه الرواية السابقة عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**فيحاسبه بحسناته وسيّئاته فإما إلى الجنّة وإمّا إلى النار فهؤلاء موقوفون لأمر الله**».[1]

فهذه الطبقة ـ وهي الطبقة الثالثة والمعبّر عن أحدهم بالجاهل القاصر أو المستضعف ـ تدخل الجنّة ولكن وفق القانون الثاني (المرجون لأمر الله) لا القانون الأول (الوعد الإلهي) لأنّهم موقوفون لأمر الله سبحانه وتعالى.

وكذلك ما رواه أبو حمزة، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «**إنّ عليّاً باب فتحه الله تعالى من دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً، ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تبارك وتعالى: لي فيهم المشيئة**».[2]

وقوله: «**ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تبارك**

---

(١) الأصول من الكافي: الحديث ١، باب جنة الدنيا، ج ٣ ص ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ج ١ ص ٤٣٧.

وتعالى: **لي فيهم المشيئة**» إشارة إلى الطبقة الثالثة، يعني إما أن يعذّبهم، وإما أن يتوب عليهم، ولكنّهم يدخلون الجنّة وفق قانون «ورحمتي سبقت غضبي».

وفي رواية صحيحة السند عن يعقوب بن شعيب قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام : **هل لأحد على ما عمل ثواب على الله موجب إلّا المؤمنين؟** قال : **لا**»[١].

فالمؤمن يدخل الجنّة بالوعد الإلهي، وأمّا غير المؤمن فيدخل الجنّة بحسب قانون «ورحمتي سبقت غضبي».

ثمّ إنّ للذين يدخلون الجنّة بالوعد الإلهي درجات من الجنّة لا ينالها الداخلون الجنّة بالفضل الإلهي. وهذا ما أشارت إليه رواية أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها ولا ينالون منازل الأبرار**»[٢].

موانع دخول الجنة

من أهمّ حقائق الجزاء الأخروي كون البغض ونصب العداء لأهل البيت مانعاً من الدخول إلى الجنّة، بل يكون صاحبه من الخالدين في النار ـ كما سيأتي بيانه ـ وإن كان من الموحّدين ظاهراً، فإن مثل هؤلاء يخرجون من هذه النشأة وهم مسلوبو الإيمان والتوحيد.

فسواء كان الإنسان مؤمناً بالله تعالى ظاهراً أو باطناً، أو باطناً وظاهراً، فإنه في أول ضغطة من القبر يسلب عنه الإيمان والتوحيد، فيحشر ولا

---

(١) **الأصول من الكافي**، مصدر سابق: الحديث ١، ج ٢ ص ٤٦٣.

(٢) **تفسير العيّاشي**، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٩.

توحيد له، وإذا لم يكن له توحيد فسوف يكون مخلداً في نار جهنم، كما صرحت بذلك الروايات الكثيرة، وعبّرت عنه بـ «الناصبيّ» أي الذي نصب العداء والبغض لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

مصير الجاحد لإمامة أهل البيت عليهم السلام

من الثابت تاريخيّاً أن أهل البيت عليهم السلام ـ بدءاً من الإمام أمير المؤمنين وقبله الصديقة الطاهرة إلى الحسن والحسين وسائر الأئمة المعصومين ـ تعرّضوا لأنواع المعاندة والبغض والتشريد والقتل، وكلّ ما يمكن أن يؤدّي إلى أقصائهم. وأيّ بغض أكثر من قتلهم، كما فعلوا مع الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك ما نجده الآن من معاداة لأهل البيت عليهم السلام من خلال معاداة أتباعهم.

وقد تعرّض الزمخشري لبيان حال المبغضين لأهل البيت عليهم السلام من خلال نقل هذه الرواية: «**ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنة**»[١]. وإذا كان الإنسان آيساً من رحمة الله التي وسعت كل شيء، فلا يبقى له إلا الطرد من رحمته تعالى.

ثم إنّ لفظ «آل محمد» غير مختصّ بأصحاب الكساء ـ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ـ بل يشمل كلّ من ينطبق عليه عنوان «أهل البيت». وعليه فعندما يقال «أهل البيت» أو «آل البيت» فلا يتبادر إلى

---

(١) **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، وهو تفسير القرآن الكريم، للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨هـ): ج ٣ ص ٨٩ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان: ج ٣ ص ٤٦٧.

الذهن أنّ المراد أعمامه وأولاد عمومته أو نساؤه، وإنما هذا العنوان ينصرف إلى هؤلاء الأئمة، بل هو مختصّ بهم عليهم السلام كما أوضحنا ذلك في مباحث آية التطهير.

ومن هنا تتّضح دلالة هذه النصوص على لعن قتلة أهل البيت، والناصبين العداء لهم. فإن الرواية قالت: «**ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله**»(١) أي مطرود من رحمة الله، والطرد من رحمة الله هي اللعنة.

واللعن لهؤلاء ليس دعاء، بل هو إخبار، أي إخبار عن حال هؤلاء، وأنّهم قد بلغوا من دركات الجحيم مبلغاً لا يمكن أن تشملهم الرحمة الإلهية.

روى الطوسي في أماليه عن عمار الساباطي عن أبي عبدالله عليه السلام: «... **من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاءه منكراً لحقّنا، جاحداً لولايتنا، أكبّه الله تعالى يوم القيامة في النار**».(٢)

هذه الرواية من الروايات التي تحتاج إلى تقييد وبيان مصاديقها؛ لأنّ مثل هذه الروايات صارت منشأً للتصور الخاطئ: من أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تعتقد أن الذين يدخلون الجنّة هم فقط أتباع أهل البيت، أما غير أتباع أهل البيت فكلّهم في النار.

لكنّ الأمر ليس كذلك، فليس كلّ من قال أنا شيعي فقد نجا من النار ولا يدخلها، بل قد يدخلها ولكن لا يخلد. وليس كلّ من لم يعرف أهل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**: الحديث ٧، باب أن الحسنة والحسنى الولاية لأهل البيت، والسيئة عداوتهم، ج ٢٤، ص ٤٣.

البيت عليهم السلام ولم يؤمن بولايتهم لا يدخل الجنة، فلعله قد يدخل الجنة ولكن بشرائط.

ولا تريد هذه الرواية القول: إنّ كلّ من لم يعرف أهل البيت عليهم السلام سوف يكّب يوم القيامة في النار، فالإنسان الذي يعيش مثلاً في غابات الأمزون ولم يسمع بأهل البيت عليهم السلام، لا يكّبه الله تعالى في يوم القيامة في النار، وإنّما هذا جزاء الجاحد، والجحود لا يكون إلا عن بيّنة وعلم، والإنكار لا يكون إلا بعد المعرفة، ولا معنى لأن ينكر الإنسان ما لا يعرف، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل: ١٤) فهؤلاء هم الذين يكّبهم الله تعالى يوم القيامة في النار.

تشبيه الجاحد لإمامة أهل البيت بالكافر

ورد في الروايات تشبيه الجاحد بالكافر، أي يعاملون معاملة الكافر يوم القيامة في حبط الأعمال. قال السيد الخوئي: «ومنه ـ أي من الإسلام ـ ما يقابل الإيمان ويحكم بطهارته واحترام دمه وماله وعرضه كما يجوز مناكحته وتوريثه إلا أنّ الله سبحانه يعامله معاملة الكفر في الآخرة. وقد كنّا سمينا هذه الطائفة في بعض أبحاثنا بمسلم الدنيا وكافر الآخرة»[1].

وليس المراد من جعل المسلم هنا في قبال المؤمن أنه لا إيمان له، بل له إيمان بالله وبرسوله وبالمعاد، ولكن في اصطلاح روايات أهل البيت عليهم السلام: أن من لم يؤمن بإمامة أهل البيت لا يسمّي مؤمناً بالإيمان الخاصّ.

فالسيد الخوئي لا يريد أن يقول إنّ هؤلاء كفّار، وإنّما يريد أن الله تعالى

---

(١) التنقيح في شرح العروة الوثقى، السيد الخوئي، ج ٣ ص ٦٤.

يعاملهم معاملة الكفار، وإلا لو كان غير الشيعيّ كافراً فكيف يصحّ توريثه؟ وكيف يحكم بطهارته؟ وكيف يكون محقون الدم والعرض؟!

والمراد من معاملته معاملة الكافر هو حبط عمله، فلا يثاب يوم القيامة على الأعمال التي قام بها في الحياة الدنيا. وهذا ما بيّنته الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ومن هنا يتّضح عدم صحّة ما ينسب إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام من أنّهم يقولون بكفر المسلمين، وهذا ما ورد في الرواية التالية عن أبي عبد الله عليه السلام:

«قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ، قال: **الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، ... فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبيّة ... وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنّه حقّ، قد استقرّ عنده وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾**».[1]

وكذلك في ما يتعلّق بالحجّ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(آل عمران: ٩٧) فمن وجب عليه الحجّ ولم يأت به فقد كفر.

وإطلاق الكفر على من ترك الحجّ شامل لأتباع أهل البيت، وغير مختصّ بغيرهم، ففي الرواية يقال له: **مت يهوديّاً أو نصرانيّاً**.

ففي رواية صحيحة السند: «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **من مات**

---

(١) **الأصول من الكافي**: الحديث ١، الباب وجوه الكفر، ج ٢ ص ٣٩٠.

ولم يحجّ حجّة الإسلام ـ بعد توفّر الشروط ـ **لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطانٌ يمنعه فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً»**(١).

إذن فيما يتعلّق بالناصبيّ فالكلام فيه أنه هل هو مسلم؟ وأما الجاحد ممن لم ينصب العداء لأئمة أهل البيت عليهم السلام فهو محكوم بالإسلام في الدنيا، ويعامل معاملة الكافر في الآخرة.

من هنا يتّضح مضمون كثير من الروايات الواردة في هذا المجال:

• منها رواية صحيحة، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالّاً، ومن عدل بينه وبين غيره كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار**»(٢).

فنحن نعتقد أنّ الحجّة تمّت من القرآن الكريم، ومن السنّة النبويّة العطعية، على البعض دون الجميع. والمراد من معرفة علي عليه السلام هو الاعتقاد بإمامته، وأنّه حجّة الله على خلقه. وهذا الاعتقاد والإيمان هو الإيمان الخاصّ الوارد في لسان الروايات، لا أنّ هؤلاء ليسوا بمؤمنين أصلاً.

والإنكار هنا في لسان هذه الرواية هو الإنكار بمعنى الجحود أي الإنكار بعد المعرفة، وبعد ما تبيّن له الهدى. فمثل هذا الإنسان حكمه حكم المسلم في الدنيا، ولكن يعامل معاملة الكافر في الآخرة.

---

(١) المصدر السابق: الحديث ١، باب من سوّف الحج وهو مستطيع، ج ٤ ص ٢٦٨.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٦٣، ج ٣٨ ص ١١٩.

المبحث التاسع عشر

الشفاعة

- الشفاعة لغة واصطلاحاً
- الشفاعة في نظام التكوين
- الشفاعة في نظام التشريع
- إثبات الشفاعة التشريعية
- معالجة التعارض بين الصنفين
- حقيقة فعل الشفيع
- أثر الشفاعة
- شرائط المشفوع لهم
- شفعاء الشفاعة التشريعية في الآخرة

الشفاعة لغة

قال الراغب في «المفردات»: «الشفْع: ضمّ الشيء إلى مثله، ويقال للمشفوع شفْعٌ، والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى»[١].

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «الشفْع خلاف الوتر وهو الزوج، تقول: كان وتْراً فشفعْتُه شفْعاً أي صيّرته زوجاً، والشفيع: الشافع، والجمع: شفعاء، والشفيع من الأعداد: ما كان زوجاً، تقول: كان وتراً فشفعته بآخر»[٢].

وقال الفارسي: «استشفعه: طلب منه الشفاعة، أي قال له: كن لي شفيعاً، وشفع إليه في معنى طلب إليه، والشافع والشفيع: الطالب لغيره يتشفّع به إلى المطلوب، والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تُقبل شفاعته، والشَفْعة والشُفْعة في الدار والأرض: القضاء لصاحبها»[٣].

من هنا عرّفها الطباطبائي في «الميزان» فقال: «الشفاعة: هي من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينضمّ إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفَع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريده لما لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها»[٤].

---

(١) **المفردات في غريب القرآن**، مصدر سابق: ص ٢٦٣.

(٢) **لسان العرب**، العلاّمة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت: مادة «شفع».

(٣) المصدر نفسه: ج ٧ ص ١٥١.

(٤) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١ ص١٥٧

الشفاعة اصطلاحاً

المعنى الاصطلاحي لأيّ مفردة لا يأتي بعيداً عن المعنى اللغوي لها، من هنا تأتي أهمّية المعاني اللغوية للمفردات لأنها تعدّ البذرة التي تبلور المعنى الاصطلاحي؛ مما يسهّل بناء النظرية على نحو منسجم لا تتعارض فيه المعاني اللغوية والاصطلاحية.

بناءً على ذلك نجد أن المعنى اللغوي للشفاعة بقي محفوظاً في الاستعمال الاصطلاحي أيضاً، لذا نحاول الوقوف على بعض استعمالات الشفاعة عند العرف العامّ والعرف الخاصّ.

الأول: هو المتعارف والمستخدم في المجتمعات العقلائية.

الثاني: هو الذي ورد في القرآن الكريم وروايات النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

هذان الاستعمالان وإن اشتركا في المعنى اللغوي، إلا أنّ المصداق لكلّ منهما لا علاقة له بالآخر، ومن خلال التمييز بينهما يمكن الإجابة على العديد من الإشكالات التي تثار على الشفاعة بصورة عامّة.

١. الشفاعة العقلائية

تختصّ الشفاعة العقلائية بالأمور التشريعية ولا علاقة لها بالأمور التكوينية. بيان ذلك: إن الإنسان إذا مرض لا يذهب إلى من يشفع له ليشفى من مرضه بل يذهب إلى الطبيب المختصّ ليعالج مرضه، وإذا عطش لا يذهب إلى من يتوسّل إليه لكي يرفع عطشه بل يشرب الماء ليرتوي به، وهكذا في جميع القضايا التي تتعلّق بحاجات الإنسان وشؤونه الوجودية. وبعبارة جامعة: إن جلّ الموارد التي تستعمل فيها الشفاعة العقلائية إما هي لجلب المنفعة والخير أو لدفع المضرّة والشرّ، لكن لا كلّ

نفع وضرر ولو كان في الأمور التكوينية، وإنما تلك المنافع والمضارّ التي تستتبعها التشريعات والقوانين المشتملة على الأوامر والنواهي الشرعية أو الوضعية، لأن المقنّن ـ سواء كان هو الله تعالى أو غيره ـ جعل قوانين أخرى جزائية تهدّد وتعاقب المتخلّفين المتعدّين على حقوق غيرهم، وتُخوّفهم بالسيّئة قبال السيّئة، وبأخرى تشوّقهم وترغّبهم في عمل الخيرات.

في ضوء هذه الحقيقة يأتي دور الشفاعة المتعارفة لدى العقلاء، حيث يحاول المطيع أو المذنب أن يجد قريباً أو صديقاً أو وجيهاً ليشفّعه وليوسّطه في ما بينه وبين الحاكم أو من بيده الجزاء لكي يثيبه ويجازيه مثلاً فوق استحقاقه، أو يعمل على أن لا تترتّب عليه تبعة ارتكابه للنواهي أو مخالفته للأوامر السائدة في مجتمعه.

بعبارة واضحة إذا أراد الإنسان أن ينال كمالاً وخيراً مادّياً أو معنويّاً وليس عنده ما يستوجب ذلك بحسب القوانين والتشريعات الاجتماعية، أو أراد أن يدفع عن نفسه شرّاً متوجّهاً إليه من عقاب المخالفة وليس عنده ما يدفعه، أي أراد نيل ثواب من غير تهيئة أسبابه أو التخلّصَ من عقاب من غير إتيان التكليف المتوجّه إليه، فذلك هو مورد الشفاعة العقلائية.

والحاصل أن الشفاعة لدى العرف والعقلاء تمتاز بخصوصيتين هما:

• إنها تختصّ في الأمور التشريعية ولا تَعمّ الشؤون الوجودية والتكوينية.

• إنها لا تخضع لضابطة محدّدة بلحاظ ضوابط عالَمي التشريع والتكوين، بل هي قائمة على أساس الوجاهة أو الرابطة الخاصّة من قربى أو بذل مال أو غير ذلك من الأمور التي تؤثّر على الحاكم أو من بيده تحديد القرار، فيعفو عن المذنب الذي لا يستحقّ العفو ويعطي غير المستحقّ ما لا يستحقّه.

٢. الشفاعة في اصطلاح القرآن

استعمل القرآن الشفاعة في موردين: فتارة تُطلق الشفاعة ويراد بها: الشفاعة في نظام التكوين، وهذه هي: الشفاعة التكوينية.

وأخرى تطلق ويراد بها الشفاعة في نظام التشريع أي عالم الأوامر والنواهي والتبعات المترتّبة على الامتثال وعدمه، وهذه هي: الشفاعة التشريعية.

الشفاعة في نظام التكوين

من الحقائق التي أثبتها القرآن أنه ما من حياة وموت ورزق وعطاء ومنع وحوادث أخرى علوية سماوية أو سفلية أرضية إلاّ ولها أسباب طبيعية. وهذا ما تثبته ضرورة العقل الفلسفي أن النظام الكوني قائم على أساس سلسلة الأسباب والمسبّبات وارتباط كلّ ظاهرة من الظواهر الكونية بعلّة وسبب، كما تعتمد عليه الأبحاث العلمية في استدلالاتها، حيث تعلّل الحوادث والأمور المربوطة بها بما تجده من أمور أخرى صالحة للتعليل. وهذا ما فُطر الإنسان عليه حيث يعتقد أن لكلّ حادث مادّي علّة توجبه، من غير تردّد وارتياب.

ولا نعني بالسبب والعلّة إلاّ أن يكون هناك أمر واحد أو مجموع أمور إذا تحقّقت في الطبيعة مثلاً تحقّق عندها أمر آخر نسمّيه المعلول والمسبَّب. وهذا ما يثبته الاستقراء ومنطق الاحتمال أيضاً، حيث نرى أنه كلّما تحقّق احتراق مثلاً لزم أن يتحقّق هناك علّة موجبة له من نار أو حركة أو اصطكاك أو نحو ذلك؛ من هنا كانت الكلّية وعدم التخلّف من أحكام قانون العليّة والمعلولية ولوازمهما.

ولكن جميع ذلك إنما هو بإذن الله تعالى. والمقصود بالإذن الإلهي هو أن

عمل الأسباب وتأثيرها إنما هو بإقدار الله لها حدوثاً وبقاءً؛ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لعباية بن ربعي الأسدي عندما سأله عن الاستطاعة «**إنك سألت عن الاستطاعة، فهل تملكها من دون الله أو مع الله؟**» فسكت عباية، فقال له الإمام عليه السلام: **قل يا عباية**، فقال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟

لقد صار عباية في موقف حرج لأنه إن قال إنه يملكها مع الله فهو الشرك وإن قال يملكها من دون الله فهو الاستقلال، عندئذ علّمه أمير المؤمنين؛ قال: **تقول: «إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملّكك إيّاها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، فهو المالك لما ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك»**[1].

إذن فنظام السببية قائم فاعل في الوجود، والرابطة ضرورية بين العلّة والمعلول والسبب والمسبّب، لكن هذه القوانين والعلائق الضرورية لا تعمل على نحو الاستقلال كما تعمل الأربعة بالنسبة إلى الزوجية، بل بما أفاده الله عليها من الضرورة، وبذلك لا يمكن أن تكون هذه القوانين معزولة عن الله، بل هي بحاجة إليه حدوثاً وبقاءً، كما لا يمكن أن تكون أيضاً حاكمة عليه، كيف وهو سبحانه الموجد والمُبقي لها الغالب عليها المالك على الإطلاق.

عن هذه الحقيقة يكتب الطباطبائي في تفسيره: «وقد بيّن القرآن الشريف على ما يُفهَم من ظواهره قوانين عامّة كثيرة في المبدأ والمعاد وما رتّبه الله تعالى من أمر السعادة والشقاوة ثم خاطب النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩).

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ج١ ص٣٩.

لكنّها جميعاً قوانين كلية ضرورية، إلا أنها ضرورية لا في أنفسها وباقتضاء من ذواتها، بل بما أفاده الله سبحانه عليها من الضرورة واللزوم، وإذا كانت هذه الحكومة العقلية القطعية من جهته تعالى وبأمره وإرادته، فمن البيّن أن فعله تعالى لا يجبره تعالى على مؤدّى نفسه، ولا يغلبه في ذاته، فهو سبحانه القاهر الغالب، فكيف يغلبه ما ينتهي إليه تعالى من كلّ جهة ويفتقر إليه في عينه وأثره (ذاته وفعله).

فمن المحال أن يكون العقل الذي يحكم بما يحكم بإفاضة الله ذلك عليه أو تكون الحقائق التي إنما وجدت أحكامها وآثارها به تعالى، حاكمة عليه تعالى مقتضية منه بالحكم والاقتضاء اللذين هو المُبقي لهما القاهر عليهما. وبعبارة أخرى: ما في الأشياء من اقتضاء وحكم إنما هو أثر التمليك الذي ملّكه الله إياها، ولا معنى لأن يملك شيءٌ بالملك الذي ملّكه الله بعينه منه تعالى شيئاً، فهو تعالى مالك على الإطلاق، غير مملوك بوجه من الوجوه أصلاً»[1].

ولأجل ذلك اتّفقت كلمة الفلاسفة والمتكلّمين ـ إلاّ من شذّ من المعتزلة ـ على أنه لا مؤثّر مستقلّ في الوجود إلا الله تعالى، وأنّ غيره مفتقر في الوجود والتأثير إليه سبحانه، ضرورة أنها لو كانت هذه الأسباب والفواعل الطبيعية مستقلّة في التأثير، للزم أن تكون مستقلّة في الوجود أيضاً؛ لبداهة أن الاستقلال في العلّية فرع الاستقلال في الوجود، ولو سلّمنا الاستقلال في التأثير فلا محالة قد سلّمنا قبله الاستقلال في الذات، وهو يساوق كون الشيء واجباً غنياً عن العلّة، وقد فرض أنه ليس كذلك، هذا خلف.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٦ ص ٢٥٤.

وهذه هي نظرية الإمكان والفقر الوجودي للفيلسوف الإسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي، حيث أثبت من خلال تحليل مبدأ العلّية أن حقيقة الأشياء الخارجية هي عين التعلّق والارتباط، لا أنها متّصفة بالفقر والحاجة[١].

«ولعلّ جملة من الآيات القرآنية تثبت هذه الحقيقة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥) فقصر الفقر فيهم وقصر الغنى فيه سبحانه، فكلّ الفقر فيهم وكلّ الغنى فيه سبحانه، وإذا كان الغنى والفقر وهما الوجدان والفقدان متقابلين لا يرتفعان عن موضوعهما، كان لازم القصر السابق قصر آخر وهو قصرهم في الفقر وقصره تعالى في الغنى، فليس لهم إلا الفقر وليس له تعالى إلا الغنى. فالله سبحانه غنيّ بالذات له أن يذهبهم ويستغني عنهم، وهم فقراء بالذات ليس لهم أن يستغنوا عنه بغيره»[٢].

وهذه هي نظرية مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الفواعل الطبيعية، حيث آمنت أن هناك طولية في الفاعلية، ولعلّ هذا ما يقتضيه الجمع بين الآيات، فالله سبحانه أوجد بعض الأفعال مباشرة وبلا واسطة، وبعضاً أوجدها مع الواسطة، بالمعنى الذي يفيد أن لهذه الواسطة أثراً في إيجاد الفعل لكن بإقدار الله، وهذا الإقدار لا يستقلّ بالأثر بل هو محتاج إليه سبحانه حدوثاً وبقاءً. فالله جلّ جلاله لا يمنح القدرة للسبب الطبيعي ثم ينعزل، بل تتّسم العلاقة بالدوام، لأن ذلك السبب قائم به حدوثاً وبقاءً ككلّ شيء في نظام عالم الوجود الإمكاني، وهذا معنى أنه تعالى «حيّ قيّوم».

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٥٣.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٧ ص٣٣.

في ضوء هذه الحقيقة استعمل القرآن الشفاعة في مورد التكوين، وأراد بها توسّط العلل والأسباب بينه تعالى وبين مسبّباتها في تدبير أمرها وتنظيم وجودها وبقائها. فكلّ سبب من الأسباب يشفع عند الله لمسبّبه بالتمسّك بصفات فضله وجوده لإيصال نعمة الوجود إلى مسبّبه، فنظام السببية بعينه ينطبق على نظام الشفاعة.

الآيات الدالّة على الشفاعة التكوينية

▪ **الآية الأولى:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ...﴾ (البقرة: ٢٥٥).

ولكي تتّضح دلالة الآية؛ هل الشفاعة الواردة فيها هي التكوينية فقط أم الأعمّ من التكوينية والتشريعية، لابدّ من الوقوف على بعض المقاطع التي سبقت قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

• ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ فيعول من (قام، يقوم) وهو وزن مبالغة، وأصله قيْوُوم، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً وأُدغمتا، وهو وصف يدلّ على المبالغة، والقيام حفظ الشيء وفعله وتدبيره وتربيته والمراقبة عليه والقدرة عليه، كلّ ذلك مأخوذ من القيام بمعنى الانتصاب؛ للملازمة العادية بين الانتصاب وبين كلّ منها، وقد أثبت الله تعالى أصل القيام بأمور خلقه لنفسه في كلامه حيث قال: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ (الرعد: ٣٣). وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨) فأفاد أنه قائم على الموجودات بالعدل فلا يعطي ولا يمنع شيئاً في الوجود ـ وليس الوجود إلا الإعطاء والمنع ـ إلا بالعدل، بإعطاء كلّ شيء ما يستحقّه، ثم بيّن أن هذا القيام بالعدل مقتضى اسميه الكريمين:

العزيز الحكيم، فبعزّته يقوم على كلّ شيء، وبحكمته يعدل فيه.

والحاصل: لمّا كان تعالى هو المبدأ الذي يبتدئ منه وجود كلّ شيء وأوصافه وآثاره، ولا مبدأ سواه إلا وهو ينتهي إليه، فهو القائم على كلّ شيء من كلّ جهة بحقيقة القيام الذي لا يشوبه فتور وخلل، وليس ذلك لغيره قطّ إلاّ بإذنه بوجه، فليس له تعالى إلا القيام من غير ضعف وفتور، وليس لغيره إلا أن يقوم به.

• ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ مقرّرة لمضمون جملة ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ولرفع احتمال المبالغة فيها. فالجملة منزّلة منزلة البيان لمعنى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ولذلك فُصلت عن التي قبلها. والسنة (فعْلة) من الوسن وهو أوّل النوم، والنوم هو الركود الذي يأخذ حواسّ الحيوان؛ لعوامل طبيعية تحدث في بدنه. ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم، فإن السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس.

وتقديم السِنة على النوم ـ مع أنه خلاف الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لأن المقام مقام الترقيّ، والترقّي في الإثبات إنما هو من الأضعف إلى الأقوى كقولنا: فلان يقدر على حمل عشرة أمنان بل عشرين منّاً، وفي النفي بالعكس كما نقول: لا يقدر فلان على حمل عشرين بل ولا عشرة، فكان ينبغي أن يقال: لا تأخذه نوم ولا سنة ـ فهو لبيان هذه النكتة وهي: لما كان أخذ النوم أقوى تأثيراً وأضرّ على القيّومية من السِنة، كان مقتضى ذلك أن ينفى تأثير السنة وأخْذها أوّلاً، ثم يترقّى إلى نفي تأثير ما هو أقوى منها تأثيراً، ويعود معنى ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ إلى مثل قولنا: لا يؤثّر فيه هذا العامل الضعيف بالفتور في أمره ولا ما هو أقوى منه.

• ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ تقرير لانفراده بالإلهية، إذ جميع الموجودات مخلوقاته، وتعليل لاتّصافه بالقيّوميّة، لأن من كانت جميع الموجودات مِلكاً له تعالى فهو حقيق بأن يكون قيّومها وألاّ يهملها، ولذلك فُصلت الجملة عن التي قبلها.

واللام للمِلك، والمراد من السماوات والأرض استغراق أمكنة الموجودات، فقد دلّت الجملة على عموم الموجودات بالموصول وصلته، وإذا ثبت ملكه للعموم ثبت أنه لا يشذّ عن مِلكه موجود، فحصل معنى الحصر.

إذن فقد تمّ بقوله: ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أن السلطان المطلق في الوجود لله سبحانه، لا تصرّف إلا وهو له ومنه. إذا كان الأمر على ذلك ـ وهو كذلك ـ فما هو إذن دور هذه الأسباب والعلل الموجودة في العالم وما شأنها؟ وكيف يتصوّر فيها ومنها التأثير ولا تأثير إلا لله سبحانه؟

فأجيب بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي إن تصرّف هذه العلل والأسباب في هذه الموجودات المعلولة توسّط في التصرّف، وبعبارة أخرى: شفاعة في موارد المسبّبات بإذن الله سبحانه، فإنما هي شفعاء، والشفاعة ـ وهي بنحوٍ توسّطٌ في إيصال الخير أو دفع الشرّ وتصرّفٌ ما من الشفيع في أمر المستشفع ـ إنما تنافي السلطان الإلهي والتصرّف الربوبيّ المطلق إذا لم ينته إلى إذن الله ولم يعتمد على مشيئة الله تعالى، بل كانت مستقلّة غير مرتبطة. وما من سبب من الأسباب ولا علّة من العلل إلاّ وتأثيره بالله ونحو تصرّفه بإذن الله، فتأثيره وتصرّفه نحو من تأثيره وتصرّفه تعالى، فلا سلطان في الوجود إلا سلطانه، ولا قيّوميّة إلا قيّوميّته المطلقة عزّ سلطانه.

وبهذا يتّضح أن الشفاعة في الآية أعمّ من الشفاعة التكوينية وهي توسّط الأسباب في التكوين، والشفاعة التشريعية التي سيأتي الكلام عنها لاحقاً، وذلك أن هذا المقطع من الآية مسبوق بحديث القيّوميّة والمِلك المطلق الشاملين للتكوين والتشريع معاً، بل إن الحديث عن القيّومية والملك المطلق أكثر انسجاماً مع الشفاعة التكوينية. وعليه فلا موجب لتقييد القيّومية والسلطنة المستفادة من الملكية المطلقة بالأمور التشريعية، حتى يستقيم تذييل الكلام بالشفاعة التشريعية المخصوصة بيوم القيامة، وهي التوسّط في مرحلة المجازاة التي يثبتها الكتاب والسنّة في يوم القيامة.

▪ **الآية الثانية:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٣) ومثله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: ٤).

ذكرت الآية في صدرها خلق السموات والأرض وحدّدت مدة الخلق والإيجاد بستّة أيام، ثم نصّت على سعة قدرة الله تعالى على جميع ما خلق وإحاطته بهم، وأنه بعدما خلق السماوات والأرض استوى على عرش القدرة وأخذ بتدبير العالم.

ثم عقّبت الآية بقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾. والآية لمّا كانت في مقام وصف الربوبيّة والتدبير التكويني، فلابدّ أن يكون المراد من الشفاعة الشفاعة في أمر التكوين، وهي السببية التي توجد في الأسباب التكوينية التي هي وسائط بين الحوادث والكائنات وبينه تعالى، كالنار المتخلّلة بينه وبين الحرارة التي يخلقها. فنفي الشفاعة والسببية عن كلّ شيء

إلاّ من بعد إذنه هو لإفادة التوحيد في الخالقية والتوحيد في التدبير والربوبيّة فلا خالق إلاّ هو ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الرعد: ١٦) كما لا مدبّر إلاّ هو ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الحمد: ٢)، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: ٥). فما يتراءى في صفحة الوجود من الخلق والتدبير فليس على ظاهرهما، وإنما تقوم سائر العلل بالخلقة والتدبير مستمدّاً من حوله وقوّته، فيرجع معنى الآية إلى أنه لا مؤثّر في الكون إلاّ من بعد إذنه.

إذا اتّضح ما قلناه فلا يناسب حمل الشفاعة في الآية على الشفاعة التشريعية التي تدور حول التكاليف والتشريعات وعصيان العباد ومخالفتهم لها، ثم توسيط الشفعاء لغفران ذنوبهم وحطّ سيّئاتهم.

فهذه الآيات ونظائرها تثبت وجود شفاعة في نظام التكوين ووجود شفعاء مأذون لهم من قبل الله تبارك وتعالى أن يتوسّطوا بينه وبين غيره لنشر رحمته التي لا تنفد ونعمته التي لا تحصى إلى خلقه وصنعه.

الشفاعة في نظام التشريع

أنزل الله سبحانه على الإنسان بلطفه وفضله الشرائع ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ (المائدة: ٤٨)، ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨) وأرسل إليه الأنبياء والرسل ليبيّنوا أوامر الله ونواهيه؛ قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ (النساء: ١٦٥) وقال: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (الأنعام: ٤٨) حتى إذا ائتمر بتلك الأوامر وانتهى عن تلك النواهي وصل إلى كماله اللائق به الذي خلقه الله لأجله ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ

﴿وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩) فإذا تحقّق بالعبودية واتّبع النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وصل إلى الغاية المنشودة له. ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (آل عمران: ٣١).

غير أن الإنسان لكي يصل إلى رضوان الله تعالى ينبغي أن يسلك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا يتحقّق ذلك إلا من خلال طرق ثلاثة وهي الخوف والرجاء والحبّ؛ قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ (الحديد: ٢٠). دلّت الآية أن حقيقة الدنيا هي متاع الغرور كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، فعليه أن لا يجعلها غاية لأعماله في الحياة، وأن يعلم أن له وراءها داراً وهي الدار الآخرة فيها ينال غاية أعماله، وهي عذاب شديد للسيّئات يجب أن يخافه ويخاف الله فيه، ومغفرة من الله قبال أعماله الصالحة يجب أن يرجوها ويرجو الله فيها، ورضوان من الله يجب أن يقدّمه على رضا نفسه.

وطباع الناس مختلفة في إيثار هذه الطرق الثلاثة واختيارها:

• فبعضهم ـ وهو الغالب ـ يغلب على نفسه الخوف، وكلّما فكّر في ما أوعد الله الظالمين والذين ارتكبوا المعاصي والذنوب من أنواع العذاب الذي أُعدّ لهم، زاد في نفسه خوفاً ولفرائصه ارتعاداً، ويساق بذلك إلى عبادته تعالى خوفاً من عذابه.

• وبعضهم يغلب على نفسه الرجاء، وكلّما فكّر في ما عدّه الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من النعمة والكرامة وحسن العاقبة، زاد رجاءً وبالغ في التقوى والتزام الأعمال الصالحات، طمعاً في المغفرة والجنّة.

وإليهما الإشارة في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (السجدة: ١٦).

• وطائفة ثالثة وهم العلماء بالله، لا يعبدون الله خوفاً من عقابه ولا طمعاً في ثوابه وإنما يعبدونه لأنه أهل للعبادة؛ ذلك لأنهم عرفوه بما يليق به من الأسماء الحسنى والصفات العليا، فعلموا أنه ربّهم الذي يملكهم وإرادتهم ورضاهم وكلّ شيء غيرهم، يدبّر الأمر وحده وليسوا إلاّ عباد الله فحسب، وليس للعبد إلاّ أن يعبد ربّه، ويقدّم مرضاته وإرادته على مرضاته وإرادته، فهم يعبدون الله ولا يريدون في شيء من أعمالهم ـ فعلاً أو تركاً ـ إلا وجهه، ولا يلتفتون فيها إلى عقاب يخوّفهم ولا إلى ثواب يرجّيهم، وإن خافوا عذابه ورجوا رحمته.

وقد أشارت عدة من الروايات إلى هذه الطرق الثلاثة:

منها: عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «**العبّاد ثلاثة، قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله حبّاً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة**»(١).

ومنها: ما عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «**إن الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه، فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع، وآخرون يعبدونه فَرَقاً من النار فتلك عبادة العبيد وهي رهبة، ولكنّي أعبده حبّاً له عزّ وجلّ فتلك عبادة الكرام وهو الأمن؛ لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾** (النمل: ٨٩) **ولقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾** (آل عمران: ٣١) **فمن**

---

(١) الأصول من الكافي، ج٢ ص ٨٤ كتاب الإيمان والكفر، باب العبادة.

أحبّ الله عزّ وجلّ أحبّه الله، ومن أحبّه الله كان من الآمنين»[1].

ومنها: ما عن الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام قال: «**إني أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلاّ ثوابه، فأكون كالعبد الطمع المطمع، إنْ طمع عمل وإلاّ لم يعمل، وأكره أن لا أعبده إلاّ لخوف عقابه، فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل،** قيل: فلِمَ تعبده؟ قال: **لما هو أهله بأياديه عليّ وإنعامه**»[2].

ومنها: ما عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، حيث عبّرت الرواية بالقول «شكراً» بدل «حبّاً»؛ قال: «**إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار**»[3].

فتلخّص مما تقدّم أن الإنسان بعد أن خلقه الله تفضّل عليه بإنزال الشرائع التي فيها هدايته التي تقوده نحو الكمال اللائق به؛ ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠)، وأن الإنسان يسلك طريق تكامله وفق إحدى الطرق الثلاث المتقدّمة.

غير أن مسألة اتّباع الشريعة الإلهية أو عدمه لم تتركها الشريعة من دون أن تجعل ثواباً لمن اتّبع الشريعة وأطاع أوامرها، وعقاباً لمن تنكّب طريقتها وارتكب نواهيها، وقد بُيّن هذا كلّه في الكتب السماوية وعلى لسان رسله حتى انتهى الأمر إلى القرآن الكريم وسنّة النبيّ وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام.

عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع فقال: «**يا أيها الناس والله**

---

(١) تسنيم، تفسير القرآن (بالفارسية)، المفسّر الحكيم آية الله جوادي آملي: ج١ ص ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه: ج١ ص ٤٥١.

(٣) نهج البلاغة، مصدر سابق: الحكمة، رقم: ٢٣٧.

ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به، وما من شيء يقرّبكم من النار ويباعدكم من الجنّة إلاّ وقد نهيتكم عنه»[١].

وما نعنيه بالشفاعة في مجال التشريع (الشفاعة التشريعية) هو أنه بعد أن اتّضحت الأوامر والنواهي وبيّن الثواب والعقاب، فهل هناك مجال لأن يرفع تبعات العقاب الذي يستحقّه من ارتكب ما نُهي عنه أو امتنع عمّا أمر به، أو أن تزاد درجات الثواب لمن أدّى ما عليه وأطاع ما أُمر به أم لا؟

- فهل يوجد ما يدلّ على وجود مثل هذه الشفاعة أصلاً؟
- ثمّ ما هي حقيقة فعل الشفيع الذي يرفع به ذنب المذنب أو يزيد به درجة المحسن؟ فهنا بحثان:

المبحث الأول: إثبات الشفاعة التشريعية

دلّت طائفة من الآيات على ثبوت هذا النحو من الشفاعة، منها:

- قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٠٠ـ ١٠١).

هذا الكلام تحسُّرٌ منهم على حرمانهم من شفاعة الشافعين وإغاثة الأصدقاء، وفي التعبير بقوله: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ إشارة إلى وجود شافعين هناك يشفعون لبعض المذنبين، ولولا ذلك لكان من حقّ الكلام أن يقال: فما لنا من شافع؛ إذ لا نكتة تقتضي الجمع، وقد روي أنهم يقولون ذلك لما يرون الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون.

- قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٣).

---

(١) الأصول من الكافي: ج٢ ص ٧٤، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى.

عندما يشاهد أصحاب النار أنهم صفر الأيدي من الخير، هالكون بفساد أعمالهم، يسألون أحد أمرين يصلح به ما فسد من أمرهم، إما شفعاء ينجونهم من الهلاك الذي أطلّ عليهم، أو أن يردّوا إلى الدنيا فيعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملونه من السيّئات. وفي قوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ دلالة على أن هناك شفعاء يشفعون للناس إذ قال: ﴿مِن شُفَعَآءَ﴾ ولم يقل: من شفيع فيشفع لنا. وقوله: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في موقع التعليل لما حكي عنهم من سؤال أحد أمرين: إما الشفعاء وإما الردّ إلى الدنيا. كأنه قيل: لماذا يسألون هذا الذي يسألون؟ فقيل: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ في ما بدّلوا من دينهم لهواً ولعباً، واختاروا الجحود على التسليم، وقد زالت عنهم الافتراءات المضلّة التي كانت تحجبهم عن ذلك في الدنيا، فبان لهم أنهم في حاجة إلى من يصلح لهم أعمالهم إما أنفسهم أو غيرهم ممن يشفع لهم.

• قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ (المدثر: ٣٨ ـ ٤٨).

يمكن تقريب الاستدلال بقوله ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ من وجهين:

الأول: أنها تنفي الانتفاع عن طائفة خاصّة من المجرمين لا عن جميعهم؛ قال الرازي في تفسيره: «احتجّ أصحابنا على ثبوت الشفاعة للفسّاق بمفهوم هذه الآية، وقالوا: إن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدلّ على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشفاعين»[١].

---

(١) التفسير الكبير، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٨٦.

الثاني: إن الشفاعة في الآية مضافة لا مجرّدة مقطوعة عن الإضافة، ومن الواضح أن هناك فرقاً «بين أن يقول القائل: فلا تنفعهم الشفاعة وبين أن يقول: فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، فإن المصدر المضاف يُشعر بوقوع الفعل في الخارج بخلاف المقطوع عن الإضافة، نصّ عليه الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز. فقوله تعالى: ﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ يدلّ على أن شفاعة ما ستقع، غير أن هؤلاء لا ينتفعون بها. على أن الاتيان بصيغة الجمع في ﴿ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ يدلّ على ذلك أيضاً كقوله: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ وقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وأمثال ذلك، ولولا ذلك لكان الإتيان بصيغة الجمع ـ وله مدلول زائد على مدلول المفرد ـ لغواً زائداً في الكلام»[1].

آيات الشفاعة التشريعية صنفان

إلا أن القرآن الكريم ذكر تارة أن هذه الشفاعة مختصّة بالله تعالى، وأخرى أثبتها لغيره أيضاً لكن تحت شرائط خاصّة. من هنا يقع الحديث في هذين الصنفين من الآيات:

- صنف من الآيات أثبت الشفاعة إلا أنها مختصّة بالله تعالى.
- وصنف أثبتها لغيره تعالى أيضاً لكن تحت شرائط خاصّة.

الصنف الأول: الشفاعة مختصة بالله تعالى

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ٥١).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج١ ص ١٦٧.

وقال: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٠).

وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ (الزمر: ٤٤).

الوليّ من يملك تدبير أمر الشيء كما أشار إليه الراغب في المفردات. ومن المعلوم أن أمورنا والشؤون التي تقوم بها حياتنا، قائمة بالوجود، محكومة مدبّرة للنظام الحاكم، في الأشياء عامة وما يخصّ بنا من نظام خاصّ. والنظام أيّاً ما كان، من لوازم خصوصيات خلْق الأشياء. والخلْقة كيفما كانت، مستندة إليه تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾(الزمر: ٦٢) فهو تعالى وليّنا القائم بأمرنا المدبّر لشؤوننا وأمورنا، كما هو وليّ كلّ شيء كذلك وحده لا شريك له.

والشفيع على ما تقدّم في سابق الأبحاث، هو الذي ينضمّ إلى سبب ناقص فيتمّم سببيّته وتأثيره، والشفاعة تتميم السبب الناقص في تأثيره، وإذا طبّقناها على الأسباب والمسبّبات الخارجية (الشفاعة التكوينية) كانت أجزاء الأسباب المركّبة وشرائطها بعضها شفيعاً لبعض لتتميم حصة من الأثر منسوبة إليه، كما أن كلاً من السحاب والمطر والشمس والظلّ وغيرها شفيع للنبات. وإذ كان موجد الأسباب وأجزائها والرابط بينها وبين المسبّبات هو الله سبحانه، فهو الشفيع بالحقيقة الذي يتمّم نقصها ويقيم صُلبها، فالله سبحانه هو الشفيع بالحقيقة لا شفيع غيره.

ببيان آخر أدقّ سيأتي توضيحه في الأبحاث اللاحقة: إن أسماء الله

الحسنى وسائط بينه وبين خلقه في إيصال الفيض إليهم، ولازم ذلك أن جهات الخلقة وخصوصيات الوجود التي في الأشياء ترتبط إلى ذاته المتعالية من طريق صفاته الكريمة. فالعلم والقدرة والرزق والنعمة التي عندنا بالترتيب. فجهلنا يرتفع بعلمه، وعجزنا بقدرته، وذلّتنا بعزّته، وفقرنا بغناه، وذنوبنا بعفوه ومغفرته.

وعلى هذا، فما من شيء من المخلوقات المركّبة الوجود إلا ويتوسّط لوجوده عدة من الأسماء الحسنى بعضها فوق بعض وبعضها في عرْض بعض. وكلّ ما هو أخصّ منها يتوسّط بين الشيء وبين الأعمّ منها، كما أن الشافي يتوسّط بين المريض وبين الرؤوف الرحيم، والرحيم يتوسّط بينه وبين القدير في الشفاعة التكوينية وكما تتوسّط الرحمة والمغفرة بينه وبين عبده المذنب لإنجائه من وبال الذنب وتخليصه من العذاب في الشفاعة التشريعية.

والتوسّط المذكور في الحقيقة تتميم لتأثير السبب فيه، وإن شئت فقل هو تقريب للشيء من السبب لفعلية تأثيره، وينتج منه أنه تعالى شفيع ببعض أسمائه عند بعض، فهو الشفيع ليس من دونه شفيع في الحقيقة. وهذا معناه أن الشفيع حقيقة هو الله سبحانه كما دلّ عليه قوله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الزمر: ٤٤) وغيره من الشفعاء لهم الشفاعة بإذن منه، كما سيأتي بيانه.

بما تقدّم اتّضح أن لا محذور في إطلاق الشفيع عليه تعالى بمعنى كونه شفيعاً بنفسه عند نفسه، وحقيقته توسّط صفة من صفاته الكريمة بين الشيء وصفة من صفاته، كما يستعاذ من سخطه إلى رحمته ومن عدله إلى فضله، وأما كونه شفيعاً بمعنى شفاعته لشيء عند غيره فهو مما لا يجوز بوجه من الوجوه.

الصنف الثاني: ثبوت الشفاعة لغيره تعالى

يصرّح هذا الصنف من الآيات بوجود شفيع غير الله سبحانه، وأن شفاعته تُقبل عند الله تعالى في إطار خاصّ وشرائط معيّنة في الشفيع والمشفوع له، وهي وإن لم تتضمّن أسماء الشفعاء أو أصناف المشفوع لهم، غير أنها تحدّد كلاً منهما بمواصفات خاصّة يأتي البحث عنها في الفصول اللاحقة، أما الآيات التي تحدثت عن ذلك؛ فمنها:

• قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ (مريم: ٨٧).

الضمير في قوله ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ يرجع إلى الآلهة التي كانت تُعبد، وإليه أشير في قوله سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم: ٨١ ـ ٨٢) فتكون الآية جواباً عن اتّخاذهم هذه الآلهة للشفاعة، وهو أن ليس كلّ من يهوى الإنسان شفاعته فاتّخذه إلهاً ليشفع له يكون شفيعاً، بل إنه يملك الشفاعة بعهد من الله، ولا عهد إلاّ لآحاد من مقرّبي حضرته، كما سيأتي.

• وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ (طه: ١٠٩).

الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ يدلّ على أن العناية في الكلام متعلّقة بنفي الشفعاء لا بتأثير الشفاعة في المشفوع له.

قال الزمخشري في تفسيره: «قوله (مَن) يصلح أن يكون مرفوعاً ومنصوباً، فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف المضاف، أي لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له»[1].

---

(١) **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨٩.

والمراد بـ «الإذن» الإذن في الكلام للشفاعة كما يبيّنه قوله بعده ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ فإن التكلّم يومئذ منوط بإذنه تعالى؛ قال: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ (هود: ١٠٥) وقال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ (النبأ: ٣٨). وسيأتي توضيح الحال في شرائط الشافع.

• وقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

والمراد من قوله «ارتضى» أي ارتضاء دينه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨).

قال الآلوسي في تفسيره: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى الله تعالى أن يشفع له، وهو كما أخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي وابن أبي حاتم عن ابن عباس: (من قال لا إله إلاّ الله) وشفاعتهم الاستغفار، وهي كما في الصحيح تكون في الدنيا والآخرة، ولا متمسك للمعتزلة في الآية على أن الشفاعة لا تكون لأصحاب الكبائر، فإنها لا تدلّ على أكثر من أن لا يشفعوا لمن لا ترتضى الشفاعة له، مع أن عدم شفاعة الملائكة لا تدلّ على عدم شفاعة غيرهم»[(١)].

• وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ (النجم: ٢٦).

الآية مسوقة لنفي أن يملك الملائكة من أنفسهم الشفاعة مستغنين في ذلك عن الله سبحانه كما يروم إليه عبدة الأصنام، فإن الأمر مطلقاً إلى الله سبحانه وتعالى فإنما يشفع من يشفع منهم بعد إذنه تعالى له في الشفاعة ورضاه بها.

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ١٧ ص ٤٩ المجلد العاشر.

فإن قيل: لمَ قال: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ ولم يقل (لا يشفعون) مع أن دعوى عبدة الأصنام أن هؤلاء شفعاؤنا، لا أن شفاعتهم تنفع أو تغني.

قلنا: إنهم كانوا يقولون إن هؤلاء شفعاؤنا وكانوا يعتقدون نفع شفاعتهم، كما قال تعالى: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ (الزمر: ٣) ولولا نفع شفاعتهم لما كانت مقرّبة، لذا قالت الآية ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ أي أن شفاعة الملائكة لا تغني شيئاً فضلاً عن غيرهم الذين هم في مرتبة أدنى وأضعف من الملائكة. هذا مضافاً إلى أنه لو كان التعبير (لا يشفعون) لما كان الاستثناء ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ دالاً على أن الشفاعة تُقبل أو تغني أو لا تقبل؟ بخلافه ما لو قال: ﴿لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ فيكون معناه: (تغني وتحصل البشارة) لأنه تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (غافر: ٧) والاستغفار شفاعة.

• وقوله: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦).

قال الطباطبائي في الميزان: «السياق سياق العموم، فالمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ أي يعبدونهم من دونه، كلّ معبود غيره تعالى من الملائكة والجن والبشر وغيرهم، والمراد بـ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ الحقّ الذي هو التوحيد، والشهادة به الاعتراف به، وإذا كان حال الشفعاء أنهم لا يملكونها إلاّ بعد الشهادة بالحق، فما هم بشافعين إلا لأهل التوحيد كما قال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ والآية مصرّحة بوجود الشفاعة في الجملة»[1].

والحاصل أن هذه الآيات تثبت:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٨ ص ١٢٧.

- وجود شفعاء يوم القيامة يشفعون تحت شرائط خاصّة وإن لم تصرّح بأسمائهم وسائر خصوصياتهم.
- أن شفاعتهم مشروطة بإذنه تعالى.

معالجة التعارض بين الصنفين

اتّضح مما سبق أن الآيات القرآنية تبيّن ـ من جهة ـ اختصاص الشفاعة بالله عزّ اسمه كما في الصنف الأول، لكنها من جهة أخرى تعمّمها لغيره تعالى بإذنه ورضاه كما في الصنف الثاني. من هنا يطرح هذا التساؤل: كيف يمكن الجمع بين هذين الصنفين من الآيات.

حفل الفكر الإسلامي على مستوى البحث العقيدي والقرآني بالعديد من الوجوه لمعالجة التعارض البادي بين هاتين المجموعتين من الآيات، بيد أننا نحاول هنا الوقوف على معالجتين فقط في هذا المجال:

المعالجة الأولى: وهي التي اعتمدها جملة من أعلام المفسّرين، حيث ذهبوا إلى أن مقتضى التوحيد الأفعالي (المراد به هو المعرفة بأن كلّ ما يقع في العالم من العلل والمعلولات والأسباب والمسبّبات والنظامات العادية وما فوقها، يقع بإرادته في حدوثه وبقائه وتأثيره، فكلّ شيء قائم به وهو القيّوم المطلق، ولا حول ولا قوّة ولا تأثير إلاّ به وبإذنه)[1] أنه لا مؤثّر في عالم الكون إلا الله سبحانه أي أنه لا يوجد مؤثّر مستقلّ سواه، وأن تأثير سائر العلل والوسائط إنما هو على وجه التبعية لإرادته ومشيّته. والاعتراف بمثل هذه العلل التابعة لا ينافي انحصار التأثير الاستقلالي في الله تعالى.

---

(١) ينظر في تفصيل ذلك: **التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته**: السيد كمال الحيدري، تقرير: جواد علي كسار، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ج ٢ ص ٩.

وهذا هو الأسلوب الذي اعتمده القرآن الكريم في جملة من الآيات لمعالجة هذه المسألة، حيث ينفي كلّ كمال عن غيره تعالى ويحصره به سبحانه، ثم يثبته لغيره بإذنه ومشيّته، فتفيد أن الموجودات غيره تعالى لا تملك ما تملك من هذه الكمالات بنفسها واستقلالها، وإنما تملكها بتمليك الله إياها. ولعلّ هذا معنى ما ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام عندما سأله عباية بن ربعي عن معنى الاستطاعة قال: «**تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملّككها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك**»(١).

قال الرازي في ذيل قوله ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: «فإن قلت: إذا كان الأمر كلّه لله، فكيف أثبت لهم (الملائكة) ههنا تدبير الأمر؟ قلت: لما كان ذلك الإتيان به كان الأمر كأنه له»(٢). وقال الطباطبائي: «فهو تعالى الفاعل المستقلّ في مبدئيته على الإطلاق والقائم بذاته في إيجاده وعلّيته وهو المؤثّر بحقيقة معنى الكلمة، لا مؤثّر في الوجود إلاّ هو، ليس لغيره من الاستقلال الذي هو ملاك العلّية والإيجاد إلاّ الاستقلال النسبي»(٣).

وفي ضوء هذه الحقيقة يمكن معالجة الصنفين المتقدّمين من الآيات في الشفاعة التشريعية، فإنها إذا كانت عبارة عن جريان الفيض الإلهي على عباده لتطهيرهم من الذنوب وتخليصهم عن شوائب المعاصي، فهي فعل مختصّ بالله سبحانه لا يقدر عليه أحد إلا بإقداره وإذنه، وبذلك تصحّ

---

(١) **تحف العقول عن آل الرسول**، الشيخ الثقة ابن شعبة الحرّاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران: ص ٢١٣.

(٢) **التفسير الكبير**، مصدر سابق: ج ٣١ ص ٢٧.

(٣) **نهاية الحكمة**، العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي: ص ١٧٦.

نسبتها إلى الله سبحانه بالأصالة وإلى غيره بالتبعية، ولا منافاة بين النسبتين.

قال الطبرسي في «مجمع البيان» في ذيل قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ : أي «لا يشفع أحد إلا بإذنه، عن مجاهد. والمعنى: لا يملك أحد الشفاعة إلاّ بتمليكه كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾»[1].

وقال الطباطبائي في الميزان: «الآيات المثبتة للشفاعة تثبتها لله سبحانه بنحو الأصالة، ولغيره بإذنه وتمليكه. فالشفاعة ثابتة لغيره تعالى بإذنه وارتضائه»[2].

المعالجة الثانية: تنطلق هذه المعالجة من رؤية قائمة على أساس أن كلّ من نسب إليه الخلق والتدبير والغنى والقوّة والإحياء والإماتة ونحو ذلك إنما هي مظاهر وتجلّيات وآيات لخالقية الله وتدبيره وآمريته وولايته سبحانه.

هذه المعالجة ترفض بصراحة أن يكون لهذه الموجودات ولاية أو عزّة أو قوّة أو إحياء أو إماتة في عرْض ولاية الله وعزّته وإحيائه وإماتته، لأن هذا من الشرك الجليّ، فإذا فرضنا أن الولاية ولايتان: ولاية الله وولاية غير الله وأن إحداهما في عرْض الأخرى، فهذا من الشرك الجليّ الذي ثبت بطلانه عقلاً ونقلاً في مباحث التوحيد الأفعالي.

كما ترفض هذه المعالجة أن تكون هذه الولاية وضروب التصرّف الأخرى، في طول ولاية الله على النحو الذي تنتهي ولاية الله سبحانه عند حدّ معيّن لتبدأ ولاية المخلوق، أو تنتهي عزّته عزّ وجلّ عند دائرة معيّنة

---

(١) **مجمع البيان في تفسير القرآن**، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الجزء الثالث والعشرون والرابع والعشرون، منشورات دار مكتبة الحياة: ج ٥ ص ١٦٠.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٧.

لتبدأ عزّة المخلوق، أو تنتهي قوّته لتبدأ قوّة المخلوق وهكذا، لأن هذا النمط من التفكير والفهم والاعتقاد يرجع إلى الشرك الخفيّ وإلى افتراض محدودية الله جلّ جلاله، وهو أمر نرفضه جملة وتفصيلاً، وركّزنا على بطلانه وعدم صحّته في الكثير من المباحث التي طرحت في كتاب «التوحيد»[1] حيث قلنا هناك إن الله سبحانه ليس له حدّ ينتهي عنده وإلا لكانت وحدته مقهورة لا قاهرة، مع أن صريح القرآن أن وحدته قاهرة: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (ص: ٦٥) ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩).

وهذا ما أكّده إمام الموحّدين عليّ عليه السلام في مواضع من خطبه:

- «**من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله**»[2].
- «**فالحدّ لخلقه مضروب وإلى غيره منسوب**»[3].
- «**لا يشمل بحدّ ولا يحسب بعدّ**»[4].

إذن فهذه المعالجة ترفض أن تكون هذه الأمور ـ من تدبير وتصرّف ونحوهما ـ في طول تدبير الله وتصرّفه، فضلاً عن أن تكون في عرضهما. أجل، إذا كان هناك نحو من الخالقية والولاية والعزّة والقدرة والحاكمية وما شابه، فهو بنحو الظهور والتجلّي، أو هو ـ استناداً للتعبير القرآني على تسامح في الصياغة ـ بنحو الآيتية، المشتقّة من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣).

---

(١) التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته، مصدر سابق: ج ١ ص ٧٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٥٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ١٦٣.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٦.

ولكي تتّضح هذه الفكرة نستعين بمثال يكثر استعماله في كلمات أهل المعرفة، استلهموه من استدلالات أهل البيت عليهم السلام كما سيتّضح، ومنه نفذ إلى الحكمة المتعالية والفلسفة الصدرائية، نعني به مثال الصورة التي تنعكس في المرآة، ففي مثال الصورة المرآتية التي تعكس صاحبها، من الواضح أن الصورة التي في المرآة غير صاحبها وهي ليست عينه، لكنها في الوقت ذاته هي آية وعلامة دالّة على صاحبها وليست شيئاً بإزاء صاحب الصورة.

بمثال آخر: إذا وضعت ناراً أمام المرآة فستبدو الصورة المرآتية وكأنها جامعة لكلّ الخصائص الموجودة للنار الحقيقية، لكن من دون أن يكون هناك شيء بداخل المرآة، بل هي تعكس النار الخارجية وحسب، لا أن في داخل المرآة ناراً أخرى أيضاً.

هذا هو في الحقيقة الفارق بين السراب ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ (النور: ٣٩) وبين الآية، فإن السراب خيال ووهم لا واقع له، بعكس الآية فإنها حقيقة، لكن لا في نفسها وإنما هي تعكس حقيقة أخرى ثابتة لله سبحانه. فالسراب كاذب بيد أن الآية صادقة في كلّ ما تحكيه عن خصائص ذي الآية. وهذا هو معنى الآية والتجلّي بحسب الاستعمال القرآني: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (الأعراف: ١٤٣).

تبقى هناك إشارة لها مغزاها، فمثال المرآة وكيف تعكس قدرة الله جلّ جلاله أو عظمته وعلمه ونحو ذلك، استعمله الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في ذلك اللقاء الفكري السجالي الشهير الذي عقده المأمون العباسي (ت: ٢١٨هـ) ودعا إليه أبرز رموز الحِجاج الكلامي في عصره وكبار القيادات الفكرية عند النصارى واليهود والصابئة والزرادشتية وبعض الشخصيات العلمية الرومية، حيث انطلق الحوار فيه ساخناً قويّاً

بين الحاضرين، وكان محوره الإمام الرضا عليه السلام الذي طفق يجيب عن أسئلة الحاضرين واستفهاماتهم وما استخدموه من جدل وصناعة كلامية.

إلى أن بلغ الحوار إلى عمران الصابئي الذي كان يوصَف بقوّة الجدل وأنه لم يقطعه عن حجّته أحد قطّ، بل كان يتحدى الآخرين بقوله: «لقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلّمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانية»[١]، وواضح ما يشي به هذا النصّ من قوّة التحدّي في أسّ أسس المنظومة الدينية بل الإيمانية متمثّلاً بوحدانية الله، خاصّة إن البلدان التي أشار إليها كانت تمثّل في عصره أمّهات حواضر العلم وأبرز المراكز العلمية في العالم الإسلامي. على هذه الخلفية دام الحوار طويلاً بين الإمام عليه السلام وعمران، ثم انتهى إلى إعلان عمران لإسلامه بين يدي الإمام علي بن موسى الرضا.

كان من بين ما وقف الحوار عنده سؤال عمران للإمام الرضا: ألا تخبرني يا سيدي أهو (الله) في الخلق أم الخلق فيه؟ قال الرضا عليه السلام: **«جلّ يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك، وسأعلّمك ما تعرفه به ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله. أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟! فإن كان ليس واحد منكما فى صاحبه فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك؟ ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً، ولله المثل الأعلى»**[٢].

---

(١) **التوحيد**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٣٩٨هـ: ص ٤٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٣٤، ينظر الحوار بأكمله وما دار فيه، في المصدر، باب ٦٥، ذكر مجلس الرضا علي بن موسى مع أهل الأديان وأصحاب المقالات: ص ٤١٧ - ٤٤١.

يتبيّن مما مرّ بأنّ أفعال الخلق والإحياء والإماتة والتوفّي والشفاعة وغير ذلك مما ينسبه القرآن الكريم إلى الله تعالى ويحصره به، ثم يعود لنسبتها إلى مخلوقات أخرى، إنما هو على نحو الصورة المرآتية، فهذه المخلوقات حيث ينسب إليها الخلق فإنما يكون بما هي مظهر لخالقية الله جلّ جلاله وتجلّ لها وبما هي آية لخالقيته سبحانه ولولايته ولعزّته ولشفاعته ولقوّته ونحو ذلك. فكلّ ما تملكه هذه المخلوقات وتمام ما يوجد لديها إنما هو إراءة لما هو موجود لله سبحانه، فالمالك والقادر هو الله، وما عند الإنسان وبقيّة الموجودات فهو من عنده: «**فهو المالك لما ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك**».

مما سلف ننتهي إلى واحدة من أهمّ الحقائق القرآنية والسنن الإلهية ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣) وهي أن الله جلّ جلاله ينجز الأفعال بنحوين:

- إما مباشرة وبلا توسّط شيء، أي من خلال قوله فقط: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).
- وإما بتوسيط بعض مخلوقاته. فالله سبحانه هو الشافي لكن من خلال الطبيب، وهو الرافع للجوع والعطش لكن من خلال الطعام والماء، وهكذا.

هذا هو دور الأسباب والوسائط في نظام عالم الإمكان، والأسباب والوسائط تؤدّي دورها بإذن الله، لكن لا على النحو الذي تكون فيه في عرْض إرادة الله أو في طولها، بل على نحو الظهور والآية والتجلّي، كذلك الحال في شفاعة أنبيائه ورسله وملائكته والصالحين من عباده، فإنهم جميعاً مظاهر لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا.(١)

---

(١) يمكن مراجعة المعالجة الثانية تفصيلاً في **التوحيد**، للسيد الحيدري: ج ٢ص٣٨١، ٣٨٨.

المبحث الثاني: حقيقة فعل الشفيع

قبل عرض النظريات التي ذُكرت في تفسير حقيقة فعل الشفيع لابدّ من الوقوف عند مقدّمة أساسية نستوضح من خلالها فهم تلك النظريات، مفادها:

حين العودة إلى القرآن الكريم نلمس بوضوح أنه ما من كمال وجوديّ إلاّ وينسبه لله سبحانه:

- ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ١٦٥).
- ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩).
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥).
- ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (غافر: ٦٥).

وهذا هو مقتضى التوحيد الأفعالي.

من هنا نصّ القرآن بصراحة أن الله تعالى واجد لجميع الأسماء الحسنى:

- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (طه: ٨).
- ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).
- ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الحشر: ٢٤).

«والاسم بحسب اللغة ما يُدلّ به على الشيء سواءً أفاد مع ذلك معنىً وصفياً كاللفظ الذي يشار به إلى الشيء لدلالته على معنىً موجود فيه أو لم يفد إلاّ الإشارة إلى الذات كزيد وعمرو وخاصّة المرتجل من الأعلام. وتوصيف الأسماء بـ «الحسنى» وهي مؤنث (أحسن) يدلّ على أن المراد بها الأسماء التي فيها معنىً وصفيّ دون ما لا دلالة لها إلا على الذات المتعالية

فقط لو كان بين أسمائه تعالى ما هو كذلك. ولا كلُّ معنىً وصفيٍّ بل المعنى الوصفيّ الذي فيه شيء من الحسن، ولا كلّ معنىً وصفيٍّ حسنٍ بل ما كان أحسن بالنسبة إلى غيره إذا اعتبر مع الذات المتعالية. فالشجاع والعفيف من الأسماء الحسنة لكنهما لا يليقان بساحة قدسه لإنبائهما عن خصوصية جسمانية لا يمكن سلبهما عنهما، ولو أمكن السلب لم يكن مانع من إطلاقهما عليه كالجواد والعدل والرحيم.

وذلك لأن الأسماء بأجمعها محصول لغاتنا لم نضعها إلا لمصاديقها فينا التي لا تخلو عن شوب الحاجة والنقص، غير أن منها ما لا يمكن سلب جهات النقص والحاجة عنها كالجسم واللون والمقدار وغيرها، ومنها ما يمكن فيه ذلك كالعلم والحياة والقدرة، فالعلم فينا الإحاطة بالشيء من طريق أخذ صورته من الخارج بوسائل مادّية، والقدرة فينا المنشئية للفعل بكيفية مادّية موجودة لعضلاتنا، والحياة كوننا بحيث نعلم ونقدر بما لنا من وسائل العلم والقدرة، فهذه لا تليق بساحة قدسه.

غير أنا إذا جرّدنا معانيها عن خصوصيات المادّة عاد العلم هو الإحاطة بالشيء بحضوره عنده، والقدرة هي المنشئية للشيء بإيجاده، والحياة كون الشيء بحيث يعلم ويقدر، وهذه لا مانع من إطلاقها عليه لأنها معانٍ كمالية خالية عن جهات النقص والحاجة، وقد دلّ العقل والنقل أن كلّ صفة كمالية فهي له تعالى وهو المفيض لها على غيره من غير مثال سابق، فهو تعالى عالم قادر حيّ، لكن لا كعلمنا وقدرتنا وحياتنا، بل بما يليق بساحة قدسه من حقيقة هذه المعاني الكمالية مجرّدة عن النقائص.

إذن فكون اسم من أسمائه تعالى أحسن الأسماء هو أن يدلّ على معنىً

كماليّ غير مخالط لنقص أو عدم، مخالطة لا يمكن معها تحرير المعنى من ذلك النقص والعدم وتصفيته، وذلك في كلّ ما يستلزم حاجة أو عدماً وفقداً كالأجسام والجسمانيات والأفعال المستقبحة أو المستشنعة والمعاني العدمية.

الاسم بين اللفظ والعين

عندما يجري الحديث عن أسماء الله الحسنى وأنها هي الوسائط بين الذات وبين مصنوعاتها، فالمراد هي الأسماء العينية الخارجية، أي الذات الإلهية مأخوذة بوصف من أوصافها، وذلك لأن التأثير الحقيقي إنما يدور مدار وجود الأشياء في قوّته وضعفه، والمسانخة بين المؤثّر والمتأثّر تستلزم ذلك. وليس المقصود هي الأسماء اللفظية، لأنها إذا اعتبرت من جهة ألفاظها كانت مجموعة أصوات مسموعة من الكيفيات العرضية، وإذا اعتبرت من جهة معناها المتصوّر كانت صوراً ذهنية لا أثر لها من حيث نفسها في شيء.

من هنا درج المحقّقون من أهل المعرفة على استخدام اصطلاح «الاسم» للإشارة إلى الوجود العيني الخارجي و«اسم الاسم» للّفظ الذي يحكي الاسم الخارجي. على سبيل المثال: إن لفظ (العالِم) من أسماء الله سبحانه هو اسم للاسم الخارجي الذي هو الذات الإلهية مأخوذة بحيثية العلم، وهكذا بقية الأسماء.

وبناءً على هذه الحقيقة فإن الإنسان عندما يدعو ربّه بقوله: «اللهم إني أسألك باسمك» فلا يقصد بذلك لفظ الاسم، بل هو يسأل بالواقع الخارجي الكائن وراءه؛ بمعنى أن السؤال يتمّ بواقع الجمال وبواقع الكرم وبواقع الرأفة والرحمة التي تتّسم به الذات الإلهية، وليس بألفاظ الجمال والكرم والجود والرأفة والرحمة. والذي يحقّق الإجابة ليس الألفاظ من

جهة أنها أصوات أو مفاهيم ومعانٍ، بل الحقيقة الكائنة وراءها. فمثلاً عندما ينادي الإنسان: يا شافي، يا غافر، فما يريده بهذا النداء ليس الاسم اللفظي ولا معناه الماثل في الصورة الذهنية، بل يعني به الاسم العيني، وإلا فلا خصوصية للّفظ في نفسه ولا لصورته الذهنية مطلقاً.

تأسيساً على ذلك فإن كلّ ما يصدر من الله سبحانه من أفعال، فهو مرتبط بأسمائه العينية الخارجية لا ألفاظها أو مفاهيمها، فمثلاً إذا صدر عنه فعل الإحياء فذلك لأن من أسمائه «المحيي» وإذا صدر منه فعل الإماتة فباعتبار أن من أسمائه «المميت»، وإذا ما وجدنا أن الله يهب ويعطي ويرزق فلأنه الجواد الكريم الرازق الواهب المعطي، وإذا ما هدى أحداً من الناس فباعتبار أنه الهادي، هكذا إلى بقية الأفعال.

إذن كلّ فعل عندما يصدر من الله جلّ جلاله لما يتعلّق بخلق عالم الإمكان وتدبيره، إنما يرتبط باسم من أسمائه الحسنى العينية، ويكون تحت قيمومة ذلك الاسم. وهذا معنى ما ذكره أهل التحقيق في هذا المجال من «أن جهات الخلقة وخصوصيات الوجود التي في الأشياء ترتبط إلى ذاته المتعالية من طريق صفاته الكريمة، وإننا ننتسب إليه تعالى بواسطة أسمائه»(١).

وهذا ما يفسّر لنا الذوق العبوديّ السليم والفطرة الصافية، فإن الإنسان إذا ما رام الغنى من ربّه لا يقول: يا قابض أغنني، إنما يسأل الله ويدعوه بأسمائه: (الغنيّ، الباسط، المعطي) وهكذا، والمريض الذي يتّجه إليه لشفاء مرضه لا يقول: (يا مميت يا منتقم يا ذا البطش اشفني)، وإنما يقول: (يا شافي يا معافي يا رؤوف يا رحيم ارحمني واشفني)؛ لأن الإنسان

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨ ص٣٥٣.

يدرك بفطرته السليمه أنه إذا ما أراد الشفاء من ربّه، فإن الشفاء لا يصدر إلا من اسمه (الشافي)، وإذا أراد المغفرة والعفو فإنهما لا يصدران إلا من أسمائه (الغفور العفوّ الرحيم)، هكذا إلى بقية ما يصدر من أفعال في عالم الإمكان.

على أن الأمر يبدو طبيعياً جدّاً يلمسه الإنسان في شؤون معاشه وممارسته اليومية وتجربته في الحياة. فحينما يتّجه المريض إلى رجل متخصّص بالطب والهندسة فإنه يرجع إليه في وجه حاجته إليه وهي الشفاء طالباً منه أن يوظّف حيثيته التي ترتبط بالشفاء لا تلك الحيثية التي ترتبط بالبُعد الهندسي واختصاصه بعلم الهندسة، على هذا قامت سنن الحياة الإنسانية، وهي ما تزال تواصل مجراها في هذا المسار.

هذا المعنى الذي يفيد استمداد الحاجة من اسم الله سبحانه الذي يتّسق مع الحاجة ذاتها ويتسانخ معها على النحو الذي يكون الفعل راجعاً إلى ذلك الاسم ومرتبطاً به، يؤكّده القرآن في صيَغه التعبيرية والأدائية، فالملاحظ في الصيغة التي تتألف منها آيات القرآن أنها تختم في الأعمّ الأغلب باسم أو اسمين، في دالّة تفيد أن مضمون تلك الآية إنما يتحقّق من خلال ذلك الاسم أو ذينك الإسمين.

بتعبير منطقي: تعدّ الأسماء الإلهية التي تنطوي عليها الآيات القرآنية حدّاً أوسط لإثبات مضمون الآيات. «والقرآن هو الكتاب السماويّ الوحيد الذي يستعمل الأسماء الإلهية في تقرير مقاصده، ويعلّمنا علم الأسماء من بين ما بلغنا من الكتب السماوية المنسوبة إلى الوحي»[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨ ص ٣٥٣.

صفات العبد

لكي يتّضح دور هذه الصفات الإلهية في نظام عالم الإمكان لابدّ من التمييز بدقة بين الصفات الذاتية لله سبحانه والصفات الفعلية، حيث ذكرت مدرسة أهل البيت عليهم السلام ضابطة أساسية للتمييز بينهما لم نعثر على مثله في غير آثار علماء هذه المدرسة.

إن الصفات الثبوتية لله تعالى تنقسم بنحو من أنحاء القسمة إلى ذاتية وفعلية. ويقوم التمييز بينهما على أساس: أن الذات الإلهية إذا كانت كافية وحدها للاتّصاف بصفة بقطع النظر عن أيّ شيء آخر فهي صفة ذات كالعلم والقدرة والحياة، أما إذا احتاجت الصفة فى تحقّقها واتّصاف الذات بها إلى فرض تحقّق الغير مسبقاً فهي صفة فعل. فما لم يوجد الله خلق مثلاً لا يمكن انتزاع صفة الخالقية، وما لم يكن هناك ما يرزقه لا تنتزع صفة الرازقية، وهكذا إلى عشرات ومئات الأسماء الإلهية مما يدخل في صفات الفعل التي تكون الذات ـ بما هي ذات ـ غير كافية لانتزاع الصفة، بل لابد من وجود فعله لانتزاعها. ولا محذور في ذلك ما دامت القدرة على الخلق والقدرة على الرزق هما من صفاته الذاتية، فهو جلّ جلاله قادر والقدرة صفة ذات.

في ضوء هذا التمييز بين الصفات الذاتية والفعلية، يتبين أن كلّ صفة من صفات الكمال الإلهي تقابلها صفة نقص وحاجة في العبد، وقد أشار القرآن الكريم إلى جملة من هذه الصفات، منها:

• **الفقر والحاجة:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥).

• **ظلوم جهول:** ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ

فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢).

• **عجول**: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١).

• **قتور**: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٠).

• **هلوع، جزوع ، منوع**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ١٩ ـ ٢١).

• **كنود**: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ (العاديات: ٦).

فتحصّل إلى هنا أن الله تعالى صفات ذاتية تنتزع من فرض الذات وحسب، وصفات فعلية مضافة إلى غيره كالخالق والرازق والمعطي والجواد والغفور والرحيم إلى غير ذلك، وهي كثيرة جداً يجمعها صفة القيّوم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥) ولما كانت مضافة إلى غيره تعالى كانت متوقّفة في تحقّقها على تحقّق الغير المضاف إليه، وحيث كان كلّ غير مفروض معلولاً للذات المتعالية متأخراً عنها كانت الصفة المتوقّفة على الغير متأخرة عن الذات زائدة عليها، فهي منتزعة من مقام الفعل منسوبة إلى الذات.

وبهذا يتّضح أن من أهمّ الفوارق بين الصفة الذاتية والصفة الفعلية:

• إن الصفة الذاتية لا متناهية لأنها عين الذات، أما الصفة الفعلية فمتناهية، وإلا لا تقبل ما يقابلها، علاوة على أنها زائدة على الذات، فهي إذن محدودة.

• الصفة الذاتية قديمة بقدم الذات، بينما الصفة الفعلية حادثة بحدوث

الفعل.

وهذا معناه أن الصفات الفعلية وإن كانت صادقة عليه صدقاً حقيقياً، لكن لا من حيث خصوصيات حدوثها وتأخّرها عن الذات المتعالية حتى يلزم التغيّر فيه تعالى وتقدّس، وتركّب ذاته من حيثيات متغايرة كثيرة، بل من حيث إن لها أصلاً في الذات ينبعث عنه كلّ كمال وخير. فهو تعالى بحيث يقوم به كلّ كمال ممكن في موطنه الخاصّ به. فهو تعالى بحيث إذا أمكن شيء كان مراداً له، وإذا أراد شيئاً أوجده، وإذا أوجده ربّاه، وإذا ربّاه أكمله.(١)

ملاحظتان

بقيت ملاحظتان ينبغي الاشارة إليهما قبل الوصول إلى نظريات حقيقة فعل الشفيع.

الأولى: إن الله تعالى لم يأذن لكلّ أحد أن يكون شفيعاً عنده، وإنما أجاز ذلك لأفراد معيّنين أشار إلى صفاتهم ومكانتهم عنده سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦).

وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه: ١٠٩). وقال: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ (مريم: ٨٧) وسيأتي في الصفحات اللاحقة بيان من هم الشفعاء في النشأة الآخرة.

هنا ينبغي إلفات النظر إلى أن الله سبحانه وإن كان هو الغفّار الرحيم وقد وسعت رحمته كلّ شيء، إلا أن درجة قبوله لطلب العفو والمغفرة

---

(١) ينظر هذا البحث في: **التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته**، مصدر سابق: ج ١ ص ١١٩.

تختلف باختلاف الطالب لها، فقد يرأف جلّ جلاله بالعبد العاصي ويغفر له حينما يطلب منه ذلك، لكن درجة القبول هذه تختلف فيما لو توجّه هذا العبد بنبيّ مرسل أو وليّ مقرّب أو شفيع مرتضى عنده تعالى.

ولعلّ من أوضح الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ (النساء: ٦٤) حيث قد يقول قائل: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة، فما الفائدة من ضمّ استغفار الرسول إلى استغفارهم؟

والجواب، كما قال الآلوسي في تفسيره: «﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ**﴾ على أثر ظلمهم بلا ريب متوسّلين بك تائبين عن جنايتهم غير جامعين ـ حشفاً وسوء كيلة ـ باعتذارهم الباطل وأيمانهم الفاجرة ﴿**فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ**﴾ لذنوبهم ونزعوا عمّا هم عليه وندموا على ما فعلوا ﴿**وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ**﴾ وسأل الله تعالى أن يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم.. ﴿**لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ أي لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضّلاً عليهم بالتجاوز عمّا سلف من ذنوبهم».(١)

وذكر الحسن في هذه الآية: «أنّ اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم، فأخبره الله بذلك، وقد دخلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال رسول الله: **إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به فيما بينهم، فليقم أولئك فليستغفروا ربّهم وليعترفوا بذنوبهم حتى أشفع لهم**. فلم يقم أحد. فقال

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٠٣، المجلد الرابع.

رسول الله صلّى الله عليه وآله: **ألا تقومون؟** مراراً. ثم قال: **قم يا فلان وأنت يا فلان...** فقالوا: يا رسول الله نحن نستغفر الله ونتوب إليه فاشفع لنا، قال: **الآن؟ أنا كنت في أوّل أمركم أطيب نفساً بالشفاعة، وكان الله تعالى أسرع إلى الإجابة، اخرُجوا عنّي**. فأُخرجوا عنه حتى لم يرهم»[1].

وكذلك ما ورد على لسان أبناء يعقوب: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ * قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٧ ـ ٩٨).

الثانية: إن الشفيع لا يطلب الشفاعة جزافاً ومن غير سبب كما هو الحال في بعض موارد الشفاعة العرفية والعقلائية، بل هناك قانون وسنّة لذلك، فالشفيع مثلاً:

• لا يطلب من المولى أن يبطل مولوية نفسه ولا أن يبطل عبودية عبده كأن يقول: أنت وإن كنت مولىً لكنك في هذا الموضع لست بمولىً فلا يحقّ لك معاقبة هذا العبد العاصي، أو إن هذا العبد عبد في كلّ مورد إلا في هذا المورد فلا سبيل لك عليه. إن إبطال مولوية المولى وعبودية العبد أمر غير ممكن حتى لو طلبه الشفيع، لأنهما أمران حقيقيان لا اعتباريان مجعولان يمكن وضعهما ورفعهما.

• كما لا يطلب الشفيع من المولى أن يرفع يده عن حكمه وتكليفه الذي جعله بأيّ نحو كان، كأن يقول له: أنت وإن أوجبت الصلاة على الجميع وحرّمت الكذب والظلم وأمرت بالجهاد ونهيت عن الربا وما إلى ذلك، لكنني أطلب منك أن ترفع هذا الوجوب أو هذه الحرمة في هذا المورد، فلا

---

(١) **التبيان في تفسير القرآن**، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج ٣ ص ٢٤٤.

يبقى تكليفك على حاله، وبذلك لا يصدق في العبد العاصي أنه عاصٍ وغير ممتثل للأمر المولوي.

إن هذا الأمر لا يمكن أن يطلبه الشفيع من المولى، لأن التكليف والحكم الشرعي ـ كما هو واضح ـ قد شرّع لمصلحة العبد وليس المولى، فكيف يطلب الشفيع رفع ما فيه مصلحة العبد الذي يستشفع له؟

• كما لا يطلب الشفيع من المولى إبطال قانون المجازاة، كأن يقول له: إرفع ما وضعته من مجازاة وعقوبة على شرب الخمر أو أكل أموال اليتامى ظلماً أو الكذب والغيبة وما شابه ذلك.

نظريتان في حقيقة فعل الشفيع

إذا اتّضحت هذه الملاحظات نقول: إنّ هنا نظريتين في بيان حقيقة فعل الشافع:

النظرية الأولى

وهي التي اختارها الطباطبائي في تفسير الميزان قال: «فالشفيع لا يطلب من المولى مثلاً أن يبطل مولوية نفسه وعبودية عبده فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه وتكليفه المجعول أو نسخه عموماً أو في خصوص الواقعة فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يبطل قانون المجازاة عموماً أو خصوصاً فلا يعاقب لذلك رأساً أو في خصوص الواقعة. فلا نفوذ ولا تأثير للشفيع في مولوية وعبودية ولا في حكم ولا في جزاء. بل الشفيع بعدما يسلّم جميع الجهات الثلاث المذكورة إنما يتمسك:

• إما بصفات في المولى الحاكم توجب العفو والصفح كسؤدده وكرمه وسخائه وشرافة محتده.

• وإما بصفات في العبد تستدعي الرأفة والحنان وتثير عوامل المغفرة كمذلّته ومسكنته وحقارته وسوء حاله.

• وإما بصفات في نفسه أعني نفس الشفيع من قربه إلى المولى وكرامته وعلوّ منزلته عنده.

فيقول: ما أسألك إبطال مولويّتك وعبوديّته، ولا أن تبطل حكمك ولا أن تبطل الجزاء، بل أسألك الصفح عنه بأن لك سؤدداً ورأفة وكرماً لا تنتفع بعقابه ولا يضرّك الصفح عن ذنبه، أو بأنه جاهل حقير مسكين لا يعتني مثلك بشأنه ولا يهتمّ بأمره، أو بأنّ لي عندك من المنزلة والكرامة ما يوجب إسعاف حاجتي في تخليصه والعفو عنه»[1].

إذن تأثير الشفيع في ضوء هذه النظرية إنما يتمّ من خلال أحد طرق ثلاثة على سبيل مانعة الخلوّ أي التي لا يخلو الواقع من أحدها، وقد تجتمع لأنها ليست بمانعة الجمع وهي:

الطريق الأول: ويتمّ من خلال تمسّك الشفيع بصفات في المولى من قبيل رأفته ورحمته وعفوه ونحو ذلك، بحيث يخاطب المولى قائلاً: إلهي وسيدي وإن كان هذا العبد بمقتضى عمله الخاطئ وذنبه يستحقّ العقاب، وبمقتضى عدلك ينبغي أن يعاقب، لكنك لست عادلاً فقط بل أنت رؤوف، رحيم، غفور، كريم أيضاً، فأسألك أن تعامل هذا العبد بمقتضى اسمك الكريم واسمك الرؤوف الرحيم، لا بمقتضى اسمك العادل (**اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك**).

وقد تقدّم أن الله سبحانه إذا أراد أن يعامل شيئاً بمقتضى اسمه المحيي فإنه يحييه، وإذا عامله بمقتضى اسمه المميت أماته، وإذا عامله باسمه المنتقم

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٩.

انتقم منه، وإذا عامله باسمه الباسط بسط له كلّ أنواع الرزق المادّي والمعنوي؛ لما أشرنا أن للأسماء والصفات الإلهية المختلفة آثاراً مختلفة، وإن كان المميت والمحيي والمنتقم والباسط جميعاً واحد وهو الله جلّ جلاله.

وعلى هذا فإن الشفيع يطلب من الله عزّ اسمه أن يعامل العبد العاصي بواسطة اسمه الرحيم والرؤوف والكريم، وفق قانون الإحسان والكرم والمغفرة لا من خلال اسمه العادل وقانون العدالة فقط. حينئذٍ لن يكون اسم العادل هو منشأ القضاء والحكم بما هو فرد، بل يضمّ إليه ويشفع بأسماء أخرى من أسماء الله كالرحيم والرؤوف والمحسن، ونحوها.

ومن الواضح أن هذا الطريق يرتبط بفاعلية الفاعل؛ إذ يوسّع دائرة هذه الفاعلية من خلال التوسّل بالأسماء والصفات الإلهية الأخرى وعدم الاقتصار على اسم واحد فقط.

الطريق الثاني: ويتمّ من خلال الاسترحام بصفات في العبد، كأن تبيّن مسكنته وضعفه وجهله، حيث يخاطب الشفيع المولى بقوله: إلهي وسيدي إن هذا العبد وإن فعل ما ينبغي غضبك وسخطك إلا أن فعله هذا لم يصدر منه عن تكبّر أو عناد، بل هو عبد مسكين، مستكين، حقير، فقير، ضعيف، جاهل... .

ومن الواضح أن طريق الاسترحام بصفات العبد يرتبط بقابلية القابل، حيث يحاول الشفيع هنا أن يوسّع من دائرة هذه القابلية لتعمّ العبد المذنب رحمة ورأفة المولى تبارك وتعالى. وقد وردت الإشارة في دعاء أبي حمزة الثمالي المرويّ عن الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام إلى كلا الطريقين السابقين، فحينما يناجي الإمام عليه السلام ربّه سبحانه، يذكر له كلّ صفات الكمال والعظمة ويتوسّل بها فيقول:

«وإذا رأيت كرمك طمعتُ، فإن عفوتَ فخير راحم وإن عذّبتَ فغير ظالم، حجّتي يا الله في جُرأتي على مسألتك مع إتياني ما تكره جودُك وكرمُك، وعُدّتي في شدّتي مع قلّة حيائي رأفتك ورحمتُك... يا خير من دعاه داعٍ وأفضل من رجاهُ راجٍ، عظم يا سيدي أملي وساء عملي فأعطني من عفوك بمقدار أملي ولا تؤاخذني بأسوأ عملي فإن كرمك يجلُّ عن مجازاة المذنبين، وحلمك يكبُر عن مكافاة المقصّرين، وأنا يا سيدي عائذ بفضلك هارب منك إليك (أي هارب من سخطك إلى عفوك ورحمتك) متنجّز ما وعدتَ من الصفح عمّن أحسن بك ظنّاً، وما أنا يا ربّ وما خطري؟ هبني بفضلك وتصدّق عليّ بعفوك، أي ربّ جلّلني بسترك واعفُ عن توبيخي بكرم وجهك... لأنك يا ربّ خير الساترين، وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين، ستّار العيوب، غفّار الذنوب، علاّم الغيوب، تستر الذنب بكرمك، وتؤخّر العقوبة بحلمك، فلك الحمدُ على حلمك بعد علمك، وعلى عفوك بعد قدرتك...».

إلى أن يقول عليه السلام: «يا حليم يا كريم يا حيّ يا قيّوم يا غافر الذنب يا قابل التوب يا عظيم المنّ يا قديم الاحسان، أين سترك الجميل، أين عفوك الجليل، أين غياثك السريع، أين رحمتك الواسعة، أين عطاياك الفاضلة، أين مواهبك الهنيئة، أين فضلك العظيم، أين منّك الجسيم، أين إحسانك القديم، أين كرمك يا كريم؟ به فأستنقذني، وبرحمتك فخلّصني.

يامحسن يا مجمل يا منعم يا مفضل، لستُ أتّكل في النجاة من عقابك على أعمالنا، بل بفضلك علينا لأنك أهل التقوى وأهل المغفرة، تبدي بالإحسان نِعماً، وتعفو عن الذنب كرماً، فما ندري ما نشكر؟ أجميل ما تنشر؟ أم قبيح ما تستر؟... فتجاوز يا ربّ عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك، وأيّ جهل يا ربّ لا يسعه جودك، وأيّ زمان أطول من أناتك، وما قدرُ أعمالنا في جنب نعمك، وكيف نستكثر أعمالاً نقابل بها كرمك، بل كيف يضيق على المذنبين ما

وسعهم من رحمتك؟ يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، ... يا ربّ هذا مقام من لاذ بك، واستجار بكرمك، وألف إحسانك ونعمك، وأنت الجواد الذي لا يضيق عفوك، ولا ينقص فضلك، ولا تقلّ رحمتك، وقد توثّقنا منك بالصفح القديم والفضل العظيم والرحمة الواسعة، أفتراك يا ربّ تخلف ظنوننا أو تخيّب آمالنا، كلاّ يا كريم فليس هذا ظنّنا بك، ولا هذا فيك طمعنا يا ربّ..».

لكن من جهة أخرى حينما يأتي الإمام عليه السلام إلى ذكر العبد في قبال عظمة الله وكبريائه يقول:

«سيدي أنا الصغير الذي ربّيتَهُ، وأنا الجاهل الذي علّمته، وأنا الضالّ الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته، وأنا الفقير الذي أغنيته، والضعيف الذي قوّيته، والذليل الذي أعززته، والسائل الذي أعطيته، والمذنب الذي سترته، والخاطئ الذي أقلْته، وأنا القليل الذي كثّرته، والمستضعف الذي نصرته...».

إلى أن يقول: **«إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيّتك جاحد، ولا بأمرك مستخفٌّ ولا لعقوبتك متعرّض، ولا لوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عَرَضت وسوّلت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شِقوتي، وغرّني سترك المرخى عليّ. فقد عصيتك وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ ومن أيدي الخصماء غداً من يخلّصني؟ وبحبل مَن أتّصل إن أنت قطعت حبلك عنّي؟ فواسوأتا على ما أحصى كتابك من عملي الذي لولا ما أرجو من كرمك وسعة رحمتك ونهيك إياي عن القنوط لقنطتُ عندما أتذكّرها، يا خير من دعاه داعٍ وأفضل من رجاه راج...»**[1].

---

(١) مفاتيح الجنان، تأليف: الشيخ عباس القمي، دعاء أبي حمزة الثمالي.

الطريق الثالث: ويتمّ من خلال تمسّك الشفيع بصفات في نفسه من قبيل قربه من الله تبارك وتعالى ومنزلته منه فيقول: **إلهي وسيدي بمنزلتي وقربي منك وكرامتي عليك إلا ما استجبت لطلبي ولبّيت حاجتي في الصفح عن هذا العبد المذنب**. وقد مرّ سابقاً أن لشخص الشفيع وصفاته ومقاماته دوراً في تحقّق أثر الشفاعة وقبولها، فليس كلّ أحد له حقّ الشفاعة، وليس الشفعاء جميعاً في درجة واحدة. وهذا ما سيأتي بحثه في بيان درجات الشفعاء.

النظرية الثانية

خلصت هذه النظرية إلى أن تأثير الشفيع إنما يتمّ من خلال طريقين فقط هما:

- التمسّك بصفات المولى عزّ اسمه.
- التمسّك بصفات العبد.

غير أنه لا يحقّ لكلّ أحد أن يسأل الله تبارك وتعالى الشفاعة لغيره، بل هو مختصّ بطبقة مأذونة من قبله سبحانه وتعالى، كما أسلفنا الإشارة إليه. إذن فليس الطريق الثالث الذي ذكر في النظرية الأولى ـ وأعني به التمسك بصفات نفس الشفيع ـ يعدّ طريقاً آخر في عَرْض الطريق الأول والثاني، بل إن صفات الشفيع ومقاماته ودرجاته هي التي تحقّق له مقدّمات الإذن في السؤال من الله تبارك وتعالى الشفاعة لغيره.

وكيفما كان فإنّ فعْل الشفيع سواء كان من خلال الطريق الأول أو الطريق الثاني، فذلك لا يتمّ إلا إذا حقّق العبد المشفوع له المقدّمات والشرائط اللازمة لذلك، ورفع الموانع التي تمنع من شمول الشفاعة له. فالإنسان الذي يريد أن يكون مستحقّاً لشفاعة أشفع الشافعين تبارك

وتعالى لابدّ أن يرفع المانع من ذلك وهو الشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ٤٨)، وأن يوجد الشرط اللازم وهو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩).

ولو أراد أن يكون مشمولاً لشفاعة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله فلابد من رفع المانع وهو العناد وعدم الإيمان به صلى الله عليه وآله وأن يوجد الشرط وهو الاتباع ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (آل عمران: ٣١).

إذن فلكي يكون العبد مشمولاً لشفاعة من يحقّ له الشفاعة لابدّ من إزالة الموانع عن نفسه، وبغير ذلك يحرم نعمة العفو والغفران الإلهي، لا لقصور في فاعلية الفاعل والعطاء الإلهي، بل لضيق في قابلية القابل.

والحاصل أن الدخول تحت اسم الرحيم والكريم والمحسن والعفوّ والغفور ونحوها، والخروج من تحت اسم العادل والمنتقم وشديد العقاب وما شابهها، متروك للإنسان ومرتبط به من حيث اعتقاداته وملكاته وأقواله وأفعاله. هنا يأتي دور الشفيع لكي يسأل الشفاعة من خلال الطريق الأول والثاني، وإن كان يرجع أحدهما إلى الآخر بالدقّة.

رجوع الشفاعة التشريعية إلى السببية

من هنا يظهر أن الشفاعة التشريعية من مصاديق السببية الوجودية، فيكون حالها حال الأمور التكوينية في مجال التأثير، حيث لا يؤثّر المقتضي في الأمور التكوينية بإيجاد المقتضى إلا إذا وجد المقتضي أولاً وتحقّق الشرط ثانياً ورُفع المانع ثالثاً، حينئذ يتحقّق المقتضى في الخارج، فلا تحرق النار الورقة مثلاً إلا إذا وجدت النار والورقة، وحصل التماسُّ بينهما، ولم تكن الورقة رطبة غير قابلة للاحتراق.

على هذا فإن المقتضي للشفاعة وإن توفّر؛ لأن الله دائم الفضل على البريّة، ورحمته وسعت كلّ شيء وليست محظورة على أحد من خلقه ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠) وتوفر أيضاً الشفيع المأذون له، إلا أنه لابدّ مع ذلك من كون القابل (العبد المذنب) الذي يستشفع له خالياً من الموانع التي تمنع تحقّق الشفاعة في حقّه، وهذا ما عبّرنا عنه بشرط قابلية القابل. فإن المرآة وإن كانت تعكس صور الأشياء المنعكسة منها، إلاّ أنها لا تقوم بذلك إلا إذا كانت خالية من الرين والوسخ، هكذا بعض الذنوب كالشرك فإنه رين ووسخ يمنع صاحبه من أن يكون قابلاً للعفو والمغفرة الإلهية ﴿بَلۡ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (المطففين: ١٤).

موارد من الحكومة في القرآن

وقد أشار القرآن الكريم إلى موارد من الحكومة، حيث يخرج العبد عن كونه مصداقاً لحكم ليكون مصداقاً لحكم آخر، منها:

• **تبديل السيّئات حسنات**؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (الفرقان: ٧٠).

أشارت الآية إلى أثر التوبة النصوح، وهي الرجوع عن المعصية وأقلّ مراتبها الندم، فلو لم يتحقّق لم ينتزع العبد عن المعصية ولم يزل مقيماً عليها، وإما إتيان العمل الصالح فهو ما تستقرّ به التوبة وبه تكون نصوحاً.

توضيح ذلك: لو عصى الإنسان ربّه لاستحقّ العقوبة بمقتضى قانون العدل الإلهي: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ (النساء: ١٢٣) لكن لو تاب واستغفر لما استحقّ العقاب لأنه سيكون مشمولاً لقانون إلهيّ آخر وهو التوبة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا

لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء: ٦٤) فيكون للتوبة دور الشفيع بل أنجح شفيع كما قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا شفيع أنجح من التوبة**».[١]

ولا يقتصر أثر التوبة على ذلك بل يتجاوزه إلى مقام آخر، حيث يبدّل كلّ سيّئة إلى حسنة، قال الرازي في ذيل هذه الآية: «قال قوم: إن الله يمحو السيّئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه الآية، وهذا قول سعيد بن المسيّب ومكحول»[٢].

فإن قلت: كيف يعقل أن تكون السيّئة حسنة؟

قلنا: «إن السيّئة ليست هي متن الفعل الصادر من فاعله وهو حركات خاصّة مشتركة بين السيّئة والحسنة، كعمل المواقعة مثلاً المشترك بين الزنا والنكاح، والأكل المشترك بين أكل المال غصباً وبإذن من مالكه، بل صفة الفعل من حيث موافقته لأمر الله ومخالفته له مثلاً من حيث إنه يتأثر به الإنسان ويحفظ عليه، دون الفعل الذي هو مجموع حركات متصرّمة متقضّية فانية، وكذا عنوانه القائم به الفاني بفنائه.

وهذه الآثار السيّئة التي يتبعها العقاب ـ أعني السيّئات ـ لازمة للإنسان حتى يؤخذ بها يوم تبلى السرائر. ولولا شوب من الشقوة والمساءة في الذات لم يصدر عنها عمل سيّئ، إذ الذات السعيدة الطاهرة من كلّ وجه، لا يصدر عنها سيّئة قذرة؛ فالأعمال السيّئة إنما تلحق ذاتاً شقيّة خبيثة بذاتها أو ذاتاً فيها شوب من شقاء وخباثة.

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٣٧١، تحقيق: صبحي الصالح.

(٢) التفسير الكبير، مصدر سابق: ج ٢٤ ص ٩٨.

ولازم ذلك إذا تطهّرت بالتوبة وطابت بالإيمان والعمل الصالح فتبدّلت ذاتاً سعيدة ما فيها شوب من قذارة الشقاء، أن تتبدّل آثارها اللازمة التي كانت سيّئات قبل ذلك، فتناسب الآثار للذات بمغفرة من الله ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً.

• **حبط الأعمال**؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢).

وقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧).

الحبط هو بطلان العمل وسقوطه عن التأثير، وقيل: إن أصله من الحَبَط بالتحريك وهو أن يكثر الحيوان من الأكل فينتفخ بطنه وربما أدّى إلى هلاكه. ولم ينسب في القرآن إلا إلى العمل كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ (محمد: ٣٢ـ٣٣) وذيل الآية يدلّ بالمقابلة على أن الحبط بمعنى بطلان العمل كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٦).

وفي معناه ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (الفرقان: ٢٣).

قال الراغب في المفردات: «العمل كلّ فعل يكون من الحيوان بقصدٍ

فهو أخصّ من الفعل، لأن الفعل قد يُنسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعلٌ بغير قصد، وقد يُنسب إلى الجمادات، والعملُ قلّما ينسب إلى ذلك، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العوامل»[١] وقال: «الهباء: دقائق التراب وما نبت في الهواء فلا يبدو إلا في أثناء ضوء الشمس في الكوّة».[٢]

والمعنى: وأقبلنا إلى كلّ عمل عملوه ـ والعمل هو الذي يعيش به الإنسان بعد الموت ـ ففرّقناه تفريقاً وجعلناه بحيث لا يمكن الانتفاع به، كالهباء المنثور الذي لا يمكن القبض عليه.

ونظيره قوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ (النور: ٣٩).

وقوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (إبراهيم: ١٨).

والكلام مبنيّ على التمثيل ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣) مثّل به استيلاء القهر الإلهي على جميع أعمالهم التي عملوها لسعادة الحياة وإبطالها بحيث لا يؤثّر في سعادة حياتهم المؤبّدة شيئاً.

ولا منافاة بين ما تدلّ عليه الآية من حبط الأعمال يومئذ، وبين ما تدلّ عليه آيات آخر أن أعمالهم أُحبطت حينما عملوها في الدنيا بكفرهم وإجرامهم، فإن معنى الإحباط بعد الموت ظهور الحبط لهم بعدما كان خفيّاً في الدنيا عليهم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ص ٣٤٨ مادة «عمل».

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٣٦ مادة «هبا».

وقد ذكرت الروايات الواردة عن طرق الفريقين بعض مصاديق حبط الأعمال:

• «أخرج سمويه في فوائده عن سالم مولى أبي حذيفة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: «**ليجاء يوم القيامة بقوم معهم حسنات مثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباءً، ثم قذفهم في النار**. قال سالم: بأبي أنت وأمي يا رسول الله حل لنا هؤلاء القوم؟ قال: **كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون سنة من الليل، ولكن كانوا إذا عرض عليهم شيء من الحرام وثبوا عليه، فأدحض الله أعمالهم**»(١).

• في الخصال عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جدّه عن علي عليهم السلام قال: «**إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت**»(٢).

بيّن هذا النصّ أن من كان في قلبه ذرّة من بغض عليّ وأهل بيته عليهم السلام فإنه لا يشمّ رائحة الجنة.

وهذا المعنى ورد في كلمات أعلام المسلمين أيضاً؛ قال الزمخشري في ذيل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (الشورى: ٢٣):

---

(١) **الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣م: ج ٦ ص ٢٤٧.

(٢) **الخصال**، للشيخ الجليل الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي: ج ٢ ص ٤٠٨ باب الثمانية، الحديث: ٦.

«قيل يا رسول الله: من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناهما.**

وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

- **من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً.**
- **ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له.**
- **ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً.**
- **ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.**
- **ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة...**
- **ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله.**
- **ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً.**
- **ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنة»**[(١)].

وقال الرازي تعقيباً على هذا الحديث الذي نقله الزمخشري في تفسيره:

«وأنا أقول: آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم، هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولاشكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل».

ثم قال: «لا شك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يحبّ فاطمة عليها السلام؛ قال: **(فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها)** وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك

---

(١) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢١٩.

وجب على كلّ الأمّة مثله؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨) ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ (النور: ٦٣) ولقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) ولقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

هذا مضافاً إلى «أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد**، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمد واجب...»[1].

- ومن موارد الحكومة، أنه تعالى **يكثّر القليل من العمل**:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ (القصص: ٥٤).

وقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠).

وقال ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١).

- ومن مواردها أيضاً أنه سبحانه **يجعل المعدوم من العمل موجوداً**:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١).

فتحصّل أن له تعالى أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣) نعم إنما يفعل لمصلحة مقتضية وعلّة متوسّطة، ولتكن من جملتها شفاعة الشافعين من أنبيائه وأوليائه والمقرّبين من عباده من غير جزاف ولا ظلم.

---

(١) التفسير الكبير، مصدر سابق: ج ٢٧ ص ١٤٣.

أثر الشفاعة

اتّفقت كلمة علماء المسلمين على أن الشفاعة التشريعية من الأصول الأساسية في العقيدة الإسلامية.

• قال النووي في «شرح صحيح مسلم»: «قال القاضي عياض: مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحّة الشفاعة في الآخرة....»[(١)].

• قال الطبرسي في تفسيره: «إن الأمّة أجمعت على أن للنبي صلى الله عليه وآله شفاعة مقبولة وإن اختلفوا في كيفيتها»[(٢)].

• قال الرازي: «أجمعت الأمّة على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم شفاعة في الآخرة، وحُمل على ذلك قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ (الإسراء: ٧٩) وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ (الضحى: ٥)»[(٣)].

• قال ابن كثير الدمشقي في تفسير قوله تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥): «هذا من عظمته وجلاله وكبريائه عزّ وجلّ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة عن الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم: «**آتي تحت العرش فأخرّ ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك وقد تسمع واشفع تشفّع**»[(٤)].

• قال محمد عبد الوهاب: «ثبتت الشفاعة لنبيّنا محمد يوم القيامة

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨ ص ٦٢؛ **شرح صحيح مسلم**: ج ٢ ص ٥٨.

(٢) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٢.

(٤) **تفسير ابن كثير**: ج ١ ص ٣٠٩، عن: **مفاهيم القرآن** للشيخ جعفر السبحاني: ص ١٦٦.

ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد، ونسألها من المالك لها والآذن فيها... إلى أن قال: إن الشفاعة حقّ في الآخرة ووجب على كلّ مسلم الإيمان بشفاعته بل وغيره من الشفعاء»[١].

• قال محمد جواد البلاغي: «لكن لو أعطي القرآن حقّه من التدبّر وسلمت النفوس من وباء الأهواء والتحزّب... لما ثار الهياج من بعض الناس على استشفاع المسلمين بالرسول والأئمة والأولياء، لأنهم عباد مكرمون، وأولى عباد الله بأن نعتقد إذنه جلّت آلاؤه لهم بالشفاعة إكراماً لهم لأجل الحكمة التي ذكرناها. وقد اكتفينا هاهنا بدلالة الكتاب المجيد عن الإشارة إلى ما تواتر معناه من أحاديث المسلمين في هذه الشؤون، وفي كتبهم في الحديث من ذلك شيء كثير والأمر فيه جليّ»[٢].

اتجاهات في تفسير الأثر المترتّب على الشفاعة التشريعية

إلا أنه وقع الاختلاف بين الأعلام في الأثر المترتّب على هذا النحو من الشفاعة، وتوجد اتجاهات ثلاثة في هذا المجال:

الاتجاه الأول: إن الشفاعة لدفع العقاب لا لرفعه

قال الطنطاوي في تفسيره: «إعلم أن الأمّة الإسلامية قد أجمعت أنه صلى الله عليه [وآله] وسلم يشفع في أمّته، وهذا أمر مجمَع عليه، لكن وقع الاختلاف في المقصود منها، وها أنا أذكر لك الحقيقة واضحة جليّة خالصة ظاهرة، ثم أطبّق عليها سائر الأقوال والآيات والأحاديث بحيث يتّفق

---

(١) **الهدية السنية**، الرسالة الثانية: ص٤٢ نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**، مصدر سابق: ص ١٦٧.

(٢) **آلاء الرحمن في تفسير القرآن**، تأليف: الإمام المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠: ج ١ ص ١٣٦.

المشرب الديني والمنهج القويم للتربية الإسلامية.

اعلم أنّ للشفاعة بذوراً ونباتاً وثمراً، فبذورها العلم ونباتها العمل وثمرها النجاة في الآخرة، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام علّموا الناس في الدنيا وفيها غرسوا البذور، والناس إذا عملوا بما سمعوا منهم ولم تكن تلك الشرائع منسوخة فقد استعدّوا للنتيجة، ويوم القيامة ينالون تلك الثمرة وهي النجاة والارتقاء، ولكن تلك الثمرات تختلف باختلاف أعمالهم وجدّهم وحبّهم للخير وأخلاقهم، فمبادئ الشفاعة العلم وأوسطها العمل ونهايتها الفوز والرقيّ في الآخرة، بل كثيراً ما تظهر بعض الثمرات في الحياة الدنيا بالتوفيق والنصر والعزّ، وفي الحديث: **يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**، فهذا يفيد أن الشفاعة تابعة للاقتداء، فالأنبياء علّموا العلماء والعلماء علّموا الناس، وأفضل الناس بعد الأنبياء العلماء فالشهداء، وهم بما قدّموا أنفسهم في سبيل الله أصبحوا قدوة للناس وأعطوهم درساً نافعاً يتبعونهم فيه.

فمن لم يعمل بما أنزل الله وتجافى عن الحقّ فقد عطّل ما وهب له من بذر الشفاعة ولم يسقه ولم يربّه ولم ينْمه العمل، فيحرم ثمرته مع أنه ساوى جميع المسلمين في حصول البذر عنده وخالفهم في قعوده عن استثماره، ساواهم في نوال بذر الشفاعة وخالفهم ونقص عنهم فيما بعد ذلك، وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام في رواية أبي هريرة: «**لا ألفَينّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، كأنه يقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك**» فانظر في قوله صلى الله عليه [وآله] وسلم (قد بلّغتك)، كأنه يقول له التبليغ بذر الشفاعة وعليك العمل يتبعه النجاة.

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة

والسلام دخل المقبرة فقال: **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا**، قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: **بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**، قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمّتك؟ قال: **أرأيت أن كان لرجل خيل غرّ محجلة في خيل دهم، فهل لا يعرف خيله**؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: **فإنهم يأتون يوم القيامة غرّاً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا فليذادنّ رجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضالّ، أناديهم ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، أقول: سحقاً فسحقاً**.

فهؤلاء الذين أعانوا الأمراء على ظلمهم وأولئك الذين بدّلوا بعد نبيّهم وأولئك الذين جاءوا يحملون شياهاً قد ظلموا في حملها، كلّ هؤلاء قد بذرت لهم بذور الشفاعة ولكنهم حرموا أنفسهم ثمرتها بتفريطهم فيها جزاءً وفاقاً، فإذا قيل إنه يشفع في أهل الكبائر أو في زيادة الحسنات للمحسنين، فقد دخل ذلك كلّه في هذا الذي أوضحته لك.

وهذا التفسير الذي اخترته للشفاعة كما جمع بين الأقوال كلّها والأحاديث ونظام الله عزّ وجلّ في ملكه وآيات القرآن وعدل الله سبحانه وتعالى، هكذا يناسب ما يجب أن تكون عليه الأمّة الإسلامية في مستقبل الزمان، عندها يفهمون قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧و٨) وقوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٤) ويعرفون أنه عزّ وجلّ عدل، ولن يخرج من بذر القمح إلا القمح ولا من النواة إلا ما كان من جنسها. هكذا بنو آدم في الآخرة كلٌّ يوضع في المكان الذي استحقّه ولا يقدر أن يتجاوزه على حسب الأخلاق التي اكتسبها، وفي الحديث «**يحشر**

المرء على ما مات عليه» وفي الآية ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ (الإسراء: ٧٢).

والحاصل: لو أن أعظم الملوك قدراً وأكثر الأغنياء مالاً أحضر أساطين الحكماء وأكابر العلماء لولده الغبيّ وأغدق عليهم النعم ليصير عالماً لم يقدروا على ذلك، أما هو فيقدر أن يفيض المال على أيّ فقير فيصير غنياً في الحال. فشفاعة الأنبياء ليست من قبيل الهبات المالية ولا الوظائف الإدارية، وإنما هي نفحات علمية وأخلاق حكمية وآداب نبوية، فمن فَقِه ما قالوه واتّبع ما رسموه واستثمر من بذور الشفاعة ما بذروه تمّت له الشفاعة ودخل مع الجماعة.

وليس هذا بمخالف أهل السنّة ولا المعتزلة، فإن خروج العاصي من النار بالشفاعة أو إبعاده عنها قبل الدخول وكذلك زيادة الحسنات في الأعمال للصالحين، كلّ هذا جاء من شفاعته صلى الله عليه [وآله] وسلّم واتّباعه، بل كلّ ثواب فإنما هو بسبب ذلك، وهكذا كلّ نجاة فإنه صلى الله عليه [وآله] وسلم لو لم يأتِ لنا بالشريعة لكنّا أقرب الناس إلى الحيوان، فصرنا باتّباعه داخلين في شفاعته لأنا به صرنا شفعاً، ولا يكون ذلك إلا باتّباعه ولا ننال إلا ما استعددنا له»[(١)].

هذا الكلام يشتمل على نقطتين أساسيتين:

الأولى (لا كلام لنا فيها)، وهي: أن هناك رابطة حقيقية وعلاقة وجودية بين اعتقاد الإنسان وخُلقه وعمله في هذه النشأة وبين الجزاء في

---

(١) **الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكوّنات وغرائب الآيات الباهرات**، تأليف: الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩١م: ج ١ ص ٦٤ - ٧٠ بتصرّف.

تلك النشأة، وأن ذلك من مصاديق الشفاعة، وهذه حقيقة أشارت إليها جملة من الآيات والروايات؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف: ٥٨). مثل ضربه تعالى لترتّب الأعمال الصالحة والآثار الحسنة على الذوات الطيّبة الكريمة كخلافها على خلافها، وقال أيضاً: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ (الأعراف: ٢٩ ـ ٣٠).

الثانية: إن الشفاعة الواردة في الآيات والروايات تختص بدفع العقاب قبل وجود ما يوجبه، لا رفع العقاب الثابت على المجرمين يوم القيامة بعد ثبوت الجرم ولزوم العقاب.

توضيح ذلك: إن الشفاعة التي يقولها صاحب هذا الاتجاه تعني أن نزول الشريعة على الأنبياء عليهم السلام وتعليمهم إيّاها للناس وهدايتهم إلى العمل الصالح وبيانهم سبل التوبة والعمل بها، كلّ ذلك يكون سبباً لدفع العقوبة قبل أن تثبت في حقّ هذا العبد أو ذاك، لا أنها ـ أي العقوبة ـ سوف تتحقّق وتكتب له ثم ترفع عنه يوم القيامة بشفاعة الشفعاء.

وهذا يعني أن الشفاعة المصطلحة تعني تخليص العصاة يوم القيامة من عواقب أعمالهم وآثار معاصيهم وأفعالهم، بخلاف هذا التفسير للشفاعة فإنها توجب أن لا يقع العبد في عداد العصاة حتى يستحقّ ما يوجب العقوبة.

وإن شئت قلت: إن الشفاعة الأولى نتيجتها تخليص العبد بعد زلّته وعثرته وبعد وقوعه في المهالك والمهاوي، لكن الشفاعة الثانية تمنع عن وقوع العبد في المهالك وزلّته إلى المهاوي. فالأولى من قبيل الرفع والثانية من قبيل الدفع، والفرق بينهما واضح؛ فإن الرفع يمنع المقتضي عن التأثير

بعد وجوده، والدفع يمنع عن وجود المقتضي وتكوّنه، وهذا معناه أن الدفع هو حسم أسباب الذنب وعدم الإعداد لها رأساً لا إزالة آثارها بعد حصولها.

ولاشكّ أن ظرف هذا النحو من الشفاعة التي يقوم بها الأنبياء والأولياء والكتب السماوية والعلماء إنما هو في الحياة الدنيا، فإن تعاليمهم وقيادتهم الحكيمة وهداية القرآن ونحوها إنما تتحقّق في هذه النشأة وإن كانت نتائجها تظهر في النشأة الأخرى، فمن عمل بالقرآن وجعله أمامه في هذه الحياة قاده إلى الجنة في الحياة الأخرى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلّ جديد ويقرّبان كلّ بعيد ويأتيان بكلّ موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز.** فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: **دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفّع وماحل مصدّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل**»[١].

فهنا قد يقال: إن قوله صلى الله عليه وآله **(ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة)** تفسير لقوله: **(فإنه شافع مشفّع)**.

إلاّ أنه حتى لو كان الأمر كذلك فإن هناك روايات كثيرة تبيّن أن القرآن شافع مشفّع يوم القيامة أيضاً؛ قال الإمام علي عليه السلام: «**واعلموا أنه** (القرآن) **شافع مشفّع وقائل مصدّق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفِّع**

---

(١) **الأصول من الكافي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥٩٨ كتاب فضل القرآن، الحديث: ٢.

فيه، ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة صُدّق عليه، فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه»[١].

وسيأتي تفصيل الحديث في مبحث الشفعاء يوم القيامة.

والحاصل فإن هذا التفسير من الشفاعة لا يتحقّق إلا من خلال ضمّ هداية القرآن وتوجيهات الأنبياء والأئمة إلى إرادة المكلفين وسعيهم في هذه الحياة، ليفوزوا بالسعادة الأبدية ويصلوا إلى أعلى الدرجات في الحياة الأخرى، فالمكلّف لا يصل إلى هذه المقامات ولا يتخلّص من تبعات المعاصي وحده، كما أن خطاب القرآن والأنبياء لا يكون له أثر من دون أن يكون هناك من يسمع القول ويلبّي النداء، وإنما يحصل التأثير إذا انضمّ عمل المكلّف إلى الهداية الإلهية وكذا العكس، فعندئذ تتحقّق الغاية والهدف، وهذه هي الشفاعة اللغوية التي تقدّم الكلام عنها، حيث قلنا: إن الشفع يقابل الوتر، فكأن الشفيع ينضمّ إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعدما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريده لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها.

الاتجاه الثاني: إن الشفاعة لدفع العقاب ورفعه

هذا الاتجاه وإن لم يختلف عن الاتجاه الأول في أن الوظيفة الأساسية للأنبياء والأئمة والعلماء والكتب السماوية أن يبلّغوا الوحي الإلهي إلى الناس ويعلّموهم طرق النجاة والفلاح ويحذّروهم الوقوع في المهاوي والمهالك، فيكونوا بذلك سبباً من أسباب دفع العقاب عنهم، وأن ذلك من

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: الخطبة: ١٧٦.

مصاديق الشفاعة، إلا أنه بالاضافة إلى ذلك يعتقد أن الآيات والروايات لم تحصر الشفاعة بهذا المصداق وإنما ذكرت مصداقاً آخر لها يقوم على أساس أن إرادة الله الحكيمة جرت في صفحة الوجود الإمكاني أن يتحقّق كلّ شيء من طريق سببه الخاصّ به، فكما أن رحمته التي وسعت كلّ شيء ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦) تصل إلى عباده في الحياة الدنيا عن طرق خاصّة وعلل طبيعية يلمسها كلّ من فتح عينه على الكون، فكذلك رحمته المعنوية ومغفرته الواسعة تصل في الحياة الأخرى إلى عباده عن طريق علل وأسباب خاصّة، ولتكن من جملتها شفاعة الشافعين من أنبيائه وأوليائه والمقرّبين من عباده من غير جزاف ولا ظلم. وما ذلك إلا لأن الله سبحانه قد جعل لكلّ شيء سبباً وقضى أن لا يصدر المسبّب إلا بتوسّط أسبابه، فدارُ الوجود وصفحة الكون دار الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات، وقد جرت عليه مشيئته وإرادته. وهذا ما أشارت إليه الآيات والروايات؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٣) وقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨) وقال: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: **أبى الله أن يُجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً»**(١).

«ولا بُعد في أن يصل غفرانه سبحانه إلى عباده يوم القيامة عن طريق خيرة عباده، فإن الله سبحانه قد جعل دعاءهم في الحياة الدنيا سبباً ونصّ

---

(١) **الأصول من الكافي**: كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والردّ إليه، الحديث٧، ج١ ص١٨٣.

بذلك في بعض آياته، فنرى أن أبناء يعقوب لما عادوا خاضعين رجعوا إلى أبيهم وقالوا له: ﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ (يوسف: ٩٧) فأجابهم يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٨).

ولا يختصّ ذلك بيعقوب عليه السلام بل ذكر القرآن استجابة دعاء النبيّ الأكرم في حقّ العصاة من أمّته؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤).

فهذه الآيات ونظائرها كقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (التوبة: ١٠٣) تدلّ على أن مغفرته سبحانه قد تصل إلى عباده بتوسيط واسطة كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد تصل بلا واسطة كما يفصح عنه سبحانه بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ (التحريم: ٨). ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود: ٩٠) إلى غير ذلك من الآيات التي تكشف عن أن توبة العبد تجلب المغفرة بلا واسطة أحد، وقد تصل بتوسيط واسطة هي من أعزّ عباده وأفضل خليقته وبريّته»[1].

إذا تمّ ما سبق من التحليل لمفهوم الشفاعة فلا محذور في جريانها يوم القيامة على يد عدّة من عباده من الملائكة والناس من بعد الإذن والارتضاء، فهو تمليك ولله الملك وله الأمر، فلهم أن يتمسّكوا برحمته وعفوه ومغفرته وما أشبه ذلك من صفاته العليا لتشمل عبداً من عباده ساءت حاله بالمعصية وشملته بليّة العقوبة، وذلك عن طريق ما تقدّم بيانه

---

(١) مفاهيم القرآن، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢١١.

من أن الشفيع إنما يحكّم بعض العوامل المربوطة بالمورد المؤثّرة في رفع العقاب مثلاً من صفات المشفوع عنده أو نحوها على العامل الآخر الذي هو سبب وجود الحكم وترتّب العقاب على مخالفته، فلا يشمله الحكم الأول لعدم كونه من مصاديقه، لا أن يشمله فيبطل حكمه بعد الشمول بالمضادّة.

فحقيقة الشفاعة التوسّط في إيصال نفع أو دفع شرّ بنحو الحكومة دون المضادّة، فهي من مصاديق السببية حيث يتوسّط السبب المتوسّط القريب بين السبب الأول البعيد ومسبَّبه.

والآيات والروايات خير شاهد على صحّة ما ادعيناه من أن الشفاعة لا تختصّ بالذي ذكر في الاتجاه الأول، وإنما تجري لتشمل العصاة والمذنبين يوم القيامة أيضاً.

فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨) فلو كان المراد هو المغفرة في ضوء الطاعة العملية من الإيمان والعمل الصالح لما صحّ استثناء الشرك في الآية، لأن الشرك يغفر في هذا الإطار أيضاً لقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ (الزمر: ٥٣ ـ ٥٤). وهذا معناه أن الله سبحانه مغفرة ورحمة خارجة عن إطار العمل والتوبة، وأن رحمته الواسعة كما تصل إلى عباده عن طريق الإيمان والعمل الصالح، تصل إليهم عن طريق آخر وهو كون العبد قابلاً للمغفرة والرحمة حافظاً لعلاقاته مع الله ومع الشفعاء وإن كان قاصراً في العمل.

قال الطباطبائي: «ومغفرته سبحانه وعدم مغفرته لا يقع شيء منهما وقوعاً جزافياً بل على وفق الحكمة وهو العزيز الحكيم، فأما عدم مغفرته للشرك فإن الخلقة إنما تثبت على ما فيها من الرحمة على أساس العبودية والربوبيّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦) ولا عبودية مع شرك، وأما مغفرته لسائر المعاصي والذنوب التي دون الشرك فلشفاعة من جعل له الشفاعة من الأنبياء والأولياء والملائكة والأعمال الصالحة. وأما التوبة فالآية غير متعرّضة لشأنها من حيث خصوص مورد الآية، لأن موردها عدم الإيمان ولا توبة معه، على أن التوبة يغفر معها جميع الذنوب حتى الشرك. والمراد بالشرك في الآية ما يعمّ الكفر لا محالة، فإن الكافر أيضاً لا يغفر له البتّة وإن لم يصدق عليه المشرك بعنوان التسمية، ولعلّ ما ذكرناه هو النكتة؛ لقوله: ﴿أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ دون أن يقول: المشرك أو المشركين.

وقوله ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ تقييد للكلام لدفع توهّم أنّ لأحد من الناس تأثيراً فيه تعالى يوجب به عليه المغفرة، فيحكم عليه تعالى حاكم أو يقهره قاهر. على أن من الحكمة أن لا يغفر لكلّ مذنب ذنبه وإلا لغى الأمر والنهي وبطل التشريع وفسد أمر التربية الإلهية. ومن هنا يظهر أن كلّ واحد من المعاصي لابد أن لا يغفر بعض أفراده وإلا لغى النهي عنه، وهذا لا ينافي عموم لسان آيات أسباب المغفرة، فإن الكلام في الوقوع دون الوعد على وجه الإطلاق، ومن المعاصي ما يصدر عمن لا يغفر له بشرك ونحوه.

فمعنى الآية أنه تعالى لا يغفر الشرك من كافر أو مشرك ويغفر سائر الذنوب دون الشرك بشفاعة شافع من عباده أو عمل صالح، وليس هو تعالى مقهوراً أن يغفر كلّ ذنب من هذه الذنوب لكلّ مذنب بل له أن يغفر

وله أن لا يغفر، كلّ ذلك لحكمة»[١].

وقال الرازي: «إنه تعالى قسّم المنهيّات إلى قسمين: الشرك وما سوى الشرك، ثم إن ما سوى الشرك يدخل فيه الكبيرة قبل التوبة والكبيرة بعد التوبة والصغيرة، ثم حكم على الشرك بأنه غير مغفور قطعاً، وعلى ما سواه بأنه مغفور قطعاً لكن في حقّ من يشاء، فصار تقدير الآية أنه تعالى يغفر كلّ ما سوى الشرك لكن في حقّ من يشاء. ولمّا دلّت الآية على أن كلّ ما سوى الشرك مغفور، وجب أن تكون الكبيرة قبل التوبة أيضاً مغفورة. روى الواحدي في «البسيط» بإسناده عن ابن عمر قال: كنّا على عهد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا مات الرجل منّا على كبيرة شهدنا أنه من أهل النار، حتى نزلت هذه الآية فأمسكنا عن الشهادات»[٢].

ومن الآيات أيضاً قوله عز من قائل: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ (النجم: ٢٦) ومن المعلوم أن الشفاعة الممكنة من الملائكة في حقّ الإنسان إنما هي الشفاعة المصطلحة في النشأة الأخرى، لعدم وجود علاقة التوجيه والتعليم من الملائكة للبشر مباشرة وبلا واسطة في هذه النشأة. وكذلك قوله ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

ومن الآيات أيضاً قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا * يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ (طه: ١٠٨ـ ١٠٩).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٧٠.

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ١٠ ص ١٠٠.

فإذا لاحظنا هذه الآية وأمعنّا النظر في كلمة «يومئذ» التي وردت مكرّرة في الآيات، نقف على أن ظرف إعمال الشفاعة وتحقّقها وظهور نتائجها إنما هو في النشأة الأخروية، أعني اليوم الموعود الذي وعده الله لجميع الناس ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾ (آل عمران: ٩) ومن الواضح أن هذه الشفاعة هي غير الشفاعة التي يكون تحقّقها في الحياة الدنيا وتظهر نتائجها وآثارها في الحياة الأخرى، فكيف يصحّ تفسير إحدى الشفاعتين بالأخرى.

أما الروايات فهي كثيرة سنقف على بعضها بعد عرض الاتجاه الثالث.

الاتجاه الثالث: إن الشفاعة لزيادة الثواب لا لإسقاط العقاب

اتجه المشهور من أتباع المعتزلة إلى القول بأن الشفاعة ـ التي أجمعت عليها الأمّة ـ مختصة بالتائبين من المؤمنين، فيكون أثرها ترفيع المقام وزيادة الثواب في الآخرة لا الإنقاذ من العذاب والخروج منه.

قال الرازي «اختلفوا بعد هذا (أي إجماع الأمّة على أن لمحمد صلى الله عليه [وآله] وسلم شفاعة في الآخرة) في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون؟ أتكون للمؤمنين المستحقّين للثواب، أم تكون لأهل الكبائر المستحقّين للعقاب؟ فذهبت المعتزلة إلى أنها للمستحقّين للثواب، وتأثير الشفاعة في أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقّوه، وقال أصحابنا (أي الأشاعرة): تأثيرها في إسقاط العقاب عن المستحقّين للعقاب، إما بأن يشفع لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار، وإن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة، واتّفقوا على أنها ليست للكفار»(١).

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٢.

وقال الطبرسي: «إن الأمّة اجتمعت على أن للنبي صلى الله عليه وآله شفاعة مقبولة، وإن اختلفوا في كيفيتها، فعندنا هي مختصّة بدفع المضارّ وإسقاط العقاب عن مستحقّيه من مذنبي المؤمنين، وقالت المعتزلة: هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين، وهي ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه وآله ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين»[(١)].

والسبب الذي دعا هؤلاء إلى القول بأن الشفاعة إنما هي لزيادة الثواب لا لرفع العقاب، هو ما اختاروه في مسألة معروفة وقع الخلاف فيها بين المدارس الكلامية، هي هل الفاسق مخلّد في العذاب أم لا؟

مما لا ريب فيه أن الله تعالى أوعد المجرمين التخليد في العذاب، فهل هذا مختصّ بالمشركين والمنافقين أم يعمّ مرتكب الكبيرة أيضاً؟ ذهب جملة من أعلام المعتزلة إلى عمومها، من هنا صار القول بالخلود في النار لمرتكبي الكبائر من السمات البارزة التي تميّز مذهب الاعتزال عن غيره، وخالفوا في ذلك جمهور المسلمين؛ قال الشيخ المفيد: «اتّفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفّار خاصّة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة، ووافقهم على هذا القول كافّة المرجئة سوى محمد بن شبيب وأصحاب الحديث قاطبة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك وزعموا أن الوعيد بالخلود في النار عام في الكفّار وجميع فسّاق أهل الصلاة»[(٢)].

---

(١) **مجمع البيان في تفسير القرآن**: ج ١ ص ٢٣٠ ذيل الآية ٤٨ من سورة البقرة.

(٢) **أوائل المقالات**: ص ١٤ نقلاً عن **بحوث في الملل والنحل**، دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، تأليف: جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ: ج ٣ص ٣٤٥.

لذا قال المحقق الطوسي: «والكافر مخلّد، وعذاب صاحب الكبيرة منقطع؛ لاستحقاقه الثواب بإيمانه ولقبحه عند العقلاء»[١].

وعلّق القوشجي على ذلك بقوله: «اتّفق المسلمون على أن عذاب الكفّار المعاندين دائم لا ينقطع... وأما عذاب صاحب الكبيرة هل هو منقطع أم لا؟ فذهب أهل السنة والإمامية من الشيعة وطائفة من المعتزلة إلى أنه ينقطع...»[٢].

وقال الرازي «واعلم أن هذه المسألة من معظمات المسائل، ولنذكرها ههنا فنقول: اختلف أهل القبلة في وعيد أصحاب الكبائر، فمن الناس من قطع بوعيدهم وهم فريقان: منهم من أثبت الوعيد المؤبّد وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبت وعيداً منقطعاً، ومن الناس من قطع بأنه لا وعيد لهم وهو قول شاذّ ينسب إلى مقاتل بن سليمان المفسّر.

والقول الثالث: إنا نقطع بأنه سبحانه وتعالى يعفو عن بعض المعاصي، ولكنّا نتوقّف في حقّ كلّ أحد على التعيين أنه هل يعفو عنه أم لا؟ ونقطع بأنه تعالى إذا عذّب أحداً منهم مدة فإنه لا يعذّبه أبداً بل يقطع عذابه، وهذا هو قول أكثر الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة وأكثر الإمامية»[٣].

ولا أريد هنا الدخول في الأدلّة التي ساقها المعتزلة لإثبات دعواهم وما يمكن أن يرد على هذه الاستدلالات من النقوض والإشكالات، لأنه

---

(١) **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد**، تأليف: العلامة الحلّي، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: الأستاذ حسن حسن زادة الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران: ص ٤١٤ المسألة الثامنة من المقصد السادس في المعاد.

(٢) **شرح تجريد الاعتقاد**، لنصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي: تأليف: علاء الدين علي بن محمد القوشجي: ص ٣٨٦ الطبعة الحجرية.

(٣) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٣٢.

بحث موكول إلى غير هذه الدراسة.[١]

لكن يمكن الإشارة إلى بعض الآيات التي تدلّ على أن مرتكب الكبيرة غير مخلّد في النار وإن لم يتب منها:

• قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى: ٢٥).

فإنّ عطف قوله ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على قوله ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ بـ «واو العطف» يدلّ على التغاير بين الجملتين وأن هذا العفو لا يرتبط بالتوبة وإلا كان اللازم عطفه بالفاء.

قال الرازي: «قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾إما أن يكون المراد منه أن يعفو عن الكبائر بعد الإتيان بالتوبة أو المراد منه أن يعفو عن الكبائر قبل التوبة، والأول باطل وإلا لصار قوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ عين قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ والتكرار خلاف الأصل، فبقي القسم الثاني فيكون المعنى أنه تارة يعفو بواسطة قبول التوبة وتارةً يعفو ابتداءً من غير توبة»[٢].

• وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨) وجه دلالة الآية على أن عفوه ورحمته تشمل غير التائب من الذنوب، أنه سبحانه نفى غفران الشرك دون غيره من الذنوب، وبما أن الشرك يغفر مع التوبة كما تقدّم مراراً فتكون الجملتان ناظرتين إلى غير التائب حتى يكون النفي والإثبات فيهما متوجّهين إلى شيء واحد.

---

(١) يمكن مراجعة كلمات الطرفين في: **بحوث في الملل والنحل**: ج٣ ص ٣٤٦- ٣٥١ **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**: ج٣ ص١٣٣ - ١٤٨ في ذيل الآية ٨١ من سورة البقرة.

(٢) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ٢٧ ص ١٤٥.

فمعنى قوله: ﴿لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ أنه لا يغفر إذا مات بلا توبة، كما أن معنى قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين. ولو كانت سائر الذنوب مثل الشرك غير مغفورة إلا بالتوبة لما حسن التفصيل بينهما مع وضوح دلالة الآية على التفصيل.

ولا يلزم من حمل الآية على ظاهرها وإدخال ما دون الشرك في الغفران الإلهي إغراء بالمعصية، لأن الإغراء إنما يحصل بالقطع على الغفران، وأما إذا كان الغفران متعلّقاً بالمشيئة فلا إغراء فيه، بل يكون العبد به واقفاً بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله بها عباده المرتضين في قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ (السجدة: ١٦) وقوله: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ (الزمر: ٩).

• وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (الشورى: ٣٠) .

فإن الآية واردة في حقّ غير التائب وإلا فإن الله سبحانه يغفر ذنوب التائب جميعاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٥٣) لا كثيرها فقط، مع أنه سبحانه يقول ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾.

والحاصل: إن الآية دالّة على أنه تعالى يترك الكثير من هذه التشديدات بفضله ورحمته.

وروي عن الإمام علي عليه السلام أن النبيّ صلى الله عليه وآله قرأ هذه الآية وقال: «**ما عفا الله عنه فهو أعزّ وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة**»[1].

---

(١) رواه الواحدي في البسيط نقلاً عن **التفسير الكبير**، مصدر سابق: ج ٢٧ ص ١٤٩.

وكيفما كان فقد ترتّب على هذا الأصل الذي اختاره بعض أعلام المعتزلة (من أن العصاة ومقترفي الذنوب إذا ماتوا بلا توبة فإنهم مخلّدون في النار) أن اتجهوا إلى توجيه الآيات والروايات الدالّة على إثبات الشفاعة لرفع العقاب بما ينسجم مع قواعدهم في تلك المسألة، فاستدلّوا لاثبات دعواهم (إن الشفاعة هي لزيادة الثواب لا لإسقاط العقاب) بوجوه نحاول الوقوف على بعضها:

• قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨).

قالوا إنها تدلّ على نفي الشفاعة من ثلاثة أوجه:

الأول: قوله: ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ ولو أثّرت الشفاعة في إسقاط العقاب لأجزت نفس عن نفس شيئاً.

الثاني: قوله: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ وهذه نكرة في سياق النفي فتعمّ جميع أنواع الشفاعة.

الثالث: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ ولو كان محمد صلى الله عليه وآله شفيعاً لأحد من العصاة لكان ناصراً له، وذلك على خلاف الآية.

• وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

ظاهر الآية يقتضي نفي الشفاعات بأسرها.

• وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ (البقرة: ٢٧٠).

ولو كان الرسول يشفع للفاسق من أمّته لوصفوا بأنّهم منصورون، لأنه إذا تخلّص بسبب شفاعة الرسول عن العذاب فقد بلغ الرسول النهاية في نصرته.

• وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

أخبر تعالى عن ملائكته أنهم لا يشفعون لأحد إلا أن يرتضيه الله عزّ وجلّ، والفاسق ليس بمرتضى عند الله، وإذا لم تشفع الملائكة له فكذا الأنبياء عليهم السلام، لأنه لا قائل بالفرق.

• وقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨).

ولو أثّرت الشفاعة في إسقاط العذاب لكانت الشفاعة قد تنفعهم، وذلك ضدّ الآية.

• وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ (غافر: ٧).

ولو كانت الشفاعة حاصلة للفاسق لم يكن لتقييدها بالتوبة ومتابعة السبيل معنىً.

والجواب الإجمالي عنها جميعاً ـ وسيأتي بحثه التفصيلي ـ أن هذه الآيات ونظائرها على فرض شمولها لغير الكافر فإنها تفيد نفي الشفاعة بنحو العموم أو الإطلاق، فتكون الأدلّة الدالّة على ثبوت الشفاعة تحت شرائط خاصّة، مخصّصة ومقيّدة لها، كما هو ثابت في مباحث علم الأصول.

وقد تواترت الروايات الواردة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لإثبات الشفاعة وأنها لرفع العقاب لا لزيادة الثواب فقط.

• منها ما رواه أئمة الحديث من الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي**».

• وكذلك ما ورد عنه: «**إن لكلّ نبيّ دعوة مستجابة فتعجّل كلّ نبيّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي وهي نائلة من مات منهم لا يشرك**

بالله شيئاً»[١].

الحديث صريح في أن شفاعته صلى الله عليه وآله تنال كلّ من مات من أمّته لا يشرك بالله شيئاً، وصاحب الكبيرة كذلك فوجب أن تناله شفاعته.

• ومنها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليخرجنّ قوم من أمّتي من النار بشفاعتي يسمّون الجهنّميين**»[٢].

• ومنها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**خُيّرتُ بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمّتي الجنّة فاخترت الشفاعة لأنها أعمّ وأكفى، أترونها للمتّقين، لا ولكنها للمذنبين الخطّائين المتلوّثين**»[٣].

• ومنها: قال علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا قُمت المقام المحمود تشَفّعتُ في أصحاب الكبائر من أمّتي فيشفعّني الله فيهم...**»[٤].

وبهذا يتّضح عدم تمامية ما ذكره بعض أعلام المعتزلة[٥] حيث اعترضوا على حديث: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**» بـ «أنه خبر آحاد ورد على مضادّة القرآن، وخبر الواحد إذا ورد على خلاف القرآن وجب ردّه، هذا مضافاً إلى أن هذه المسألة (أي الشفاعة) ليست من المسائل العملية فلا يجوز

---

(١) **صحيح البخاري**: ج ٨ ص ٨٣، ج ٩ ص ١٧٠، **صحيح مسلم**: ج١ ص ١٣٠، **سنن ابن ماجة**: ج ٢ ص ١٤٤٠، **موطأ مالك**: ج ١ ص ١٦٦، **سنن الترمذي**: ج ٥ ص ٢٣٨، **مسند أحمد**: ج ١ ص ٢٨١ ج ٣ ص ٢١٣، **سنن أبي داود**: ج ٢ ص ٥٣٧، **من لا يحضره الفقيه**: ج ٣ ص ٣٧٦ الحديث رقم: ١٧٧٧، نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**: ص ٢٨٩.

(٢) **سنن ابن ماجة**: ج ٢ ص ١٤٤٣ و**سنن الترمذي**: ج ٤ ص ١٤٤، وبهذا المضمون: **مسند أحمد**: ج ٤ ص ٤٣٤ نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**، مصدر سابق: ص ٢٩١.

(٣) **سنن ابن ماجة**: ج ٢ ص ١٤٤١ نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**: ص ٢٩١.

(٤) **أمالي الصدوق**: ص١٧٧ نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**: ص ٣٠٠.

(٥) **بحوث في الملل والنحل**: ج ٣ص ٣٥٣، **التفسير الكبير**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٦١.

الاكتفاء فيها بالظن، وخبر الواحد لا يفيد إلا الظنّ فلا يجوز التمسّك في هذه المسألة بهذا الخبر»[١].

والجواب عن ذلك:

أولاً: لم يثبت أن القرآن نفى الشفاعة بمعنى رفع العقاب، بل أثبتها كما تقدّم وسيأتي.

وثانياً: لو سلّمنا ذلك فإنه يمكن تخصيص ذلك من خلال الدليل القطعي، والروايات ـ فضلاً عن الآيات ـ الدالّة على هذا النحو من الشفاعة قطعية الصدور، فيمكن تخصيص الظاهر القرآني بها والاستناد إليها في المسائل الاعتقادية.

قال الفخر الرازي: «أجاب أصحابنا عن هذه المطاعن بأنّ كلّ واحد من هذه الأخبار وإن كان مروياً بالآحاد إلا أنها كثيرة جداً وبينها قدر مشترك واحد وهو خروج أهل العقاب من النار بسبب الشفاعة، فيصير هذا المعنى مرويّاً على سبيل التواتر فيكون حجّة والله أعلم»[٢].

وهذا ما أكده علماء المسلمين من الفريقين:

• قال الشيخ الطوسي: «إن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون في إسقاط المضارّ دون زيادة المنافع، والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبيّ صلى الله عليه وآله فيشفعّه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقّين من أهل الصلاة؛ لما روي من قوله عليه السلام: **ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**. وإنما قلنا (لا تكون في زيادة المنافع) لأنها لو استعملت في ذلك لكان أحدنا شافعاً في النبيّ صلى الله عليه وآله إذا سأل الله أن يزيد في كراماته، وذلك خلاف

---

(١) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٣ ص ٦١.

الإجماع. فعلم بذلك أن الشفاعة مختصّة بما قلناه. والشفاعة ثبتت عندنا للنبي صلّى الله عليه وآله وكثير من أصحابه ولجميع الأئمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين»[(١)].

• وقال القاضي عيّاض: «مذهب أهل السنّة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً؛ بصريح الآيات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحّة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنّة عليها، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلّقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار. واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨) وأمثاله وهي في الكفّار. وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار»[(٢)].

• وقال الشعراني: «قال صلّى الله عليه [وآله] وسلم: **أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة وأوّل شافع وأول مشفّع**. قال العلماء: وإنما خصّ يوم القيامة بالسيادة لأنه يوم ظهورها لكلّ أحد، كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٦) بخلاف شرفه في الدنيا وسيادته، فإنها لا تخلو من منازع. قال الجلال السيوطي وغيره: وله صلى الله عليه [وآله] وسلم ثمان شفاعات:

أولها وأعظمها: شفاعته في تعجيل حساب الخلائق وإراحتهم من طول ذلك الموقف، وهي مختصّة به.

---

(١) **التبيان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ٢١٣.

(٢) **شرح صحيح مسلم** للنووي: ج ٢ ص ٥٨، نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**، مصدر سابق: ص ١٦٠، **بحار الأنوار**: ج ٨ ص ٦٢.

....

وثالثها: فيمن استحقّ دخول النار أن لا يدخلها.

ورابعها: في إخراج من أُدخل النار من الموحّدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم»[(١)].

• وقال ابن تيمية الحرّاني الدمشقي: «للنبيّ في القيامة ثلاث شفاعات... وأما الشفاعة الثالثة، فيشفع في من استحقّ النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيّين والصدّيقين وغيرهم في من استحقّ النار أن لا يدخلها ويشفع في من دخلها، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزّلة من السماء والأثارة من العلم المأثور عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد»[(٢)].

وله رسالة أخرى أسماها بالاستغاثة، اعتبر فيها المعتزلة والخوارج الذين أنكروا الشفاعة بمعناها المعروف، وهو إسقاط العقوبة، أهل ضلال وبدعة. قال: «وأما من أنكر ما ثبت بالتواتر والإجماع فهو كافر بعد قيام الحجّة»[(٣)].

• وقال أحمد بن المنير الاسكندري: «أما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها، وأما من آمن بها وصدّقها وهم أهل السنّة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله، ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين وإنما ادُّخرت

---

(١) **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، تأليف: الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي، طبعة جديدة ومصحّحة ومخرجة الآيات القرآنية الكريمة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، لبنان: ص ٦١١.

(٢) **مجموعة الرسائل الكبرى**: ج ١ ص ٤٠٣ نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**: ص ١٦٥.

(٣) الاستغاثة في ضمن **مجموعة الرسائل الكبرى**: ج١ ص ٤٨١.

لهم. وليس في الآية ـ أي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ ...﴾ ـ دليل لمنكريها، لأن قوله ﴿يَوۡمٗا﴾ أخرجه منكّراً، ولا شك أن في القيامة مواطن، ويومها معدود بخمسين ألف سنة، فبعض أوقاتها ليس زماناً للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقد وردت آي كثيرة ترشد إلى تعدّد أيّامها واختلاف أوقاتها، منها قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فيتعيّن حمل الآيتين على يومين مختلفين متغايرين: أحدهما محلّ للتساؤل والآخر ليس محلاًّ له، وكذلك الشفاعة، وأدلّة ثبوتها لا تحصى كثرة...»[1].

والحاصل: إن المشهور بين المحققين من علماء المسلمين أن الشفاعة الثابتة لسيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله في أمّته بل في الأمم الماضين ولسائر الأنبياء والأئمة والملائكة والأولياء وغيرهم كما تكون في زيادة الثواب، تكون كذلك لإسقاط العقاب عن فسّاق المسلمين، إما بأن يشفعوا لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار، وإن دخلوا فيشفعوا لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة، خلافاً للخوارج وبعض أعلام المعتزلة حيث خصّوها لطلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقّين للثواب، لكنّ الأدلّة المتقدّمة تبطل مذهبهم كما عرفت.

---

(١) **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري، مصدر سابق: ج١ ص ١٣٦، حاشية العلامة أحمد بن المنير الاسكندري المسمّاة بالانتصاف، وفيها يناقش الزمخشري في ما أورده من العقائد على مذهب المعتزلة ويورد ما يقابلها عند أهل السنة.

شرائط المشفوع لهم

إن الضابطة الكليّة التي يجب الالتفات إليها هنا أن القرآن الكريم لم يحدّد شخصاً معيّناً أو جماعة معيّنة أو ذنباً معيّناً تشمله الشفاعة على نحو التحديد، لأن لازم مثل ذلك هو نقض الغرض الذي من أجله أنزلت الشرائع وبلّغها الأنبياء والرسل إلى الناس، وإلا لو أحرز الإنسان التخلّص عن الجزاء وتبعة المخالفة والعصيان بشفاعة أو غيرها، للزم أن يكون هذا المبدأ هادماً للإنسانية ومؤخّراً للمدنية كما مرّ.

ولعمري لا الإسلام يثبت الشفاعة بالمعنى الذي ينسب إلى المسيحية من أن المسيح فدى الناس في معاصيهم بصلبه فأتباعه يتّكلون عليه في تخليصهم من يد القضاء يوم القيامة، ولا الشفاعة التي يثبتها تؤثّر الأثر الذي زعموه لها.

نعم أثبت القرآن من الشفاعة هذا المعنى وهو أن المؤمنين لا يخلدون في النار يوم القيامة بشرط أن يلاقوا ربّهم بالإيمان المرضيّ والدين الحقّ، فهو وعد وعده القرآن مشروطاً، ثم نطق بأن الإيمان من حيث بقائه على خطر عظيم من جهة الذنوب ولاسيما الكبائر، وهذا لازمه أن الإنسان على شفا جرف الهلاك الدائم، وبذلك يتحصّل رجاء النجاة وخوف الهلاك، ويسلك المؤمن بين الخوف والرجاء فيعبد ربّه رغبة ورهبة ويسير في حياته سيراً معتدلاً غير منحرف لا إلى خمود القنوط ولا إلى كسل الوثوق.

في ضوء هذه الحقيقة فإن القرآن عَرّف من تشملهم الشفاعة نحو تعريف لا يخلو من الإبهام والإجمال من خلال بيان الشروط والضوابط التي تنطبق عليهم لئلاّ يؤدّي ذلك إلى الأمن من الجزاء والعقوبة التي يستحقّها المذنب. من هنا قلنا في ما مرّ أن وعد الشفاعة أو تبليغها إنما

يستلزم تجرّي الناس على المعصية وإغراءهم على التمرّد والمخالفة إذا تحقّق شرطان:

• تعيين المجرم بنفسه أو نعته أو تعيين الذنب الذي تقع فيه الشفاعة تعييناً لا يقع فيه لبس بنحو الإنجاز من دون تعليق بشرط جائز.

• تأثير الشفاعة في جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تقلعه من أصله قلعاً.

هنا قد يقال: إذا كانت الشفاعة لا تتحقّق إلا بهذه الشرائط فكيف ينسجم ذلك مع قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١) فإن هذه الآية وإن لم تعيّن شخصاً ما أو جماعة إلا أنها بيّنت أن الإنسان باجتنابه الكبائر تغفر له الصغائر، فما عليه إلا أن يشخّص الكبائر بمعونة الآيات والروايات فيجتنبها، وبعد ذلك له أن يرتكب الصغائر كيفما يشاء اعتماداً على الوعد الإلهي بمغفرتها، وما هذا إلا نقض للغرض الإلهي فيما يرتبط بالصغائر خاصّة.

من هنا ذهب كثير من الأعلام إلى القول «إن الله تعالى لم يميّز جملة الكبائر عن جملة الصغائر، لأنه تعالى لمّا بيّن في هذه الآية أن الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر، فإذا عرف العبد أن الكبائر ليست إلا هذه الأصناف المخصوصة عرف أنه متى أحرز عنها صارت صغائر مكفّرة، فكان ذلك إغراءً له بالإقدام على تلك الصغائر، والإغراء بالقبيح لا يليق بالجملة. أما إذا لم يميّز الله تعالى كلّ الكبائر عن كلّ الصغائر ولم يعرف في شيء من الذنوب أنه صغيرة ولا ذنب يقدم عليه إلا ويجوز كونه كبيرة، فيكون ذلك زاجراً له عن الإقدام عليه.

والحاصل: إن هذه القاعدة تقتضي أن لا يبيّن الله تعالى في شيء من الذنوب أنه صغيرة، وأن لا يبيّن أن الكبائر ليست إلا كذا وكذا، فإنه لو بيّن لكان ما عداها صغيرة، فحينئذ تصير الصغيرة معلومة، ولكن يجوز أن يبيّن في بعض الذنوب أنه كبيرة»[١].

والحقّ أن تمييز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لا يبعث على التجرّي ولا نقض الغرض، لأنها تدعو إلى ترك الكبائر بلا شك، وارتكاب الصغيرة من جهة أنها صغيرة والتهاون في أمرها والإصرار عليها يعدّ مصداقاً من مصاديق الطغيان والاستهانة بأمر الله سبحانه وهو من أكبر الكبائر. قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**إن رسول الله صلّى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء (أي لا نبات فيها) فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه، فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب ثم قال: إياكم والمحقّرات من الذنوب، فإن لكلّ شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين**».

وعن عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار**».

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (آل عمران: ١٣٥) قال: «**الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة فذلك الإصرار**»[٢].

---

(١) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ١٠ ص ٦٢.

(٢) يمكن مراجعة هذه النصوص في: **الأصول من الكافي**: ج ٢ ص ٢٨٨ كتاب الإيمان والكفر، باب الإصرار على الذنب.

نعم هذه الآية تعد تكفير السيّئات من جهة أنّها سيّئات لا يخلو الإنسان (المخلوق على الضعف المبنيّ على الجهالة) من ارتكابها بغلبة الجهل والهوى عليه. فمساق هذه الآية مساق قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ (الزمر: ٥٣ ـ ٥٤) فكما لا يصحّ أن يقال في هذه الآية التي تعِد غفران الذنوب جميعاً أنها تغري إلى المعصية بفتح باب التوبة، فكذا لا يمكن أن يقال في الآية محلّ الكلام، بل أمثال هذه الخطابات الإلهية إحياء للقلوب الآيسة بالرجاء.

وبهذا يتّضح أن الآية ليست بصدد المنع عن معرفة الكبائر وتمييزها عن جملة الصغائر؛ حتى يلزم من ذلك «اتقاء جميع المعاصي مخافة الوقوع في الكبائر والابتلاء بارتكابها، فإن ذلك معنىً بعيد عن مساق الآية، بل المستفاد منها أن المخاطبين هم يعرفون الكبائر ويميّزون الموبقات من النهي المتعلّق بها، ولا أقلّ من أن يقال: إن الآية تدعو إلى معرفة الكبائر حتى يهتمّ المكلّفون في الاتقاء منها كلّ الاهتمام من غير تهاون في جنب غيرها؛ فإن ذلك التهاون كما عرفت إحدى الكبائر الموبقة، وذلك أن الإنسان إذا عرف الكبائر وميّزها وشخّصها عرف أنها حرمات لا يغمض من هتكها بالتكفير إلا عن ندامة قاطعة وتوبة نصوح، ونفس هذا العلم مما يوجب تنبّه الإنسان وانصرافه عن ارتكابها»[1].

المرضيّ عند الله تعالى

الشرط الأساسي الذي بيّنه القرآن الكريم لمستحقّ الشفاعة هو ما ورد

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٢٥.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء: ٢٨) فلا تنال شفاعة الشافعين أحداً إلا من ارتضاه الله سبحانه، فمن هو المرضيّ عند الله حقاً؟

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾ (النور:٥٥) حيث بيّن أن هناك ديناً ارتضاه الله لعباده، ثم بيّن أن ذلك الدين هو الإسلام؛ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) فإذا اعتقد الإنسان بهذا الدين المرضيّ عند الله تعالى يكون مرضيّاً عنده أيضاً. ولست الآن بصدد الدخول في بحث ما إذا كان الإسلام المرضيّ عند الله يتقوّم بالإمامة والولاية التي قالت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما هو صريح الآية المباركة حيث جعلت الدين المرضيّ بعد إكمال الدين وإتمام النعمة، لأنه بحث كلاميّ موكول إلى غير هذه الدراسة.

الرضا بين الاعتقاد والعمل

قلنا إن أمر الشفاعة يدور مدار الرضا الإلهي، وإن هذا الرضا يدور مدار الاعتقاد بالإسلام لأنه الدين المرضيّ عند الله، في ضوء ذلك أفيشترط في المرضيّ عنه أن يكون كذلك اعتقاداً وسلوكاً أم يكفي فيه أن يكون مرضيّاً عنه اعتقاداً وديناً وإن كان من حيث السلوك والعمل قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً؟

قبل الإجابة على هذا التساؤل لابدّ أن نذكّر أن الشفاعة المتحدّث عنها هنا هي الشفاعة المصطلحة أي الرافعة للعقاب لا الدافعة له ولا هي لزيادة الثواب، وأنها لا تنفع من استهان بأمر الله سبحانه واستهزأ بالتوبة والندامة، ومن الواضح أن اقتراف المعصية بالاعتماد على الشفاعة تساهل

وتهاون في أمر الله سبحانه، وهو من الكبائر الموبقة القاطعة لسبيل الشفاعة قطعاً.

حينئذ نقول: لا يمكن أن يكون المراد من المرضيّ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ هو المرضيّ اعتقاداً وعملاً وإلا لكان الإنسان ـ على حدّ تعبير الروايات ـ من المحسنين، فلا يكون محتاجاً إلى الشفاعة المصطلحة؛ لأنه من السالبة بانتفاء الموضوع.

نعم إذا كان مرضيّاً عند الله اعتقاداً وديناً، وخلط في سلوكه ـ على حدّ تعبير القرآن ـ عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، فهو الذي يكون مورداً للشفاعة؛ قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٢) أي من الأعراب جماعة آخرون مذنبون لا منافقون مثل غيرهم، بل اعترفوا بذنوبهم، لهم عمل صالح وعمل آخر سيّئ، خلطوا هذا بذاك، من المرجوّ أن يتوب الله عليهم، إن الله غفور رحيم.

وفي قوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ إيجاد الرجاء في نفوسهم لتكون واقعة بين الخوف والرجاء من غير أن يحيط بها اليأس والقنوط، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ ترجيح جانب الرجاء.

ومن الواضح أن هذا العمل السيّئ الباقي إلى يوم القيامة لا محالة هو من الكبائر، إذ لو كان الذنب من الصغائر فقط لكان مكفّراً عنه؛ لما تقدّم في قوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١) .

وهذا ما أكّدته الروايات الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

• عن الحسين بن خالد عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي.**

ثم قال صلى الله عليه وآله: **إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل.**

قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ ؟ قال: **لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه**»[1].

• وعن محمد بن أبي عمير قال: «سمعت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام يقول: **لا يُخلّد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال وأهل الشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يُسأل عن الصغائر، قال الله تبارك وتعالى:** ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

فقلت له: يابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المؤمنين؟ فقال: **حدّثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي فأمّا المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.**

فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ ومن يرتكب الكبائر

---

(١) **عيون أخبار الرضا عليه السلام**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤م: ج ١ ص ١٢٤، الباب: ١١ الحديث: ٣٥.

لا يكون مرتضى به؟

فقال: **يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة. وقال: من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً، والله تعالى ذكره يقول:** ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨).

فقلت له: يابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟

فقال: **يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرّاً، والمصرّ لا يغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.**

وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ **فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين: الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيّئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بمعاقبته في القيامة»**[1].

قوله عليه السلام: **(وكان ظالماً)** فيه تعريف الظالم يوم القيامة، وكأنه إشارة إلى ما عرّفه به القرآن حيث يقول: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

---

(١) **البرهان في تفسير القرآن**، تأليف: العلامة المحدّث السيد هاشم البحراني، حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ: ج ٥ ص ٢١٨، الحديث: ٥.

ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٤ ـ ٤٥).

وقد فسّر الظالمين الذين ضربت عليهم باللعنة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ فهم الكافرون المنكرون للآخرة الذين يصدّون عن سبيل الله ويصرفون غيرهم عن سلوك الصراط المستقيم، فهؤلاء هم المعاندون للحقّ المنكرون للمعاد، ومثلهم لا يسوءه اقتحام محارم الدين إما بجحد جميع المعارف الحقّة والتعاليم الدينية وإما بالاستهانة لأمرها وعدم الاعتناء بالجزاء والدين يوم الجزاء والدين، فيكون قوله بهاستهزاءً بأمره وتكذيباً له.

وقوله عليه السلام: **(ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشفاعة)** ليس المراد التوبة المصطلحة لأنها بنفسها شفيعة منجية كما سيأتي، وإنما المقصود الرجوع إلى الله تعالى وإلى الدين فيكون مرضيّاً مستحقّاً للشفاعة.

وقوله عليه السلام: **(وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار)** تمسّكه عليه السلام به من جهة أن الإصرار وهو عدم الانقباض بالذنب والندم عليه يخرج الذنب عن شأنه الذي له إلى شأن آخر وهو تكذيب المعاد والظلم بآيات الله فلا يغفر، لأن الذنب إنما يغفر إما بتوبة أو بشفاعة متوقّفة على دين مرضيّ ولا توبة هناك ولا دين مرضيّاً.

• وأخرج عبد بن حميد عن الحسن رضي الله عنه في قوله: ﴿**وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ**﴾ قال: **قول لا إله إلا الله.** (١)

• وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس

---

(١) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، مصدر سابق: ج ٥ ص ٦٢٤.

رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ قال: **الذين ارتضاهم لشهادة أن لا إله إلا الله**.[١]

• وعن أبي ذر قال: «صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلم ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فلما أصبح قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال: **إني سألت ربّي عزّ وجلّ الشفاعة لأمّتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً**».[١]

إشكال وجواب

قد يقال: إن قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة: ٩٦) لو أخذ بعمومه وإطلاقه لكان من خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، مشمولاً في الآية لأنه فاسق، وكلّ فاسق فهو غير مرضيّ عنه بمقتضى ظاهر الآية، وإذا كان غير مرضيّ عنه فلا تشمله الشفاعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾.

إلا أن التحقيق في آية سورة التوبة يتطّلب تحديد المراد من الفاسقين فيها، فهل هم عموم من صدر منه الفسق أم خصوص المنافقين؟ فإذا كان المراد من (الفاسقين) في الآية مطلق من صدرت منه المعصية فيقع التنافي بينها وبين قوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ . وأما إذا كان المراد من «الفاسقين» فيها خصوص المنافقين فلا تنافي ولا تعارض بينها وبين الآيات الدالّة على

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ٥ ص ١٤٩، وبهامشه منتخب كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر.

شمول الشفاعة لمن كان صحيح الاعتقاد وإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً، لأن المنافق لا تشمله الشفاعة؛ لعدم كونه مسلماً حقيقة وواقعاً، وإن كان يحكم بإسلامه ظاهراً، فلم يحرز فيه أنه مرضيّ الدين عند الله تعالى.

والرجوع إلى الآيات السابقة واللاحقة على هذه الآية يثبت أنها في حقّ المنافقين خاصّة؛ قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ * ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٠ ـ ٩٧).

قال الرازي في ذيل هذه الآيات: «اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال المنافقين الذين كانوا في المدينة ابتدأ في هذه الآية ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ بشرح أحوال المنافقين من الأعراب»[١].

وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ لأنهم ولنفاقهم لم يخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وآله إلى الحرب والجهاد.

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ١٦ ص ١٢٦.

﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ﴾: علّة للمنع من الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصير عذره مقبولاً، فإذا علم بأن القوم يكذّبونه لأنهم منافقون وكاذبون وليس لقولهم ولا لاعتذارهم واقع، وجب عليه تركه.

﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ﴾: علّة لانتفاء التصديق، لأنه تعالى لما أطلع رسوله على ما في ضمائرهم من الخبث والمكر والنفاق امتنع أن يصدّقهم الرسول عليه الصلاة والسلام في تلك الأعذار.

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال. ووضع الوصف موضع الضمير لتشديد الوعيد، فإنّ علمه سبحانه بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم.

وقيل في تقديم الغيب على الشهادة: «لتحقيق أن نسبة علمه تعالى المحيط إلى سائر الأشياء السرّ والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده، كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته منزّه عن أن يكون بطريق حصول الصورة، بل وجود كلّ شيء وتحقّقه في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى، وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة»[1].

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ عند ردّكم إليه ووقوفكم بين يديه.

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي بما تعملون على الاستمرار في الدنيا من الأعمال السيّئة السابقة واللاحقة.

﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ﴾ تأكيداً لمعاذيرهم الكاذبة وترويجاً لها.

﴿إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ﴾ من سفركم ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾، والانقلاب هو الرجوع والانصراف

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ٧ ص ٤.

مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء.

﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ﴾ فلا تعاتبوهم وتصفحوا عما فرط منهم صفح رضا كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾.

﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ لكن لا إعراض رضا كما طلبوا بل إعراض اجتناب ومقت كما ينبئ عنه التعليل بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ لا أن أعمالهم رجس فقط فإنه صريح في أن المراد بالإعراض إما الاجتناب عنهم لما يفهم من القذارة الروحانية وإما ترك استصلاحهم بترك المعاملة المقصود منها التطهير بالحمل على التوبة، وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ فكيف يكون مثل هؤلاء من المرضيّ عنهم عند الله تعالى.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال الطبري: «يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون اعتذاراً بالباطل والكذب، فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم إذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله، لأن الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون، ومن خفيّ اعتقادهم ما تجهلون، وأنهم على الكفر مقيمون، وأنهم هم الفاسقون يعنى أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية»[(١)].

والمراد من الآية نهي المخاطبين عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده، فإن الرضا عمّن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن.

---

(١) تفسير الطبري المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨ هـ: ج ٦ ص ٤٥٠.

قال الحافظ ابن أبي حاتم في تفسيره في ذيل قوله تعالى: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ ...﴾ الآية: «لما خرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خلّف عليّاً بعده ولم يخرج به معه، فخاض الناس فقالوا: إنما خلّفه لسخطه. فأدركه عليٌّ في الطريق فأخبره بما قال المنافقون، فقال النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم لعليّ رضي الله عنه: **إن موسى لما ذهب إلى ربّه استخلف هارون وإني أستخلفك بعدي. أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبيّ بعدي**. قال: بلى يا رسول الله. فلما رجع استقبله عليٌّ فأردفه النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم خلفه وقال: **لعن الله المنافقين والمخالفين**، فدخل النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم المدينة وعليٌّ قائم خلفه يلعن المنافقين، وقال النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم للمؤمنين: **لا تكلّموهم ولا تجالسوهم فأعرضوا عنهم كما أمركم الله عزّ وجلّ**»(١).

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ ﴾ قال: هي وما بعدها إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في المنافقين(٢).

وقال الآلوسي في روح المعاني: «والآية نزلت على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما من المنافقين وكانوا ثمانين رجلاً أمر النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة أن لا يجالسوهم ولا يكلّموهم فامتثلوا»(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين: ج ٦ ص ١٨٦٥، الحديث: ١٠٢٠٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٢٥.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق: ج ٧ ص ٦.

وعن مقاتل أنها نزلت في عبد الله بن أبيّ (رأس المنافقين) حلف للنبي صلى الله عليه وآله أن لا يتخلّف عنه أبداً وطلب إلى النبيّ بأن يرضى عنه وأصحابه فلم يفعل.(١)

شواهد قرآنية

هناك جملة من القواعد التي أشار إليها القرآن الكريم لإثبات أن الشفاعة تشمل من كان مرضيَّ الدين والاعتقاد وإن كان قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً.

الشاهد الأول: قسّم القرآن الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف؛ قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ٧ ـ ١١) وهؤلاء هم الذين أشارت إليهم الآية في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: ٣٢) ثم بيّن القرآن مآل كلّ صنف من هذه الأصناف:

• أما السابقون المقرّبون فقد قال تعالى في وصفهم: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩) وذكر من مقاماتهم في الآخرة أنهم فوق الأبرار، والأبرار هم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطفّفين: ٢٢ ـ ٢٨) حيث أشارت الآية الأخيرة أن المقرّبين

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، دراسة وتحقيق: د. عبد الله محمود شحاته، دارإحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٣: ج ٢ ص ١٩١.

يشربون التسنيم صرفاً، كما أن مفاد قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ أنه يمزج بها ما في كأس الأبرار من الرحيق المختوم. ويدلّ ذلك على:

أولاً: أن التسنيم أفضل من الرحيق المختوم الذي يزيده لذّة بمزجها.

ثانياً: إن المقرّبين أعلى درجة من الأبرار الذين تصفهم الآيات.

قال الرازي: «وأقول هذا يدلّ على أن الأنهار متفاوتة في الفضيلة، فتسنيم أفضل أنهار الجنّة، والمقرّبون أفضل أهل الجنة، والتسنيم في الجنّة الروحانية هو معرفة الله ولذّة النظر إلى وجه الله الكريم، والرحيق هو الابتهاج بمطالعة عالم الموجودات، فالمقرّبون لا يشربون إلا من التسنيم أي لا يشتغلون إلا بمطالعة وجهه الكريم، وأصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجاً، فتارة يكون نظرهم إليه وتارة إلى مخلوقاته»[1].

وقد ذكرت الروايات الواردة عن الفريقين بعض مصاديق المقرّبين:

• أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب سبق إلى رسول الله»[2].

• وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال: «نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجّار ذكر في يس، وعليّ بن أبي‌طالب، وكلّ رجل منهم سابق في أمّته، وعليٌّ أفضلهم سبقاً»[3].

• وأما أصحاب المشأمة فهم من الهالكين؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحۡمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ *

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ٣١ ص ٩١.

(٢) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله... ج ١٠ ص٣٣٢٩، ح ١٨٧٧٣.

(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٨ ص ٧.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (الواقعة: ٤١ ـ ٥٦).

قال الرازي في ذيل هذه الآيات: «وفيها لطيفة وهي أنه أشار في الآيات الثلاث وهي قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴾ إلى الأصول الثلاثة، فقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ من حيث الاستعمال يدلّ على ذمّهم بإنكار الرسل؛ إذ المترف متكبّر بسبب الغنى فينكر الرسالة، والمترفون كانوا يقولون: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ (القمر: ٢٤). وقوله: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ إشارة إلى الشرك ومخالفة التوحيد، وفيه مبالغات من وجوه:

أحدها: قوله ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ وهو آكد من قول القائل: إنهم قبل ذلك أصرّوا لأن اجتماع لفظيْ الماضي والمستقبل يدلّ على الاستمرار؛ فقولنا: (فلان كان يحسن إلى الناس) يفيد كون ذلك عادة له.

ثانيها: لفظ الإصرار؛ فإن الإصرار مداومة المعصية والغلول، ولا يقال في الخير (أصرّ).

ثالثها: الحنث؛ فإنه فوق الذنب، فإن الحنث لا يكاد في اللغة يقع على الصغيرة، والذنب يقع عليها.

وقوله: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ إشارة إلى إنكار الحشر والنشر»[1].

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ٢٩ ص ١٤٩.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ من تمام كلام النبيّ صلى الله عليه وآله يخبرهم عما ينتهي إليه حالهم يوم القيامة. وفي خطابهم بالضالين المكذّبين إشارة إلى ملاك شقائهم وخسرانهم يوم البعث، وهو ضلالهم عن طريق الحقّ واستقرار ذلك في نفوسهم باستمرارهم على تكذيبهم وإصرارهم على الحنث. ولو كانوا ضالّين فحسب من غير تكذيب لكان من المرجوّ أن ينجوا ولا يهلكوا.

ومن الواضح أن من كان هذا حاله، فلا تنفعه شفاعة الشافعين.

• وأما أصحاب الميمنة فقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۞ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۞ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۞ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٢٧ ـ ٣٨).

إلا أن هؤلاء ليسوا على مستوى المقرّبين السابقين من حيث ارتضاء الاعتقاد والسلوك وإلا لما كانوا قسماً في قبالهم، فلابدّ أن يكونوا من أصحاب الاعتقاد الحقّ، لكن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ثم نجوا بفضل الله ورحمته يوم القيامة.

ويمكن أن نقف في القرآن على شواهد تثبت أن أصحاب اليمين هم الفائزون بالشفاعة وهم المرضيّون ديناً واعتقاداً وإن لم تكن أعمالهم جميعاً مرضيّاً عنها؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۞ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ (المدثر: ٣٨ ـ ٤٨).

قال الزمخشري: «رهينة ليست بتأنيث رهين في قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ

رَهِينٌ﴾ لتأنيث النفس، لأنها لو قصدت لقيل: رهين؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكّر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كلّ نفس بما كسبت رهن»[1].

وكأن العناية في عد كلّ نفس رهينة أن لله عليها حقّ العبودية بالإيمان والعمل الصالح فهي رهينة محفوظة محبوسة عند الله حتى توفي دينه وتؤدّي حقّه تعالى، فإن آمنت وصلحت فُكّت وأطلقت، وإن كفرت وأجرمت وماتت على ذلك كانت رهينة محبوسة دائماً، وهذا غير كونها رهين عملها ملازمة لما اكتسبت من خير وشرّ، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١).

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ وهم الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم القيامة، وقد عرفت أنهم أصحاب العقائد الحقّة والأعمال الصالحة من متوسّطي المؤمنين. ووجه تسميتهم بأصحاب اليمين في مقابل أصحاب الشمال ـ وربما سموا أصحاب الميمنة في مقابل أصحاب المشأمة، وهو من الألفاظ التي اصطلح عليه القرآن ـ مأخوذ من إيتاء الإنسان يوم القيامة كتابه بيمينه أو شماله؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٧١ـ ٧٢).

والحاصل: إن الله سبحانه بيّن في هذه الآيات «أن كلّ نفس مرهونة يوم القيامة بما كسبت من الذنوب، مأخوذة بما أسلفت من الخطايا إلا أصحاب اليمين فقد فكّوا من الرهن وأطلقوا واستقرّوا في الجنان، ثم ذكر أنهم غير محجوبين عن المجرمين الذين هم مرهونون بأعمالهم، مأخوذ عليهم في

---

(١) **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٦٥٤.

سقر، يتساءلون عن سلوكهم في النار، وهم يجيبون بالإشارة إلى عدّة صفات ساقتهم إلى النار، وفرّع على هذه الصفات بأنه لم ينفعهم لذلك شفاعة الشافعين.

ومقتضى هذا البيان كون أصحاب اليمين غير متّصفين بهذه الصفات التي يدلّ الكلام على كونها هي المانعة عن شمول الشفاعة، وإذ كانوا غير متّصفين بهذه الصفات المانعة عن شمول الشفاعة وقد فكّ الله تعالى نفوسهم عن رهانة الذنوب والآثام دون المجرمين المحرومين من الشفاعة المسلوكين في سقر، فهذا الفكّ والإخراج إنما هو بالشفاعة، فأصحاب اليمين هم المشفّعون بالشفاعة، وفي الآيات تعريف أصحاب اليمين بانتفاء الأوصاف المذكورة عنهم.

بيان ذلك: إن الآيات واقعة في سورة المدثّر وهي من السور النازلة بمكّة في بدء البعثة كما ترشد إليه مضامين الآيات الواقعة فيها ولم يشرع يومئذ الصلاة والزكاة بالكيفية الموجودة اليوم.

فالمراد في قوله ﴿لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ التوجّه إلى الله بالخضوع العبودي، فلا يضرّه اختلاف الصلاة كمّاً وكيفاً باختلاف الشرائع السماوية الحقّة.

والمراد بقوله: ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾ الإنفاق على فقراء المجتمع بما يقوم به صلبهم ويرتفع به حاجتهم، دون الصلاة والزكاة المعهودتين في الشريعة الإسلامية.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾ الخوض هو الغور في ملاهي الحياة وزخارف الدنيا الصارفة للإنسان عن الإقبال على الآخرة وذكر يوم الحساب، أو التعمّق في الطعن في آيات الله المذكّرة ليوم الحساب المبشّرة المنذرة.

وبالتلبّس بهذه الصفات الأربع وهي ترك الصلاة لله وترك الإنفاق في سبيل الله والخوض وتكذيب يوم الدين ينهدم أركان الدين، وبالتلبّس بها تقوم قاعدته على ساق، فإن الدين هو الاقتداء بالهداة الطاهرين بالإعراض عن الإخلاد إلى الأرض والإقبال إلى يوم لقاء الله، وهذان هما ترك الخوض وتصديق يوم الدين. ولازم هذين عملاً التوجّه إلى الله بالعبودية، والسعي في رفع حوائج المجتمع، وهذان هما الصلاة والإنفاق في سبيل الله.

فالدين يتقوّم بحسب جهتي العلم والعمل بهذه الخصال الأربع، وتستلزم بقية الأركان كالتوحيد والنبوة استلزاماً هذا»[1].

فائدة: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله عزّ وجلّ قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، وذلك قوله عزّ وجلّ في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، وأنا خير أصحاب اليمين، ثمّ قسّم القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثُلثاً؛ لقوله عزّ وجلّ:** ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ * وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ **وأنا خير السابقين.**

ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات: ١٣) **فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله جلّ ثناؤه ولا فخر.**

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٣٣). **أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب**»[2].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٦٩، ج ٢٠ ص ٩٧.

(٢) روح المعاني، مصدر سابق: ج ٢٢ ص ١٣؛ البرهان في تفسير القرآن: ج ٧ ص ٤١٠.

الشاهد الثاني: قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ (طه: ١٠٩) بتقريب: أن الآية أشارت إلى أن الشفاعة تنفع من كان قوله مرضيّاً عند الله تعالى من دون اشتراط العمل معه. غير أن القول هنا ليس هو الألفاظ المجرّدة وإلا لكان المنافق مرضيّاً عند الله تعالى أيضاً، بل لابدّ من حكاية القول عن الإيمان والاعتقاد الثابت، وهذا ما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم: ٢٤ـ ٢٧).

المستفاد من هذه الآيات أن المراد بالكلمة الطيبة التي شُبّهت بشجرة طيّبة من صفتها كذا وكذا، هو الاعتقاد الحقّ الثابت، فإنه تعالى ذكر بعد هذا وهو كالنتيجة المأخوذة من التمثيل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ والقول هي الكلمة، ولا كلّ كلمة بما هو لفظ بل بما هي معتمدة على اعتقاد وعزم يستقيم عليه الإنسان ولا يزيغ عنه عملاً.

وقد تعرّض تعالى لما يقرب من هذا المعنى في مواضع من كلامه كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الاحقاف: ١٣).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ (حم السجدة: ٣٠).

ومن الواضح أن المراد من القول في الآيتين هو الإقرار والشهادة بانحصار الربوبيّة في الله سبحانه وتوحّده فيها.

وكذلك قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠) حيث إن المراد بالكلم الطيب ليس مجرّد اللفظ بل بما أن له معنىً طيّباً، فالمراد به الاعتقادات الحقّة التي يسعد الإنسان بالإذعان لها وبناء عمله عليها، والمتيقّن منها كلمة التوحيد التي ترجع إليها سائر الاعتقادات الحقّة.

«وهذا القول والكلمة الطيّبة هو الذي يرتّب تعالى عليه تثبيته في الدنيا والآخرة أهله، وهم الذين آمنوا ثم يقابله بإضلال الظالمين ويقابله بوجه آخر بشأن المشركين، وبهذا يظهر أن المراد بالممثّل هو كلمة التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله حقّ شهادته.

فالقول بالوحدانية والاستقامة عليه هو حقّ القول الذي له أصل ثابت محفوظ عن كلّ تغيّر وزوال وبطلان. وهو الله عزّ اسمه أو أرض الحقائق، وله فروع نشأت ونمت من غير عائق يعوقه عن ذلك من عقائد حقّة فرعية وأخلاق زاكية وأعمال صالحة يحيا بها المؤمن حياته الطيبة ويعمر بها العالم الإنساني حقّ عمارته، وهي التي تلائم سير النظام الكوني الذي أدّى إلى ظهور الإنسان بوجوده المفطور على الاعتقاد الحقّ والعمل الصالح.

ويجري ما يقابله في الكلمة الخبيثة وما مثّلت به حرفاً بحرف، فإنما هي كلمة الشرك مثّلت بشجرة خبيثة مفروضة اقتلعت من فوق الأرض ليس لها أصل ثابت وما لها من قرار، وإذ كانت خبيثة فلا أثر لها إلا الضرّ والشر»[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٥١.

والخلاصة: أن المراد من القول هو الكلم الطيّب، والكلم الطيّب هو الاعتقاد الحقّ، فلا يكفي أن يكون لفظ الإنسان مرضيّاً عند الله تعالى بل لابد أن يكون هذا اللفظ والقول حاكياً عن اعتقاد ثابت راسخ في النفس، لكي يثبت الارتضاء لصاحبه عنه وتشمله الشفاعة وإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً.

قال الرازي: «المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضيّ عند الله تعالى فوجب أن لا يشفع الرسول في حقّه لأن هذه الآية دلّت على أن المشفوع له لابدّ وأن يكون مرضيّاً عند الله. واعلم أن هذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حقّ الفسّاق، لأن قوله: ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ يكفي في صدقه أن يكون الله قد رضي له قولاً واحداً من أقواله، والفاسق قد ارتضى الله تعالى قولاً واحداً من أقواله وهو شهادة أن لا إله إلا الله، فوجب أن تكون الشفاعة نافعة له، لأن الاستثناء من النفي إثبات»[1].

الشاهد الثالث: قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا * وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا * لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ (مريم: ٨٥ ـ ٨٧). دلالة الآية على المقام مبنيّ على كون المراد ممن يملك الشفاعة في الآية هو الذي ينال الشفاعة، وعلى هذا نقول: الناس إزاء الشفاعة على طوائف ثلاث:

• طائفة المتّقين ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ ولا تحتاج هذه الطائفة إلى الشفاعة لأنها مرضيّة عند الله قولاً وفعلاً، اعتقاداً وسلوكاً.

في تفسير القمي بإسناده عن عبد الله بن شريك العامري عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **سأل عليٌّ عليه السلام رسولَ الله صلى الله**

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ٢٢ ص ١٠٣.

عليه وآله عن تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾؟ قال: يا علي إن الوفد لا يكون إلا ركباناً، أولئك رجال اتقوا الله فأحبّهم واختصّهم ورضي أعمالهم فسمّاهم المتّقين.

ثم‌قال: **يا علي أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن»**[(١)].

وفي الدر المنثور عن ابن مردويه عن علي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **«أما والله ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق من الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمّتها الزبرجد، فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة»**[(٢)].

• طائفة المجرمين الذين لا عهد لهم عند الرحمن ﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ يدلّ على أنهم يساقون إلى النار بإهانة واستخفاف كأنهم نعَم عطاش تُساق إلى الماء، والورد اسم للعطاش لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش.

وفي تعليق السوق إلى جهنم بوصف الإجرام إشعار بالعلّية، ونظيره تعليق الحشر إلى الرحمن في الآية السابقة بوصف التقوى. وهؤلاء يدخلون جهنم ولا شافع لهم.

• طائفة المجرمين الذين لهم عهد عند الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ فهؤلاء يملكون الشفاعة التي استثني منها أصحاب

---

(١) تفسير القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم، صحّحه وعلّق عليه العلامة السيد طيب الموسوي الجزائري. منشورات مكتبة الهدى، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ: ج ٢ ص ٥٣.

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥٣٩.

الطائفة الثانية، ولازم ذلك أن ليس كلّ مجرم محتوم له النار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (طه: ٧٤ ـ ٧٦) حيث بيّنت حكم طائفتين من الناس، طائفة المجرمين الكافرين وطائفة المؤمنين الذين عملوا الصالحات، وبقيت طائفة ثالثة لم تذكر ولم يذكر حكمها وهي الطائفة المجرمة التي آمنت لكنها خلطت عملاً صالحاً وآخر سيّئاً والتي اتّخذت عند الله عهداً.

قال الطباطبائي: «فمن لم يكن مؤمناً قد عمل صالحاً فهو مجرم، سواء كان لم يؤمن أو كان قد آمن ولم يعمل صالحاً، فمن المجرمين من كان على دين الحقّ لكنه لم يعمل صالحاً وهو الذي قد اتّخذ عند الله عهداً؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (يس: ٦٠ ـ ٦١) فقوله: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ عهد بمعنى الأمر، وقوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ عهد بمعنى الالتزام؛ لاشتمال الصراط على الهداية إلى السعادة والنجاة. فهؤلاء قوم من أهل الإيمان يدخلون النار لسوء أعمالهم ثم ينجون منها بالشفاعة، وإلى هذا المعنى يلوح قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)»[١].

وقال الرازي: «قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ والتقدير أن هؤلاء لا يستحقّون أن يشفع لهم غيرهم إلا إذا كانوا قد اتّخذوا عند الرحمن عهداً التوحيد والنبوة، فوجب أن يكون داخلاً تحته. ومما يؤكد قولنا

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٧١.

ما روي عن ابن مسعود أنه عليه السلام قال لأصحابه ذات يوم: **أيعجز أحدكم أن يتخذ كلّ صباح ومساء عند الله عهداً؟** قالوا: وكيف ذلك؟ قال: **يقول كلّ صباح ومساء: "اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشرّ وتبعّدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عهداً توفّينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد". فإذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين لهم عند الرحمن عهداً؟ فيدخلون الجنة.** فظهر بهذا الحديث أن المراد من العهد كلمة الشهادة، وظهر وجه دلالة الآية على أن الشفاعة لأهل الكبائر»[1].

ولا يخفى أن هناك روايات أخرى وردت من طرق الفريقين تبيّن أن المراد من العهد شيء آخر، عن ابن عباس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من أدخل على مؤمن سروراً فقد سرّني، ومن سرّني فقد اتّخذ عند الرحمن عهداً، ومن اتّخذ عند الرحمن عهداً فلا تمسه النار إن الله لا يخلف الميعاد**».

وعن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئاً، جاء وله عند الله عهد أن لا يعذّبه، ومن جاء قد انتقص منها شيئاً فليس له عند الله عهد، إن شاء رحمه وإن شاء عذّبه**»[2].

إلا أن هذه الروايات من قبيل بيان المصداق كما هو واضح.

فتحصّل إلى هنا أن هذه الشواهد جميعاً تدلّ على أن مورد الشفاعة

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ٢١ ص ٢١٦.

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥٤٢.

ـ أعني المشفوع لهم يوم القيامة ـ هم الذين يدينون بدين الحقّ من أصحاب الكبائر، وهم الذين ارتضى الله دينهم.

شفعاء الشفاعة التشريعية في الآخرة

١. الأنبياء

للأنبياء جميعاً شفاعة في الدنيا على ما سبق ذكره، ولهم شفاعة في الآخرة أيضاً، وهذا ما صرّحت به الروايات الواردة عن الفريقين.

• عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ثلاثة يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفّعون: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**»[(١)].

• عن محمد بن إبراهيم بن كثير قال: «دخلنا على أبي نواس الحسن بن هاني نعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له عيسى بن موسى الهاشمي: يا أبا علي أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من الآخرة وبينك وبين الله هنات (أي خصلات شر) فتب إلى الله عزّ وجلّ؛ قال أبو نواس: سنّدوني. فلما استوى جالساً قال: إيايّ تخوّفني بالله؟ وقد حدّثني حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لكلّ نبي شفاعة وأنا خبّأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي يوم القيامة**، أفترى لا أكون منهم»[(٢)].

• وقال صلى الله عليه وآله: «**فإذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه وأخرج من النار من يريد أن يخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيُعرفون**

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث: ٢، ج ٨ ص ٣٤.

(٢) **بحار الأنوار**: ج ٨ ص ٤٠، الحديث: ٢١.

بعلاماتهم. إن النار تأكل كلّ شيء من ابن آدم إلا موضع السجود»[١].

• وقال أيضاً: «**فيؤذن للملائكة والنبيّين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويُخرِجون من كان في قلبه ما يزن ذرّة من إيمان**»[٢].

٢. شفاعة النبيّ الأكرم

استعرضت الروايات المتظافرة عن الفريقين كثيراً من التفاصيل المتعلّقة بشفاعة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم القيامة. لكن قبل الدخول في ذلك لابدّ أن نشير إلى القاعدة التي على أساسها يتعاطى الحقّ سبحانه مع عباده سواء على مستوى الطاعة والشكر أو مستوى العصيان والكفر.

فعلى مستوى البعد الإيجابي من هذه العلاقة يشير القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢) إلى القاعدة التي يتعامل على أساسها الحقّ تعالى مع عباده، حيث تكاثرت الأخبار من طرق الفريقين أن الله سبحانه يعامل العبد بمثل ما يعامل العبد ربّه.

روي «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد خرج على أصحابه فقال: **ارتعوا في رياض الجنة**. قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: **مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزّل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليككم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فإنه أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ اذكروني بالطاعة والعبادة،**

---

(١) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٤٣، نقلاً عن: مفاهيم القرآن: ص ٢٩٢، الحديث: ٢١.

(٢) سنن النسائي: ج ٢ ص ١٨١، نقلاً عن: مفاهيم القرآن، مصدر سابق: ص ٢٩٢.

أذكركم بالنِعم والاحسان والراحة والرضوان».[١]

وكيفما كان، فقد أخذ الله على نفسه أن يؤدّي للمحسن جزاء عمله؛ قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠) بل جعل للمحسن مزيداً كما أشارت إلى ذلك آيات عديدة؛ قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠) وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥).

وأما في البعد السلبي فليس من الضروري أن يقابل سبحانه فعل العبد بالمثل، فقد يقابله بالمثل إذا كان مشركاً أو منافقاً، وذلك هو الجزاء الوفاق الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَآءً وِفَاقًا﴾ (النبأ: ٢١ـ ٢٦) أي أن الجزاء يأتي وفق العمل ولا يتجاوزه، لكنه سبحانه في غير ذلك قد يعاقب وقد يعفو ويرفع يده عن الوعيد كما في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٨) وقوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٠٦).

في ضوء هذه الحقيقة أشار القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه امتنّ على رسوله صلى الله عليه وآله بوعد اختصّ به، لم يعد بمثله أحداً من خلقه قطّ، فقال: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ (الضحى: ٥) حيث اشتمل الوعد على عطاء يتبعه رضى.

أما الإعطاء فهو مطلق لم يقيَّد بشيء، «وقد وعد الله ما يشابه ذلك فريقاً من عباده في الجنة فقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى: ٢٢)

---

(١) عدةّ الداعي نقلاً عن: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٤٠.

وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (ق: ٣٥) فأفاد أن لهم هناك ما هو فوق مشيّتهم، والمشيّة تتعلّق بكلّ ما يخطر ببال الإنسان من السعادة والخير، فهناك ما لا يخطر على قلب بشر، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧). فإذا كان هذا قدر ما أعطاه الله لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهو أمر فوق القدر كما عرفت ذلك، فما يعطيه لرسوله صلى الله عليه وآله في مقام الامتنان أوسع من ذلك وأعظم.

وأما رضى رسول الله صلى الله عليه وآله فمن المعلوم أن هذا الرضا ليس هو الرضا بما قسم الله الذي هو زميل لأمر الله، فإن الله هو المالك الغنيّ على الإطلاق وليس للعبد إلا الفقر والحاجة، فينبغي أن يرضى بقليل ما يعطيه ربّه وكثيره، وينبغي أن يرضى بما قضاه الله في حقّه، سرّه ذلك أو ساءه. فإذا كان هذا هكذا فرسول الله صلى الله عليه وآله أعلم وأعمل، لا يريد إلا ما يريده الله في حقّه.

لكن هذا الرضا حيث وضع في مقابل الإعطاء يفيد معنىً آخر نظير إغناء الفقير بما يشكو فقده، وإرضاء الجائع بإشباعه، فهو الإرضاء بالإعطاء من غير تحديد، وهذا أيضاً مما وعد الله ما يشابهه لفريق من عباده؛ قال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ * جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ (البيّنة:٧ ـ ٨). وهذا أيضاً لموقع الامتنان والاختصاص يجب أن يكون أمراً فوق ما للمؤمنين وأوسع من ذلك»[1].

إذن فتحصّل أن الآية المباركة اشتملت على وعد بالعطاء المطلق الذي يتبعه رضى مطلق. فإذا ضممنا إلى هذه الآية قوله تعالى في حقّ رسوله صلى

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٧٧.

الله عليه وآله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) حيث سمّاه تعالى باسمين من أسمائه، يثبت أنه لا يرضى رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تطيب نفسه بنعيم الجنة وفريق من المؤمنين متغلغلون في دركات السعير مسجونون تحت أطباق النار وهم معترفون لله بالربوبيّة ولرسوله بالرسالة ولما جاء به بالصدق، وإنما غلبت عليهم الجهالة ولعب بهم الشيطان، فاقترفوا معاصي من غير عناد واستكبار.

والواحد منّا إذا راجع ما أسلفه من عمره ونظر إلى ما قصّر به في الاستكمال والارتقاء، يلوم نفسه بالتفريط والتقصير في سعيه وطلبه، ثم يلتفت إلى جهالة الشباب ونقص التجارب، فربما خمدت نار غضبه وانكسرت سورة ملامته لرحمة ناقصة أودعها في فطرته، فما ظنّك برحمة ربّ العالمين في موقف ليس فيه إلا جهالة إنسان ضعيف وكرامة النبيّ الرؤوف الرحيم ورحمة أرحم الراحمين، وقد رأى ما رأى من وبال أمره من لدن نشبت عليه أظفار المنية إلى آخر مواقف القيامة.

من هنا جاءت الروايات من الفريقين أن هذا العطاء الإلهي الذي وعد به رسوله صلى الله عليه وآله إنما هو الشفاعة.

● أخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال: «قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدّث بها أهل العراق أحقٌّ هي؟ قال: **إي والله، حدّثني عمي محمد بن الحنفية عن عليّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أشفع لأمّتي حتى يناديني ربّي: أرضيت يا محمّد؟ فأقول: نعم يا ربّ رضيت»**[(١)].

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٨ ص ٥٤٣.

• وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه سُئل عن قوله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ قال: **هي الشفاعة.** [١]

• وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «**رضاء جدّي أن لا يدخل النار موحّد**»[٢].

وقال الرازي في ذيل هذه الآية: «واعلم أن الحمل على الشفاعة متعيّن، ويدلّ عليه وجوه:

أحدها: أنه تعالى أمره في الدنيا بالاستغفار، فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ (محمد: ١٩) فأمره بالاستغفار والاستغفار عبارة عن طلب المغفرة، ومن طلب شيئاً فلاشكّ أنه لا يريد الردّ ولا يرضى به وإنما يرضى بالإجابة، وإذا ثبت أن الذي يرضاه الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم هو الإجابة لا الردّ، ودلّت هذه الآية على أنه تعالى يعطيه كلّ ما يرتضيه، علمنا أن هذه الآية دالّة على الشفاعة في حقّ المذنبين.

والثاني: الأحاديث الكثيرة الواردة في الشفاعة دالّة على أن رضا الرسول عليه الصلاة والسلام في العفو عن المذنبين. يروى أنه عليه السلام لما نزلت هذه الآية قال: **إذن لا أرضى وواحد من أمّتي في النار**. فتحصّل من مجموع الآية والخبر حصول الشفاعة»[٣].

أرجى آية في كتاب الله

لذا عبّر أئمة أهل البيت عليهم السلام عن هذه الآية وهي قوله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ أنها أرجى آية في كتاب الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين: ج ١٠ ص ٣٤٤٣.

(٢و ٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ج ٣١ ص ١٩٢ ، ١٩٣.

• في تفسير الفرات عن محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً عن بشر بن شريح البصري «قال: قلت: لمحمد بن علي الباقر عليه السلام: أيّة آية في كتاب الله أرجى؟ قال: **فما يقول فيها قومك؟** قال: قلت: يقولون: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ قال: **لكنّا أهل بيت لا نقول ذلك**، قال: قلت: فأيّ شيء تقولون فيها؟ قال: **نقول: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة**»[(١)].

• وعن محمد بن علي بن الحنفية قال: «يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾ وإنا أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله عزّ وجلّ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ هي والله الشفاعة ليعطينّها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول ربّي رضيت»[(٢)].

ولعلّ مردّ ذلك إلى أن الرحمة التشريعية التي اشتملت عليها آية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ...﴾ هي رحمة عامّة مطلقة، بينما قيّدت الرحمة في آية ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ...﴾ ـ مع كونها عمّمت المغفرة للذنوب جميعاً من غير استثناء ـ بالتوبة والإسلام والاتباع؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الزمر: ٥٣ـ ٥٥).

ومن الواضح أن رجاء الرحمة المقيّدة التي أمر الله تعالى عباده بالتعلّق

---

(١) **تفسير الفرات**، نقلاً عن: **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ١٧٦.

(٢) **تفسير الصافي**، تأليف: أستاذ عصره ووحيد دهره المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان: ج ٥ ص ٣٤١.

بها ليس كرجاء الرحمة المطلقة الناشئة من الإعطاء والإرضاء المطلقين اللذين وعدهما الله لرسوله الذي جعله رحمة للعالمين.

والحاصل فإن الجمع بين الآيات الدالّة على أنه صلى الله عليه وآله هو مظهر الرحمة والرأفة الإلهية وبين إعطائه حتى يرضى، يبيّن مدى سعة الرحمة التي تشتمل عليها آية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ الأمر الذي جعلها أرجى آية في كتاب الله سبحانه.

موعظة فيها تذكرة

عن أنس بن مالك قال: **جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في ساعة ما كان يأتيه فيها متغيّر اللون.**

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما لي أراك متغيّر اللون؟

فقال: يا محمد جئتك في الساعة التي أمر الله تعالى بمنافخ النار أن ينفخ فيها، ولا ينبغي لمن يعلم أن جهنّم حقّ أن تقرّ عينه حتى يأمنها.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: صِف لي النار يا جبرئيل؟

فقال: نعم يا محمد، إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة فاحمرّت، ثم أوقد عليها ألف سنة فابيضّت، ثم أوقد عليها ألف سنة فاسودّت فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرتها. والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لو أن رجلاً بالمغرب يعذّب لاحترق الذي بالمشرق من شدة عذابها. حرّها شديد وقعرها بعيد، وحليّها حديد، وشرابها الحميم والصديد، وثيابها مقطّعات النيران ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر: ٤٤).

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أهي كأبوابنا هذه؟

فقال: لا، ولكنّها مفتوحة بعضها أسفل من بعض، من باب إلى باب

مسيرة سبعين سنة، كلّ باب منها أشدّ حرّاً من الذي يليه سبعين ضِعفاً، يساق أعداء الله إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل، فتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دُبره، وتغلّ يده اليُسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشدّ بالسلاسل، ويقرن كلّ آدمي مع شيطان في سلسلة ويُسحب على وجهه، فتضربه الملائكة بمقامع من حديد ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ (الحج: ٢٢).

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: من سكّان هذه الأبواب؟

قال: فأما الباب الأسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية، والباب الثاني ففيه المشركون واسمه الجحيم، والباب الثالث ففيه الصابئة واسمه سقر، والباب الرابع ففيه إبليس ومن تبعه من المجوس واسمه لظى، والخامس ففيه اليهود واسمه الحُطمة، والسادس ففيه النصارى واسمه السعير، ثم أمسك جبرئيل عليه السلام.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ألا تخبرني من سُكّان الباب السابع؟

قال: يا محمد لا تسألني عنه؟

فقال: بلى يا جبرئيل أخبرني عن الباب السابع.

فقال: فيه أهل الكبائر من أمّتك الذين ماتوا ولم يتوبوا.

فخرّ النبيّ صلى الله عليه وآله مغشيّاً عليه.

فوضع جبرئيل عليه السلام رأسه في حجره حتى أفاق، فلما أفاق قال: يا جبرئيل عظمت مصيبتي واشتدّ حزني أوَ يدخل من أمّتي النار؟

قال: نعم، أهل الكبائر من أمّتك. إلى أن تقول الرواية:

فإذا نظر إليهم مالك قال للملائكة: ما هؤلاء؟ فما ورد عليّ من الأشقياء أعجب من هؤلاء! لم تسودّ وجوههم ولم توضع السلاسل والأغلال في

أعناقهم!. فيقول الملائكة: هكذا أُمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحال.

فيقول لهم: يا معشر الأشقياء من أنتم؟

فيقولون: نحن ممن أنزل علينا القرآن ونحن ممن نصوم رمضان.

فيقول مالك: ما نزل القرآن إلا على محمد صلى الله عليه وآله.

فإذا سمعوا اسم محمد صاحوا فقالوا: نحن من أمّة محمد.

فيقول لهم مالك: ما كان لكم في القرآن زاجر عن معاصي الله؟

فإذا وقف بهم على شفير جهنم ونظروا إلى النار والزبانية فقالوا: يا مالك ائذن لنا نبكي على أنفسنا فيبكون الدموع حتى لم يبق لهم الدموع فيبكون دماً.

فيقول مالك: ما أحسن هذا لو كان في الدنيا، فلو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله تعالى ما مسّكم النار اليوم.

فيقول مالك للزبانية: ألقوهم في النار.

فنادوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، فترجع عنهم النار.

فيقول مالك: يا نار خذيهم.

فتقول النار: وكيف آخذهم وهم يقولون: لا إله إلا الله.

فيقول مالك: نعم بذلك أمر ربّ العرش.

فتأخذهم. فمنهم من تأخذه إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى حلقه.

قال: فإذا أهوت النار إلى وجهه قال مالك: لا تحرقي وجوههم فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم فطالما عطشوا في شهر رمضان.

فيبقون ما شاء الله فيها فينادُون: يا أرحم الراحمين يا حنّان يا منّان.

فإذا أنفذ الله تعالى حكمه قال: يا جبرئيل ما فعل العاصون من أمّة محمد صلى الله عليه وآله؟

فيقول: إلهي أنت أعلم بهم.

فيقول: انطلق فانظر حالهم، فينطلق جبرئيل إلى مالك ـ وهو على سرير من نار في وسط جهنم ـ فإذا نظر مالك إلى جبرئيل عليه السلام قام تعظيماً له فيقول: يا جبرئيل ما أدخلك هذا الموضع؟

فيقول: ما فعلت العصابة العاصية من أمّة محمد صلى الله عليه وآله؟

فيقول: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم! قد أحرقت النار أجسامهم وأكلت لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان.

فيقول جبرئيل: ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم.

قال: يأمر مالك الخزنة فيرفعون الطبق، فإذا نظروا إلى جبرئيل وإلى حسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب فيقولون: مَن هذا العبد الذي لم نر قطّ أحسن وجهاً منه؟

فيقول مالك: هذا جبرئيل الكريم على الله تعالى الذي كان يأتي محمداً صلى الله عليه وآله بالوحي.

فإذا سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وآله صاحوا بأجمعهم وقالوا: يا جبرئيل اقرأ محمّداً منّا السلام وأخبره أن معاصينا فرّقت بيننا وبينه، وأخبره بسوء حالنا.

فينطلق جبرئيل حتى يقوم بين يدي الله تعالى فيقول الله عزّ وجلّ: كيف رأيت أمّة محمّد صلى الله عليه وآله؟

فيقول: يا ربّ ما أشدّ حالهم وأضيق مكانهم!

فيقول: هل سألوك شيئاً؟

فيقول: نعم يا ربّ سألوني أن أقرأ على نبيّهم السلام وأخبره بسوء حالهم.

فيقول الله جلّ جلاله: انطلق وأبلغه.

فيدخل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وهو في خيمة من درّة بيضاء لها أربعة آلاف باب ولها مصراعان من ذهب. فيقول: يا محمد جئتك من عند العصابة العصاة من أمّتك يعذَّبون بالنار وهم يقرئونك السلام ويقولون: ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا!

فيأتي النبيّ صلى الله عليه وآله عند العرش، فيخرّ ساجداً ويثني على الله ثناءً لم يثنه أحد مثله.

فيقول الله عزّ وجلّ: ارفع رأسك واسأل تعط واشفع تشفّع.

فيقول: يا ربّ، الأشقياء من أمّتي قد أنفذت فيهم حكمك.

فيقول الله عزّ وجلّ: قد شفّعتك فيهم، فأتِ النار وأخرِج منها من قال: لا إله إلا الله.

فينطلق النبيّ صلى الله عليه وآله، فإذا نظر مالك إلى محمد صلى الله عليه وآله قام تعظيماً له، فيقول: يا مالك ما حال أمّتي الأشقياء؟

فيقول مالك: ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم!

فيقول النبيّ صلى الله عليه وآله: افتح الباب وارفع الطبق.

فإذا نظر أهل النار إلى محمد صلى الله عليه وآله صاحوا بأجمعهم فيقولون: قد أحرقت النار جلودنا وأحرقت أكبادنا. ويخرجهم جميعاً وقد صاروا فحماً قد أكلتهم النار، فينطلق بهم إلى نهر بباب الجنّة يسمّى الحيوان فيغتسلون فيه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحّلين، وجوههم مثل القمر مكتوب على جباههم (جهنّميون عتقاء الرحمن من النار) فيدخلون الجنة، فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها، قالوا: يا ليتنا كنّا مسلمين وكنّا نخرج من النار[1]. وهو قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (الحجر: ٢).

---

(١) علم اليقين في أصول الدين، المولى محسن الكاشاني، دار البلاغة، بيروت: ج٢ص ١٠٣٩.

الشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩).

دلّت الآية الكريمة أن هذا المقام سوف يعطى للنبي الأكرم يوم القيامة؛ وذلك بقرينة لفظة «البعث» الذي أطلق في القرآن عموماً على الحشر الأكبر يوم القيامة.

• قال تعالى: ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٦).

• وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ..﴾ (الحج: ٥).

• وقال: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (النحل: ٨٩).

لذا قال الآلوسي في ذيل هذه الآية: «الذي يبلغك إلى كمالك اللائق بك من بعد الموت الأكبر لما انبعثت من الموت الأصغر بالصلاة والعبادة»[1].

وقد وصفت الآية هذا المقام بأنه محمود وأطلقت القول من غير تقييد، وهذا يفيد أنه مقام يحمده عليه جميع الخلائق.

والحمد كما قال الراغب في المفردات: «هو الثناء على الجميل الاختياري وهو أخصّ من المدح، وأعمّ من الشكر، فإن المدح يقال في ما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون

---

(١) روح المعاني، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٢٠٢، المجلّد التاسع.

في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابل نعمة، فكلّ شكر حمد وليس كلّ حمد شكراً، وكلّ حمد مدح وليس كلّ مدح حمداً، ويقال فلان محمود إذا حمد»[١].

ومن المعلوم أن الحمد والثناء إنما هو لله تعالى أولاً وبالذات؛ وذلك:

أولاً: إن كلّ ما يصدق عليه شيء فهو مخلوق له سبحانه؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ (غافر: ٦٢).

وثانياً: إن كلّ شيء مخلوق فهو حسن وجميل، فلا خلق إلا وهو جميل ولا حسن إلا وهو مخلوق له منسوب إليه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة: ٧).

وثالثاً: إنه لم يخلق ما خلق بقهر قاهر، ولا يفعل ما يفعل بإجبار مجبر، بل خلقه عن علم واختيار؛ لقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (الزمر: ٤). فكلّ شيء مقهور له ومحتاج إليه، ومن المحال أن يكون المقهور له قاهراً.

والمتحصّل من هذه الأمور الثلاثة أن كلّ شيء في هذا العالم فهو فعل اختياريّ له تعالى، فلا يكون إلا جميلاً، من هنا فما من حمد يحمده حامد لأمر محمود إلا كان له سبحانه حقيقة، وإذا ثبت لغيره كما أشارت الآية فهو لأنه مظهر تلك الحقيقة التي هي المحمود المطلق بالذات.

أما لأيّ فعل يستحقّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله الحمد والثناء من الكلّ، وقد عرفت أن الثناء لا يكون إلا إذا كان هناك فعل استحسنه الكلّ وانتفع به الجميع؟

هنا اتّفقت كلمة المفسّرين ودلّت الأخبار الصحيحة الواردة من طرق الفريقين أن ذلك لأجل مقام الشفاعة الكبرى له صلى الله عليه وآله.

---

(١) **المفردات في غريب القرآن**، مصدر سابق: ص ١٣١، مادة: حمد.

قال الواحدي: «أجمع المفسّرون على أنه مقام الشفاعة».

وقال الرازي: «اللفظ مشعر به وذلك لأن الإنسان إنما يصير محموداً إذا حمده حامد، والحمد إنما يكون على الإنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاماً أنعم رسول الله فيه على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام، وذلك الإنعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ وتعليم الشرع لأن ذلك كان حاصلاً في الحال. وقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ تطميع، وتطميع الإنسان في الشيء الذي وعده في الحال محال، فوجب أن يكون ذلك الإنعام الذي لأجله يصير محموداً إنعاماً سيصل منه حصل له بعد ذلك إلى الناس، وما ذاك إلا شفاعته عند الله. فدلّ هذا على أن لفظ الآية وهو قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ يدلّ على هذا المعنى.

وأيضاً التنكير في قوله مقاماً محموداً يدلّ على أنه يحصل للنبيّ عليه السلام في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل»[1].

وقال الطبرسي: «وقد أجمع المفسّرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس، وهو المقام الذي يعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفّه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون صلى الله عليه وآله أول شافع وأول مشفّع»[2].

روايات المقام المحمود

تضافرت الروايات حول الآية وكلّها تُجمع على أن المراد من المقام المحمود هو مقام الشفاعة الكبرى له صلى الله عليه وآله.

---

(١) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ٢١ ص ٢٦.

(٢) **مجمع البيان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٨٨.

• أخرج البخاري وابن جرير وابن مردويه عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: «**إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام فيقول: لستُ بصاحب ذلك، ثم موسى عليه السلام فيقول: كذلك، ثم محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم فيشفع، فيقضي الله بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة**». فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلّهم».(١)

• عن سماعة بن مهران عن أبي إبراهيم عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: «**يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً وتؤمر الشمس فتركب على رؤوس العباد ويُلجمهم العرق وتؤمر الأرض فلا تقبل من عرقهم شيئاً، فيأتون آدم فيشفعون له فيدلّهم على نوح، ويدلّهم نوح على إبراهيم، ويدلّهم إبراهيم على موسى، ويدلّهم موسى على عيسى، ويدلّهم عيسى فيقول: عليكم بمحمّد خاتم النبيّين.**

فيقول محمد صلى الله عليه وآله: أنا لها. فينطلق حتى يأتي باب الجنّة فيدّق فيقال له: من هذا؟ والله أعلم. فيقول: محمد. فيقال: افتحوا له. فإذا فتح الباب استقبل ربّه فخرّ ساجداً فلا يرفع رأسه حتى يقال له: تكلّم وسل تُعط واشفع تشفّع. فيرفع رأسه فيستقبل ربّه فيخرّ ساجداً فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتى أنه ليشفع لمن قد أحرق بالنار، فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمد صلى الله عليه وآله، وهو قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾».(٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٢٥.

(٢) تفسير العياشي: تأليف: الشيخ أبي النضر محمد بن مسعود العياشي، المتوفى ٣٢٠هـ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة ، قم: الحديث ٢٥٩٣، ج ٣ص ٧٨.

• وأخرج الترمذي وحسّنه وابن جرير وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

«**أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبيّ يومئذ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر. فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربّك، فيقول: إني أذنبت ذنباً أُهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً، فيأتون نوحاً فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأُهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقول: ائتوا موسى، فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام فيقول: إني قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى عليه السلام فيقول: إني عُبدت من دون الله ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه [وآله] وسلم.**

فيأتون فأنطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها، فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتحون لي ويقولون: مرحباً. فأخرّ ساجداً، فيلهمني الله عزّ وجلّ من الثناء والحمد والمجد فيقال: ارفع رأسك... سل تُعطَ واشفع تشفّع وقل يُسمع لقولك، فهو المقام المحمود الذي قال الله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾»(١).

شفاعته صلى الله عليه وآله لا تختصّ بأمّته

قد عرفتَ في سابق الأبحاث أن له صلى الله عليه وآله شفاعة في أمّته من أهل التوحيد، كقوله صلى الله عليه وآله: «**شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدّق قلبه لسانه ولسانه قلبه**»(٢). لكن أتختص شفاعته صلى الله عليه

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٢٦.

(٢) مسند أحمد: ج ٢ ص ٣٠٧، ٥١٨، نقلاً عن: مفاهيم القرآن: ج ٤ ص ٢٩٠.

وآله بذلك أم تشمل غير أمّته من الخلائق أجمعين من الأولين والآخرين؟

دلّت جملة من الروايات الواردة من طريق الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام، أنه ما من أحد إلا وينتفع بشفاعته صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

• أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصحّحه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان من طريق علي بن حسين قال: «أخبرني رجل من أهل العلم أن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: «**تُمدّ الأرض يوم القيامة مدّ الأديم ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدمه، ثم أُدعى أول الناس فأخرّ ساجداً ثم يؤذن لي فأقول: يا ربّ أخبرني هذا لجبريل وجبريل عن يمين الرحمن، وجبريل عليه السلام ساكت لا يتكلم حتى يقول الربّ: صدقت..ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول: أي ربّ عبادك عبدوك في أطراف الأرض، فذلك المقام المحمود**»[(١)].

• عن عبيد بن زرارة قال: «فسئل أبو عبد الله الصادق عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: **نعم**. فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله؟ قال: **نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ**»[(٢)].

• في تفسير القمي قال: «حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبّر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر الباقر عليه السلام يقال له: أبو أيمن، فقال: يا أبا جعفر تغرون الناس وتقولون: شفاعة محمد، شفاعة محمد. فغضب أبو جعفر عليه السلام

---

(١) **الدر المنثور في التفسير المأثور**، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٢٥.

(٢) **تفسير العياشي**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٧٨، الحديث: ٢٥٩٢.

حتى تربّد وجهه ثم قال: **ويحك يا أبا أيمن! أغرّك أن عفّ بطنك وفرجك، أما لو علمت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله، ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟**

ثم قال عليه السلام: **ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله.** (١)

وهذا المعنى وهو قوله عليه السلام: (**ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله**)، قد يمكن استفادته أيضاً من وجه قرآني.

توضيحه: من الحقائق القرآنية التي تكرر ذكرها في كلامه عزّ وجلّ أنه يبعث في يوم القيامة في كلّ أمّة شهيداً عليهم؛ قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ** ﴾ (النحل: ٨٤) وقال: ﴿ **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ** ﴾ (النحل: ٨٩) وهؤلاء هم شهداء الأعمال الذين تحمّلوا حقائق أعمال أمّتهم في الدنيا وهم يستشهد بهم ويشهدون عليهم يوم القيامة.

وهذه الشهادة وإن كانت يوم القيامة لكنّ تحمّلها في الدنيا على ما يعطيه قوله سبحانه حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (المائدة: ١١٧) حيث أشارت إلى أن من أهمّ وظائفه عليه السلام هي تحمّل الشهادة في هذه النشأة لأدائها في النشأة الأخرى ﴿**وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**﴾ (النساء: ١٥٩).

---

(١) تفسير القمي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٠٢.

«ومن الواضح أن هذه الحواس العادية التي فينا والقوى المتعلقة بها منّا، لا تتحمّل إلا صور الأفعال والأعمال فقط، وذلك التحمّل أيضاً إنما يكون في شيء يكون موجوداً حاضراً عند الحس لا معدوماً ولا غائباً عنه، وأما حقائق الأعمال والمعاني النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران، وبالجملة كلّ خفيّ عن الحسّ ومستبطن عند الإنسان ـ وهي التي تكسب القلوب وعليه يدور حساب ربّ العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى: ﴿**وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ (البقرة: ٢٢٥) ـ فهي مما ليس في وسع الإنسان إحصاؤها والإحاطة بها وتشخيصها من الحاضرين، فضلاً عن الغائبين إلا رجل يتولّى الله أمره ويكشف ذلك له بيده»[(١)].

وعلى هذا فمن الواجب أن يكون هذا الشهيد ذا عصمة إلهية يمتنع عليه الكذب والجزاف، وأن يكون عالماً بحقائق الأعمال التي يشهد عليها لا بظاهر صورها وهيئاتها المحسوسة، بل بحقيقة ما انعقدت عليه في القلوب، وأن يستوي عنده الحاضر والغائب من الناس.[(٢)]

وكيفما كان فقد ربط القرآن الشفاعة للشفعاء بكونهم ممن يشهدون بالحقّ؛ قال تعالى: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (الزخرف: ٨٦) حيث أفادت أن الملاك في الشفاعة هي الشهادة، فالشهداء هم الشفعاء المالكون للشفاعة.

فإذا ثبت أن النبيّ صلى الله عليه وآله هو الشهيد على الشهداء كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٢٠.

(٢) عصمة الأنبياء في القرآن، مصدر سابق: ص ١٧٨.

﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩) حيث أشارت إلى أن لكلّ أمّة شهيداً عليهم من أنفسهم، والمراد من الأمّة جماعة الناس من أهل عصر واحد يشهد أعمالَهم شهيدٌ واحد، ويكون المراد بالشهيد الإنسان المبعوث بالعصمة والمشاهدة أي تكون شهادته عن معاينة كما هو ظاهر لفظ الشهيد وظاهر تقييده بقوله ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ في قوله ﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ إذ لولا المشاهدة لم يكن لكونه من أنفسهم وقع، ولا لتعدد الشهداء بتعدّد الأمم وجه، فلكلّ قوم شهيد من أنفسهم سواء كان نبياً لهم أو غير نبيّهم، فلا ملازمة كما يؤيده قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ (الزمر: ٦٩).

وعلى هذا يكون المراد بهؤلاء في قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الشهداء دون ما استظهره البعض وهم أمّته، فالشهداء شهداء على أممهم والنبيّ صلى الله عليه وآله شهيد على الشهداء.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث يصف فيه يوم القيامة: «**يجتمعون في موطن يستنطق فيه جميع الخلائق فلا يتكلّم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، فيقام الرسول فيسأل، فذلك قوله لمحمد: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ وهو الشهيد على الشهداء، والشهداء هم الرسل**»[1].

وظاهر الشهادة على الشهادة تعديله دون الشهادة على عمله، فهو صلى الله عليه وآله شهيد على مقامهم لا على أعمالهم، ولذلك لم يكن من الواجب أن يعاصرهم ويتّحد بهم زماناً.

وفي ضوء هذه الحقيقة القرآنية يتّضح المراد من الأمّة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)

---

(١) تفسير العياشي نقلاً عن: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٣٢.

حيث إنها جعلت الأمّة شاهدة على الناس، وقد عرفت أن الشهادة إنما هي بتحمّل حقائق أعمال الناس في الدنيا من سعادة أو شقاء وانقياد أو تمرّد، وأداء ذلك في الآخرة يوم يستشهد الله من كلّ شيء كالملائكة والزمان والمكان والدين والكتاب والجوارح والحواس ونحوها.

ومن المعلوم أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمّة؛ إذ ليست إلا كرامة خاصّة للأولياء الطاهرين منهم، لذا قرن الله تعالى الشهداء بالأنبياء والصدّيقين في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩). وأما من دونهم من المتوسّطين في السعادة والعدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك فضلاً عن الفراعنة والطواغيت من الأمّة.

وهذا ما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه الآية حيث قال لأبي عمرو الزبيري: «**فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** (آل عمران: ١١٠) **وهم الأمّة الوسطى وهم خير أمّة أخرجت للناس**»[1].

وعلى هذا يكون المراد بكون الأمّة شهيدة، أن هذه الشهادة فيهم، كما أن المراد بكون بني إسرائيل فُضّلوا على العالمين أن هذه الفضيلة فيهم من غير أن يتّصف به كلّ واحد منهم، بل نسب وصف البعض إلى الكلّ لكون البعض فيه ومنه، فكون الأمّة شهيدة هو أن فيهم من يشهد على الناس.

---

(١) **تفسير العياشي**، مصدر سابق: ج ١ ص ١٦١، الحديث: ٢١٩.

وقد تضافرت الروايات أن هذا البعض هم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

• عن بُريد بن معاوية العجلي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «قلت له: قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾ قال: **نحن الأمّة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه**»[(١)].

وذلك لما ثبت من ضرورة عصمة الشاهد على أعمال الخلائق يوم القيامة؛ قال الرازي: «إن كلّ جمع وقرن يحصل في الدنيا فلابدّ وأن يحصل فيهم واحد يكون شهيداً عليهم، أما الشهيد على الذين كانوا في عصر الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم فهو الرسول. وثبت أيضاً أنه لابدّ في كلّ زمان بعد زمان الرسول من الشهيد. فحصل من هذا أن عصراً من الأعصار لا يخلو من شهيد على الناس، وذلك الشهيد لابدّ وأن يكون غير جائز الخطأ وإلا لافتقر إلى شهيد آخر ويمتدّ ذلك إلى غير النهاية وذلك باطل»[(٢)].

نعم هؤلاء الشهداء في هذه الأمّة يكون الرسول شهيداً عليهم؛ لقوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) فإن ظاهر هذه الآية أن بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين الناس الذين هم عامّة من بُعث إليهم من زمانه إلى يوم القيامة شهداء يشهدون على أعمالهم، وأن الرسول إنما هو شهيد على هؤلاء الشهداء دون سائر الناس إلا بواسطتهم، فتكون حينئذ الأمّة التي بعث إليها النبيّ صلى الله عليه وآله منقسمة إلى أمم كثيرة.

---

(١) **تفسير العياشي**، مصدر سابق: ج ١ ص ١٦٠، الحديث: ٢١٥.

(٢) **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، مصدر سابق: ج ٢٠ ص ٨٠.

عود على بدء

بعد أن ثبت:

- أن ملاك الشفاعة هي الشهادة.
- وأن الأنبياء شهداء على أممهم.
- وأن النبيّ الأكرم هو الشهيد على الشهداء.

يثبت أن النبيّ صلى الله عليه وآله هو شفيع الشفعاء يوم القيامة.

غير أن هذه الشفاعة للشفعاء ليست هي التي أشار إليها الإمام عليه السلام بقوله: «**ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار**» وإنما هي الشفاعة العامة التي لها مصاديق كثيرة.

قال الشيخ ابن عربي: «إنما كان صلى الله عليه [وآله] وسلم صاحب المقام المحمود في الشفاعة يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ، لأنه أُوتي جوامع الكلم، فيحمده في ذلك المقام الأولون والآخرون ويرجع إلى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق، وكما كانت بعثته صلى الله عليه [وآله] وسلم عامّة وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة، فكما لا يخرج عن شريعته عمل يصحّ أن يشرع، كذا لا يصحّ أن يخرج عن شفاعته أحد»(١).

وقال التهانوي: «معلوم أن الشفاعة تنقسم إلى عدة أنواع، وكلّ أنواع الشفاعة ثابتة للرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم، وبعضها خاصّ له وبعضها بالاشتراك. وأول من يفتح له باب الشفاعة هو رسول الله صلى الله عليه [وآله]

---

(١) **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، مصدر سابق: ص ٦١٤.

ويمكن مراجعة هذا البحث في: **الفتوحات المكية**، محي الدين بن عربي، تحقيق وتقديم: د. عثمان يحيى، تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور: ج١٢ ص ٣٩٣.

وسلم، فعليه تكون جميع أنواع الشفاعات راجعة إليه وهو صاحب الشفاعة على الإطلاق.

النوع الأول: الشفاعة العظمى وهي عامّة لجميع الخلائق، وهي خاصّة لنبيّنا وليس لأيّ نبي آخر الجرأة أو حقّ التقدّم إليها، وتلك الشفاعة من هول الموقف في العرصات، والتخفيف عن الخلائق بتعجيل الحساب والحكم، وتخليص الناس من محنة الموقف وشدائده.

والنوع الثاني: وهي تتعلّق بإدخال فريق من المؤمنين إلى الجنّة بغير حساب. وثبوت هذا النوع لنبيّنا صلى الله عليه [وآله] وسلم قد وردت به النصوص، وهو عند بعضهم خاصّ به وحده.

والنوع الثالث: وهي متعلّقة بأقوام تساوت حسناتهم وسيّئاتهم فيدخلون الجنّة بشفاعته صلى الله عليه [وآله] وسلم.

والنوع الرابع: وهي تتعلّق بفئة من الناس يستحقّون دخول النار ولكن بشفاعته صلى الله عليه [وآله] وسلّم لهم يدخلون الجنة.

والنوع الخامس: تتعلّق برفع درجات وزيادة كرامات.

والنوع السادس: تتعلّق بأناس دخلوا جهنّم ثم يخرجون منها بالشفاعة، وهي مشتركة بين سائر الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء.

والنوع السابع: وتتعلّق باستفتاح الجنّة.

والنوع الثامن: وتتعلّق بتخفيف العذاب عن أولئك الذين يستحقّون العذاب الدائم في النار.

والنوع التاسع: وهي لزوّار قبره الشريف والمكثرين من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله»[1].

---

(١) موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ج ١ ص ١٠٣٤.

روايات أخرى في شفاعته صلى الله عليه وآله

• عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟

قال: يا فاطمة عند باب الجنّة ومعي لواء الحمد وأنا الشفيع لأمّتي إلى ربّي.

قالت: يا أبتاه فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على الحوض وأنا أسقي أُمّتي.

قالت: يا أبتاه إن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على الصراط وأنا قائم أقول: ربي سلّم أُمّتي.

قالت: فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني وأنا عند الميزان أقول: ربّ سلّم أُمّتي.

قالت: فإن لم ألقك هناك؟

قال: القيني على شفير جهنّم أمنع شررها ولهبها عن أُمّتي.

فاستبشرت فاطمة سلام الله عليها بذلك.(١)

• عن الإمام أبي الحسن العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: **إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني مناد: يا رسول الله إن الله جلّ اسمه قد أمكنك من مجازاة محبّيك ومحبّي أهل بيتك الموالين لهم فيك والمعادين لهم فيك فكافهم بما شئت. فأقول: يا ربّ الجنّة فأبوّئهم منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وعدت**

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٨ كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث: ٦.

به»[١].

• عن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«**أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أُمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه**» [١].

• أخرج ابن مردويه عن طلق بن حبيب قال: «كنت أشدّ الناس تكذيباً بالشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كلّ آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار، فقال: يا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسنّة رسول الله منّي؟ إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً فعذّبوا ثم أخرجوا منها، ثم أهوى بيديه إلى أُذنيه فقال: صمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله يقول: **يخرجون من النار بعدما دخلوا**. ونحن نقرأ كما قرأت». [٢]

تلخيص

الروايات الدالّة على وقوع شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة من طرق أئمة أهل البيت عليهم السلام «وكذا من طرق أهل السنة بالغة حدّ التواتر، وهي من حيث المجموع إنما تدلّ على معنىً واحد وهو الشفاعة على المذنبين من أهل الإيمان إما بالتخليص من دخول النار وإما بالإخراج منها بعد الدخول فيها. والمتيقن منها عدم خلود المذنبين من أهل الإيمان في النار، وقد عرفت أن القرآن أيضاً لا يدلّ على أزيد من ذلك»[٣].

---

(١) **بحار الأنوار**: ج ٨ ص ٣٩، باب الشفاعة، الحديث ٢٠ و٥٣.

(٢) **مفاهيم القرآن**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٩٧، الحديث ٥٠.

(٣) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١ ص ١٨٣.

٣. شفاعة القرآن الكريم

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تعلّموا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة**»[١].

• وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّي منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعّني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعّني فيه، قال فيشفعان**»[٢].

• عن أبي هريرة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيّكم، وأهل بيت نبيّكم**»[٣].

• وعن علي أمير المؤمنين عليه السلام في كلام يصف فيه القرآن: «**واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يُضلّ، والمحدِّث الذي لا يكذّب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى أو نقصان من عمى.**

واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائِكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغيّ والضلال. فأسألوا الله به وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلْقه، إنه ما توجّه العباد إلى الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفّع وقائل مصدّق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة صُدّق عليه، فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن.

---

(١) مسند أحمد: ج ٥ ص ٢٥١ نقلاً عن: مفاهيم القرآن، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٩٦.

(٢) مسند أحمد: ج ٢ ص ١٧٤ نقلاً عن مفاهيم القرآن: ج ٤ ص ٢٩٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٤٣، باب الشفاعة، الحديث: ٣٩.

فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم»[١].

محلّ الشاهد في هذا النص العلويّ قوله عليه السلام: «**واعلموا أنه شافع مشفّع وقائل مصدّق**» أي يشفع لقرّائه والعاملين به الحاملين له يوم القيامة، فيقبل شفاعته في حقّهم، ويقول ويشهد في حقّ هؤلاء بخير، وفي حقّ التاركين له والنابذين به وراء ظهورهم بشرّ فيصدّق فيهما، كما أشار إليه «**وإنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه**» أي قبلت شفاعته «**ومن مَحَل به القرآن**» أي سعى به إلى الله وقال في حقّه قولاً يضرّه ويوقعه في المكروه «**يوم القيامة صدّق عليه**».

قال ابن ميثم البحراني: «استعار عليه السلام لفظي الشافع والمشفّع، وجه الاستعارة كون تدبّره والعمل بما فيه ماحياً لما يعرض للنفس من الهيئات الرديّة من المعاصي، وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفّع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه، وكذلك لفظ القائل المصدّق، ووجه الاستعارة كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل المصدّق، ثم أعاد معنى كونه شافعاً مشفّعاً يوم القيامة، ثم استعار لفظ المَحَل للقرآن، ووجه الاستعارة أن لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضرة ربوبيّته على من أعرض عنه بعدم اتباعه ومخالفته لما اشتمل عليه، وتلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فبالواجب أن يصدّق، فأشبه الساعي إلى السلطان في حقّ غيره بما يضرّه»[٢].

---

(١) **نهج البلاغة**: الخطبة: ١٧٦.

(٢) **شرح نهج البلاغة**، لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، عُني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدّة نسخ موثوق بها: ج ٢ ص ٣٥٦.

«والإنصاف أن حمل الكلام على المجاز مع التمكّن من إرادة الحقيقة لا معنى له، والحمل على الحقيقة هنا ممكن بل متعيّن؛ لدلالة غير واحد من الروايات على أنه (أي القرآن) يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق ويشفع في حقّ قرّائه العالمين ويسعى في حقّ المعرضين عنه، وعلى هذا فلا وجه لحمل لفظ الشفاعة والقول والمحل على معناها المجازي»[(١)].

وقد أشارت جملة من الروايات إلى هذه الحقيقة:

• عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تعلّموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل فيقول له: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريتك وأسلت دمعتك، أؤول معك حيثما اُلت وكلّ تاجر من وراء تجارته وأنا اليوم لك من وراء تجارة كلّ تاجر وسيأتيك كرامة من الله عزّ وجلّ فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمينه والخُلد في الجنان بيساره ويكسى حلّتين، ثم يقال له: اقرأ وارقه. فكلّما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلَّتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هذا لما علّمتماه القرآن**»[(٢)].

• عن سعد الخفّاف عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: **يا سعد تعلّموا القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف... فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين،**

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، لمؤلفه العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم، الطبعة الرابعة: ج ١٠ ص ١٩٩.

(٢) الأصول من الكافي: كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، الحديث ٣، ج ٢ ص ٦٠٣.

نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشد اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه. ثم يجاوز حتى يأتي على صفّ الشهداء فينظرون إليه ثم يقولون: لا إله إلا الله الربّ الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته.

قال: ثم يجاوز حتى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبي مرسل، فينظر النبيّون والمرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجبّهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا لنبي مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنه أعطي فضلاً كثيراً، فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله فيسألونه ويقولون: يا محمد من هذا؟ فيقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فيقولون: ما نعرفه، هذا ممن لم يغضب الله عليه، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا حجّة الله على خلقه فيسلّم.

ثم يجاوز حتى يأتي على صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب، فتنظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجبّهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون: تعالى ربّنا وتقدّس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّ وجلّ مقاماً، فمن هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نلبس.

ثم يجاوز حتى يأتي إلى رب العزّة تبارك وتعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى: يا حجّتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي؟

فيقول: يا ربّ منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقي وكذّب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك. فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب.

ثم يأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله. قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول ويقول: ما تعرفني؟ فيقول: نعم. فيقول القرآن: أنا الذي أسهرتُ ليلك وأنصبت عيشك، سمعت الأذى وزحمت بالقول فيّ، ألا وإن كلّ تاجر قد استوفى تجارته وأنا وراءك اليوم.

قال: **فينطلق به إلى رب العزّة تبارك وتعالى فيقول: يا ربّ يا ربّ عبدك وأنت أعلم به قد كان نصباً بيّ مواظباً عليّ، يعادي بسببي ويحبّ فيّ ويبغض. فيقول الله عزّ وجلّ: أدخلوا عبدي جنّتي واكسوه حلّة من حلل الجنّة وتوّجوه بتاج.**

فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صُنع بوليك؟ فيقول: يا ربّ إني أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كلّه.

فيقول: وعزّتي وجلالي وعلّوي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته. ألا إنهم شباب لا يهرمون، وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، وأحياء لا يموتون، ثم تلا هذه الآية: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الدخان:٥٦).

قال: قلت: جُعلت فداك يا أبا جعفر، وهل يتكلّم القرآن، فتبسّم ثم قال: **نعم يا سعد والصلاة تتكلّم...**»[١].

وهذا المعنى الذي ذكرته الرواية في القرآن وأنه يتكلّم ينسجم مع نظرية تجسّم الأعمال.

---

(١) الأصول من الكافي: ج ٢ ص ٥٩٦، كتاب فضل القرآن، الحديث: ١.

نظرية تجسّم الأعمال

آمن جملة من المحقّقين أن كلّ قول أو فعل ما دام وجوده في النشأة المادّية الدنيوية فإنه لا حظّ له من الثبات، لأن الدنيا دار التجدّد والزوال، ولكنه يحصل منه أثر في النفس، فإذا تكرّر استحكم الأثر فصار ملكة راسخة.

مثاله الحرارة التي تحدث في الفحم فإنها ضعيفة أولاً وإذا اشتدّت تجمّرت ثم استضاءت ثم صارت صورة نارية محرقة لما قارنها مضيئة لما قابلها.

وكذلك الأحوال النفسانية إذا تضاعف قوّتها صارت ملكات راسخة وصوراً باطنة تكون مبادئ للآثار المختصة بها. فالنفوس الإنسانية في أوائل الفطرة كصحائف خالية من النقوش والصور تقبل كلّ خلق بسهولة، وإذا استحكمت فيها الأخلاق تعسّر قبولها لأضدادها، ولذلك سهل تعليم الأطفال وتأديبهم وتنقيش نفسهم بكلّ صورة وصفة، ويتعسّر أو يتعذّر تعليم الرجال البالغين وردّهم عن الصفات الحاصلة لهم؛ لاستحكامها ورسوخها.

ثم لا خلاف في أن هذه الملكات وأفعالها اللازمة لها إن كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة وموافقة الملائكة والأخيار، وإن كانت رديّة كانت مقتضية للألم والعذاب ومصاحبة الشياطين والأشرار، وإنما الخلاف في كيفية إيجابها للثواب أو العذاب.

• فمن قال إن الجزاء مغاير للعمل قال: إن كلّ ملكة وفعل يصير منشأً لترتّب ثواب أو عقاب مغاير له بفعل الله سبحانه؛ على التفصيل الوارد في الشريعة.

• ومن قال إن العمل نفس الجزاء قال: إن الهيئات النفسانية اشتدّت وصارت ملكة تصير متمثّلة ومتصوّرة في عالم الباطن والملكوت بصورة يناسبها، إذ كلّ شيء يظهر في كلّ عالم بصورة خاصّة، فإن العلم في عالم اليقظة أمر عَرَضي يدرك بالعقل أو الوهم، وفي عالم النوم يظهر بصورة اللبن، فالظاهر في العالمين شيء واحد وهو العلم لكنه تجلّى في كلّ عالم بصورة، والسرور يظهر في عالم النوم بصورة البكاء.

ومنه يظهر أنه قد يسرّك في عالم ما يسوءك في عالم آخر، فاللذّات الجسمانية التي تسرّك في هذا العالم تظهر في دار الجزاء بصورة تسوءك وتؤذيك، وتركها وتحمّل مشاقّ العبادات والطاعات والصبر على المصائب والبليّات يسرّك في عالم الآخرة مع كونها مؤذية في هذا العالم.

ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصورة اسم الملَك إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال، واسم الشيطان إن كانت من أضدادها، وقد يطلق على الأولى اسم الغلمان والحور وأمثالهما وعلى الثانية اسم الحيّات والعقارب وأشباههما، ولا فرق بين الإطلاقين في المعنى وإنما الاختلاف في الاسم.

وهذا المذهب يرجع إلى القول بتجسّد الأعمال وتجسّمها بصورة مأنوسة مفرّحة أو صورة موحشة معذّبة، وقد وردت آيات وروايات كثيرة في ذلك. **فمن الآيات:**

• قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التحريم: ٧).

• وقوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨١) حيث قال عزّ وجلّ: ﴿مَا كُنتُمْ﴾ و﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ ولم يقل بما كنتم، وهذا معناه: إنّ ما تجزونه هو نفس ما كنتم تعملون، أي أن العذاب الذي تعذّبون به هو نفس عملكم السيّئ الذي عملتموه وقد برز لكم اليوم حقيقته.

• وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

• ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: ٣٠). فالحاضر عندهم نفس الأعمال بصورها المناسبة لها لا كتابتها.

ولعمري لو لم يكن في كتاب الله تعالى إلا قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢) لكان فيه كفاية حيث يتبيّن من الآية:

أولاً: إن معرّف يوم القيامة أنه يوم ينكشف فيه غطاء الغفلة عن الإنسان فيشاهد حقيقة الأمر مشاهدة عيان لا علماً فكرياً.

وثانياً: إن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجود مهيّأ له وهو في الدنيا، غير أنه في غفلة منه بسبب تعلّق الإنسان وهو في هذه النشأة بالأسباب الظاهرية وركونه إليها، وخاصّةُ يوم القيامة أنه يوم انكشاف الغطاء ومعاينة ما وراءه، ومن الواضح أن الغفلة لا تكون إلا عن معلوم حاضر، وكشف الغطاء لا يستقيم إلا عن مغطّى موجود، فلو لم يكن ما يشاهده الإنسان يوم القيامة موجوداً حاضراً من قبل لما كان يصحّ أن يقال للإنسان إن هذه أمور كانت مغفولة لك مستورة عنك، فهي اليوم مكشوف عنها الغطاء مزالة منها الغفلة.

«لذا خاطبت الآية الإنسان بقوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ﴾ أحاطت بك ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ الذي تشاهده وتعاينه وإن كان في الدنيا نصب عينيك لا يغيب، لكن تعلّقك بذيل الأسباب أذهلك وأغفلك عنه

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ﴾ وهو البصيرة وعين القلب ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وهو يوم القيامة ﴿حَدِيدٌ﴾ أي نافذ يبصر ما لم يكن يبصره في الدنيا»[١].

وبذلك تتّضح حقيقة الكتاب الذي يخرج للإنسان يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٣ ـ ١٤) حيث دلّت الآية على:

أولاً: «إن الكتاب الذي يخرج له هو كتاب نفسه لا يتعلق بغيره.

وثانياً: إن هذا الكتاب متضمّن لحقائق أعماله التي عملها في الدنيا من غير أن يفقد منها شيئاً كما في قوله ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ (الكهف: ٤٩).

وثالثاً: إن الأعمال التي أحصاها بادية فيها بحقائقها من سعادة أو شقاء، ظاهرة بنتائجها من خير أو شرّ ظهوراً لا يستتر بستر ولا يقطع بعذر.

وقد عرفت من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ (آل عمران: ٣٠) أن الكتاب يتضمّن نفس الأعمال بحقائقها دون الرسوم المخطوطة على حدّ الكتب المعمولة فيما بيننا في الدنيا، فهي نفس الأعمال يطلع الله الإنسان عليها عياناً ولا حجة كالعيان»[٢].

وأما الروايات فهي كثيرة:

• منها: ما روى أصحابنا عن قيس بن عاصم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يا قيس، إن مع العزّ ذُلاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدنيا آخرة، وإن**

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٨ ص ٣٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٣ ص ٥٥.

لكلّ شيء رقيباً وعلى كلّ شيء حسيباً، وإن لكلّ أجل كتاباً وإنه لابدّ لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لئيماً ألأمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإن صلح أنست به وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك»[١].

٤. شفاعة أهل البيت عليهم السلام

تضافرت الروايات الواردة في المقام لإثبات الشفاعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وبالخصوص للإمام علي أمير المؤمنين وبضعة المصطفى الزهراء البتول عليها السلام.

• عن أبي بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة شديدة فيضجّون إلى ربّهم ويقولون: يا ربّ اكشف عنّا هذه الظلمة.**

قال: فيقبل قوم يمشي النور بين أيديهم قد أضاء أرض القيامة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء أنبياء الله. فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بأنبياء، فيقول أهل الجمع: فهؤلاء ملائكة. فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بملائكة، فيقول أهل الجمع: هؤلاء شهداء. فيجيئهم النداء من عند الله: ما هؤلاء بشهداء. فيقولون: من هم؟

فيجيئهم النداء: يا أهل الجمع، سلوهم: من أنتم؟

فيقول الجمع: من أنتم؟ فيقولون: نحن العلويون، نحن ذرّية محمد رسول

---

(١) جامع السعادات، محمّد مهدي النراقي، تعليق وتصحيح محمّد كلانتر، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م: ج ١ ص ٤٩.

الله صلى الله عليه وآله، نحن أولاد عليّ وليّ الله، نحن المخصوصون بكرامة الله، نحن الآمنون المطمئنون.

فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ: اشفعوا في محبّيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون.[١]

• عن معاوية بن وهب قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ قال: **نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً**. قلت: جعلت فداك وما تقولون؟ قال: **نمجّد ربنا ونصلّي على نبينا ونشفع لشيعتنا، فلا يردّنا ربّنا**».[٢]

• عن محمد بن الفضيل الزرقي عن الإمام أبي عبدالله الصادق عن أبيه عن جدّه عن علي عليهم السلام قال: «**إن للجنّة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا، فإذا النداء من بُطنان العرش: قد أجيبت دعوتك وشفّعت في شيعتك... وباب يدخل منه سائر المسلمين ممن شهد أن لا إله إلا الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت**».[٣]

• وعن محمد بن مسلم قال: «سمعت الإمام الباقر عليه السلام يقول: **لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل: مؤمن أو كافر. فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار فتقرأ بين عينيه محبّاً فتقول: إلهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاّني وتولّى ذريتي من**

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٦، كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث: ١٠.
(٢) المصدر نفسه: ج ٨ ص ٤١، الحديث: ٢٨.
(٣) الخصال، مصدر سابق: ص٤٠٨، باب الثمانية الحديث: ٦.

النار، ووعدك الحقّ وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عزّ وجلّ: صدقت يا فاطمة إني سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولاّك وأحبّ ذريتك من النار، ووعدي الحقّ وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفّعك ليتبيّن لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك مني ومكانتك عندي. فمن قرأتِ بين عينيه مؤمناً فجذبت بيده وأدخلته الجنّة».(١)

وقوله عليه السلام: «**سمّيتني فاطمة وفطمت بي...**» إشارة إلى ما ورد في روايات عديدة أن سبب هذه التسمية أن الله عزّ وجلّ فطم من أحبّها من النار. فعن الإمام الرضا عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **إني سمّيت فاطمة لأن الله فطمها وذرّيتها من النار من لقي منهم بالتوحيد والإيمان بما جئت به**».(٢)

٥. شفعاء آخرون

بالإضافة إلى من تقدّم ذكرهم من الأنبياء وخصوصاً خاتمهم وسيّدهم، والقرآن وأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين ثبتت لهم شفاعة عامة، ذكرت الروايات الواردة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت آخرين يشفعون يوم القيامة أيضاً إلا أن دائرة شفاعتهم محدودة:

• فمنهم: العلماء العاملون بعلمهم المنفقون له؛ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «**إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد،**

---

(١) **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦م: ج١ ص ١٧٩، الحديث: ٦.

(٢) **أمالي الشيخ الطوسي**، تأليف: شيخ الطائفة جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي، منشورات مكتبة الداوري، قم ـ إيران: ج ٢ ص ١٨٣.

فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالم: قف تشفّع للناس بحسن تأديبك لهم».[١]

• ومنهم: الشهداء؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يشفع الشهيد في سبعين إنساناً من أهل بيته**»[٢].

وقال علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ثلاثة يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفّعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**»[٣].

والظاهر أن المراد بالشهيد والشهداء في الروايات هم شهداء معركة القتال كما هو المعروف في لسان الأئمة في الأخبار، لا شهداء الأعمال كما هو مصطلح القرآن.

• ومنهم: متعلّم القرآن والعامل به؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من تعلّم القرآن** (من قرأ القرآن) **فاستظهره فأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله الله به الجنّة وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلّهم قد وجبت له النار**».[٤]

• ومنهم: المؤمن؛ قال الإمام الباقر عليه السلام: «... **وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾**»[٥].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفّع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ـ** فيرفع سبّابتيه ـ **يا ربّ خويدمي كان**

---

(١) **بحار الأنوار**: ج ٨ ص ٥٦، كتاب العدل والمعاد، باب الشفاعة، الحديث: ٦٦.

(٢) **سنن أبي داود**: ج ٢ ص ١٥، نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٩٣.

(٣) **الخصال** للشيخ الصدوق: ج ١ ص١٥٦، باب الثلاثة، الحديث: ١٩٧.

(٤) **سنن الترمذي**: ج ٤ ص ٢٤٥، نقلاً عن: **مفاهيم القرآن**، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٩٣.

(٥) **الفروع من الكافي**: ج ٨ ص ١٠١، حديث أبي بصير مع المرأة، الحديث: ٧٢.

يقيني الحرّ والبرد، فيشفّع فيه»[١].

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام قال: «**شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت ويتبرّؤون من أعدائهم، وإن أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر فيشفّعه الله فيهم لكرامته على الله عزّ وجلّ**» [٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى الله بشروطه التي اشترطها عليه، فذلك مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، وذلك ممن لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة. ومؤمن زلّت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ،**[٣] **وذلك ممن يصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة ويشفع له وهو على خير**».[٤]

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «**المؤمن مؤمنان، فمؤمن صدّق بعهد الله ووفى بشروطه وذلك قول الله عزّ وجلّ:** ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣) **فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له، ومؤمن كخامة الزرع تعوجّ أحياناً وتقوم أحياناً، فذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، وذلك ممن يُشفع له ولا يشفع**».[٥]

---

(١) **بحار الأنوار**: ج ٨ ص ٦١، باب الشفاعة، الحديث: ٨٦ .

(٢) **صفات الشيعة للشيخ الصدوق**: ص١٦٤، الحديث ٥ عن: **مفاهيم القرآن**: ج٤ ص٣١٠.

(٣) قال في **الصحاح**: الخامة: الغضّة الرطبة من النبات، ويقال: كفأت فلاناً فانكفأ أي صرفته فانصرف ورجع.

(٤) **أصول الكافي**: ج٢ص٢٤٨، كتاب الإيمان والكفر، باب أن المؤمن صنفان، الحديث٢.

(٥) **الأصول من الكافي**: ج٢ ص٢٤٨، الحديث: ١ .

صفات المؤمن

ذكرت الأخبار الكثيرة صفات المؤمن الذي له درجة الشفاعة لغيره من أهل العصيان:

• عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ألا أنبئكم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ألا أنبئكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السيّئات وترك ما حرّم الله. والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يغتابه أو يدفعه دفعة**» [1].

• وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعفّى نفسه بالصيام والقيام.** قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله، هؤلاء أولياء الله؟ قال: **إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب**»[2].

• وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إن لأهل الإيمان علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء بالعهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلّة المراقبة للنساء أو قال: قلّة المواتاة للنساء** (أي الموافقة والمطاوعة) **وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الخلق، واتباع العلم وما يقرّب إلى الله زلفى، طوبى لهم وحسن مآب. ألا ففي هذا فارغبوا، إن المؤمن من نفسه في شغل والناس منه في راحة، إذا**

---

(١) الأصول من الكافي: ج ٢ ص ٢٣٥، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن وعلاماته وصفاته، الحديث: ١٩.

(٢) المصدر نفسه: ج٢ ص ٢٣٧، الحديث: ٢٥.

جنّ عليه الليل افترش وجهه وسجد لله عزّ وجلّ بمكارم بدنه يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته، ألا فهكذا كونوا»[١].

• وعن الدلهاث مولى الرضا قال: «سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: **لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه وسنّة من نبيّه وسنة من وليّه. فأما السنة من ربّه فكتمان سرّه؛ قال الله عزّ وجلّ:** ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦ ـ ٢٧) **وأما السنّة من نبيّه فمداراة الناس؛ فإن الله عزّ وجلّ أمر نبيّه صلى الله عليه وآله بمداراة الناس فقال:** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ (الأعراف: ١٩٩) **وأما السنّة من وليّه فالصبر في البأساء والضرّاء»**[٢].

• وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب والناس منه في راحة، إن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده والرفق أخوه، واللين والده»**[٣].

---

(١) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٢٣٩، الحديث: ٣٠.

(٢) الأصول من الكافي: ج ٢ ص ٢٤١، الحديث: ٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٢٣٠، الحديث: ٢.

المبحث العشرون

اللواء وحامله يوم القيامة

- الحاجة إلى اللواء
- حامل اللواء
- أوّل من يدخل الجنّة

الحاجة إلى اللواء

إنّ الأنبياء جميعاً يأتون يوم القيامة، وكلّ نبيّ يأتي مع أُمّته، وكلّ أُمّة ترجع إلى نبيّها في مسألة الشفاعة، والأنبياء جميعاً يُرجعون أُممهم إلى النبيّ اللاحق وصولاً إلى النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله .

وعندما يجمع الله تعالى الناس ليوم لا ريبَ فيه، ويحشرهم جميعاً يوم القيامة سيكون هناك أُمم متعدّدة، وطبقات مختلفة، وفيهم من أهل الجنّة ومن أهل النار، والذين هم من أهل الجنّة لهم درجات ففيهم العلماء، والشهداء، والأنبياء، والأوصياء... مضافاً إلى أنّ الجنّة ليست واحدة، وكلّ طبقة لها درجات.

وفي هذا الجوّ الحاشد لابدّ أن يكون هناك مَن يرشد أهل الجنّة ويوصلهم إلى بابها، ومن هنا تأتي أهمّية وضرورة الراية أو الرايات أو اللواء يوم القيامة.

وهذه الرايات والألوية ليست بالضرورة أن تكون كالرايات والألوية الموجودة في عالم الدُّنيا، بل هي وفق ما ينسجم مع ذلك العالم الأخروي.

واللواء غير مختصّ بأهل الجنّة، بل هناك ألوية لأهل النار أيضاً، والقرآن الكريم وإن لم يصرّح بوجود اللواء يوم القيامة لكنّه أشار وألمح إلى تحقّق هذا المعنى في اليوم الآخر. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (هود: ٩٦ ـ ٩٧).

فهؤلاء القوم بعث الله تعالى إليهم رسولاً، ولكنّهم بدلاً من أن يتّبعوا الرسول اتّبعوا فرعون، ولم يكن ذلك إلاّ بسبب عدم رشدهم ولسفاهتهم.

وهذا الاتّباع في الدُّنيا يظهر يوم القيامة ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ (هود: ٩٨). ومعنى «يقدمُ قومه» يعني أنّ له راية في المقدّمة، ويقودهم كما قادهم في الدُّنيا إلى الضلال والتيه، وكذلك يقودهم في الآخرة إلى نار جهنّم.

إذن صريح القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة، نعم لفظ الراية أو اللواء لم يرِد ذكره.

وهكذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١) حيث يكون كلّ إمام ـ حقّاً كان أو باطلاً ـ صاحب راية وصاحب لواء، فيقدم قومه أو أتباعه ليوصلهم إلى الجنّة إذا كان هو وقومه من أصحاب الحقّ، وإلى النار إذا كانوا من أهل الباطل.

وتكشف لنا بعض الروايات أنّ الرايات يوم القيامة ليست مختصّة بأهل الحقّ وإنّما كما هي موجودة لأهل الحقّ والجنّة، كذلك هي موجودة لأهل النار، ومنها:

عن مالك بن ضمرة الرواسيّ، عن أبي ذرّ، قال: «لّما أن سُيّر أبو ذرّ اجتمع هو وعليّ عليه السلام والمقداد بن الأسود، قال: «ألستم تشهدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **أُمّتي ترِد عليَّ الحوض على خمس رايات: أوّلها: راية العجل فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسودَّ وجهه، ورجفت قدماه، وخفقت أحشاؤه، ومن فعل ذلك تبعه، فأقول: ماذا خلّفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبرَ ومزّقناه، واضطهدنا الأصغر وابتززناه حقّه، فأقول: اسلكوا ذات الشمال، فيصرفون ظماءً مظمئين مسودّة وجوههم**

لا يُطعَمون منه قطرة.

ثمّ ترد عليَّ راية فرعون أُمّتي فيهم أكثر الناس وهم المبهرجون[١]، قلت: يا رسول الله وما المبهرجون؟ أبهرجوا الطريق؟ قال: لا، ولكنّهم بهرجوا دينهم، وهم الذين يغضون للدنيا ولها يرضون ولها يسخطون ولها ينصبون، فآخذ بيد صاحبهم فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه، ورجفت قدماه، وخفقت أحشاؤه، ومن فعل ذلك تبعه، فأقول: ما خلّفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر ومزّقناه وقاتلنا الأصغر وقتلناه، فأقول: اسلكوا طريق أصحابكم، فينصرفون ظماءً مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة.

ثمّ ترد عليَّ راية فلان وهو إمام خمسين ألفاً من أُمّتي، فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه ورجفت قدماه، وخفقت أحشاؤه، ومن فعل ذلك تبعه، فأقول: ما خلّفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر وعصيناه وخذلنا الأصغر وخذلنا عنه، فأقول: اسلكوا سبيل أصحابكم، فينصرفون ظماءً مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة.

ثمّ يرد عليّ المخدج برايته وهو إمام سبعين ألفاً من أُمّتي، فإذا أخذت بيده اسودّ وجهه، ورجفت قدماه، وخفقت أحشاؤه، ومَن فعل ذلك تبعه، فأقول: ماذا خلّفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: كذّبنا الأكبر وعصيناه وقاتلنا الأصغر فقتلناه، فأقول: اسلكوا سبيل أصحابكم، فينصرفون مظمئين مسودّة وجوههم لا يطعمون منه قطرة.

ثمّ يرد عليّ أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين فأقوم فآخذ بيده فيبيضّ وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: ماذا خلّفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون:

---

(١) البهرج: الباطل، والردي، والمباح، والبهرجة: أن تعدل بالشيء عن الجادّة القاصدة إلى غيرها.

اتّبعنا الأكبر وصدّقناه ووازرنا الأصغر ونصرناه وقُتلنا معه، فأقول: روّوا، فيشربون شربةً لا يظمؤون بعدها أبداً، إمامهم كالشمس الطالعة، ووجوههم كالقمر ليلة البدر، أو كانوا كأضوأ نجم في السماء، قال: ألستم تشهدون على ذلك؟ قالوا: بلى، قال: وأنا على ذلك من الشاهدين»[1].

• عن معاذ بن جبل قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **إنّ الله أعطاني في عليّ أنه متّكئي بين يديّ يوم الشفاعة، وأعطاني في عليّ لآخرتي أنّه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنّة، وأعطاني في عليّ لآخرتي أن أُعطى يوم القيامة أربعة ألوية: فلواء الحمد بيدي، وأدفع لواء التهليل لعليّ وأوجّهه في أوّل فوج وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنّة بغير حساب عليهم؛ وأدفع لواء التكبير إلى حمزة وأوجّهه في الفوج الثاني؛ وأدفع لواء التسبيح إلى جعفر وأوجّهه في الفوج الثالث؛ ثمّ أُقيم على أُمّتي حتّى أشفع لهم، ثمّ أكون أنا القائد وإبراهيم السائق حتّى أدخل أُمّتي الجنّة»**[2].

وبحسب هذه الرواية فإنّ أُمّة النبيّ الخاتم محمّد صلى الله عليه وآله فيها أكثر من راية ومن لواء.

وبحسب الروايات الأخرى فإنّ هناك راية عامّة للجميع وراء هذه الرايات جميعاً هي راية الحقّ، وهي عامّة لجميع أهل الحقّ ويجتمع تحتها الأوّلون والآخرون من جميع الأمم.

وهذه الراية سمّيت في النصوص الروائيّة بلواء الحمد، وهو لواء يستظلّ به آدم وجميع من خلق الله تعالى.

• عن مخدوج بن زيد الذهلي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٩، ج ٨ ص ١٤ ـ ١٥.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ١١، ج ٨ ص ٧.

المسلمين ثمّ قال: «يا عليّ أنت أخي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيَّ بعدي؛ أما علمت يا عليّ أنّه أوّل مَن يدعى به يوم القيامة يدعى بي، فأقوم عن يمين العرش فأكسى حلّةً خضراء من حلل الجنّة، ثمّ يُدعى بأبينا إبراهيم عليه السلام فيقوم عن يمين العرش في ظلّه فيكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة، ثمّ يدعى بالنبيّين بعضهم على أثر بعض، فيقومون سماطين عن يمين العرش في ظلّه ويكسون حللاً خضراء من حلل الجنّة، ألا وإنّي أخبرك يا عليّ أنّ أُمّتي أوّل الأمم يحاسبون يوم القيامة، ثمّ أبشّرك يا عليّ أنّ أوّل مَن يدعى يوم القيامة يدعى بك، هذا لقرابتك منّي ومنزلتك عندي، فيدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين، وإنّ آدم وجميع من خلق الله يستظلّون بظلّ لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمراء، قصبه فضّة بيضاء، زجّه[١] دُرَّةٌ خضراء، له ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة في المشرق، وذؤابة في المغرب، وذؤابة في وسط الدُّنيا، مكتوبٌ عليها ثلاثة أسطر؛ الأوّل: بسم الله الرحمن الرحيم، والآخر: الحمد لله ربّ العالمين، والثالث: لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله. طول كلّ سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش، فتكسى حلّةً حضراء من حلل الجنّة، ثمّ ينادي مناد من عند العرش: نِعْمَ الأب أبوك إبراهيم، ونِعْمَ الأخ أخوك عليّ، ألا وإنّي أُبشّرك يا عليّ أنّك تدعى إذا دعيت، وتُكسى إذا كسيت، وتحيّى إذا حيّيت»[٢].

---

(١) زجّ النصل: هو أن يكون النقر في طرف الخشبة فتترك فيها زجّاً ليمسكه ويحفظ ما في جوفه.

(٢) أمالي الصدوق: مصدر سابق، الحديث ٢٤، المجلس ٥٢ ص ٢٢٦.

حامل اللواء

الروايات التي تحدّثت عن اللواء (لواء الحمد) أشارت إلى حقيقة من حقائق يوم الحشر الأكبر، وهي في ظهور دور الملائكة الذين هم من المدبّرات أمراً، وهذا الدور للملائكة يكون غائباً عنّا في عالم الدُّنيا والشهادة، لأنّه ينبغي أن نعلم أنّ الملائكة هم وسائط الفيض بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، وفي عالم الدُّنيا لا نرى منهم أثراً، ولذا فإنّ الكثير من الحقائق المتعلِّقة بهم تكون غائبةً عنّا.

أمّا في اليوم الآخر فسينكشف لنا الكثير من الأسرار عن الملائكة، وما كان هنا غيباً، وملكوتاً، وباطناً، سوف يكون هناك شهادةً، وظاهراً، وعياناً.

ومن خلال متابعة الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام في مسألة اللواء تظهر لنا واحدة من هذه الحقائق، وهي: أنّ جبرئيل عليه السلام عندما يسلّم الراية أو اللواء ويدفعه إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يدفعه لأمير المؤمنين عليه السلام، وفي بعضها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر جبرئيل بدفع اللواء مباشرةً لأمير المؤمنين عليه السلام.

فلواء الحمد هو لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة، ولكن هذا اللواء إمّا أن يدفعه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى وصيّه وخليفته بالحقّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإمّا أنّ يأمر صلى الله عليه وآله جبرئيل بأن يدفع اللواء إلى الإمام عليّ عليه السلام، ومن هذه الروايات:

- عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**أتاني جبرئيل** عليه السلام **وهو فرح مستبشر، فقلت له: حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من**

الفرح! ما منزلة أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب عند ربّه؟ فقال جبرئيل: يا محمّد والذي بعثك بالنبوّة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلاّ لهذا، يا محمّد العليُّ الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول: محمّد نبيّ رحمتي، وعليّ مقيم حجّتي، لا أُعذّب مَن والاه وإن عصاني، ولا أرحم مَن عاداه وإن أطاعني».

قال ابن عبّاس: «ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر فيدفعه إليّ فآخذه وأدفعه إلى عليّ بن أبي طالب**. فقال رجل: يا رسول الله وكيف يطيق عليّ على حمل اللواء وقد ذكرت أنّه سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر؟! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: **يا رجل إنّه إذا كان يوم القيامة أعطى الله عليّاً من القوّة مثل قوّة جبرئيل، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أنّ داود خطيب في الجنان لأُعطي عليّ مثل صوته، وإنّ عليّاً أوّل مَن يشرب من السلسبيل والزنجبيل، وإنّ لعليّ وشيعته من الله عزّ وجلّ مقاماً يغبطه به الأوّلون والآخرون**»(١).

• عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ إنّي سألت ربّي فيك خمس خصال فأعطانيها: أحدها أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر مكتوبٌ عليه: المفلحون هم الفائزون بالجنّة**»(٢).

ولقائل أن يقول: ما هي الضرورة والسبب في أن يكون عليّ عليه السلام هو حامل اللواء! ألا يقدر الرسول صلى الله عليه وآله على حمله حتّى يدفعه

---

(١) أمالي الصدوق، مصدر سابق: الحديث ١٠، المجلس ٩٤، ص ٥٢٤.

(٢) عيون أخبار الرضا، مصدر سابق: الحديث ٦، الباب ٢٨، ص ٢٥١.

لعليّ عليه السلام ؟

نحن نعتقد بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو المنصوص عليه من قِبل الله سبحانه وتعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نصَّ عليه، بل كان النبيّ صلى الله عليه وآله مبلِّغاً للنصّ الإلهي ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

وهذا الحقّ الإلهي لأمير المؤمنين لم ينل منه عليه السلام إلاّ القدر اليسير؛ حيث مالَ الكثير من المسلمين عنه إلى غيره، وهنا جاءت الروايات لتبيّن لنا أنّ هذا الحقّ لابدّ أن يظهر يوم القيامة وذلك في الحوض، وفي حمل اللواء و...

فمبقتضى حكمة الله تعالى أن يظهر هذا الحقّ لكلّ الناس في يوم الفصل، ويظهر دور أمير المؤمنين عليه السلام في جميع هذه المواقع، وتظهر هذه الدرجات له ولجميع الأئمّة عليهم السلام.

أوّل من يدخل الجنّة

من خلال روايات اللواء وحامله تظهر لنا حقيقة أخرى وهي من يكون أوّل الداخلين إلى الجنّة وأنّه الإمام عليّ عليه السلام أم غيره؟

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**يا عليّ أنت أوّل من يدخل الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد، وهو سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر**»(١).

• عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «تذاكر أصحابنا الجنّة عند النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **إنّ أوّل أهل الجنّة دخولاً عليّ**

---

(١) عيون أخبار الرضا، مصدر سابق: الحديث ٦٣، الباب ٢٨، ج ١ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢.

بن أبي طالب، قال: فقال أبو دجانة الأنصاريّ: يا رسول الله أليس أخبرتنا أنّ الجنّة محرّمة على الأنبياء حتّى تدخلها، وعلى الأُمم حتّى تدخلها أُمّتك؟ قال: **بلى يا أبا دجانة أما علمت أنّ لله لواءً من نور عموده من ياقوت، مكتوبٌ على ذلك اللواء: لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله، وآل محمّد خير البريّة؟ وصاحب اللواء أمام القوم.** قال: فسرّ بذلك عليّ عليه السلام فقال: الحمد لله الذي أكرمنا وشرّفنا بك. قال: فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **أبشر يا عليّ ما من عبد يحبّك وينتحل مودّتك إلاّ بعثه الله يوم القيامة معنا؛** ثمّ قرأ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ** ﴾ (القمر: ٥٤ ـ ٥٥)»[١].

• عن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «**قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أوّل مَن يدخل الجنّة؛ فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك؟ قال: نعم، لأنّك صاحب لوائي في الآخرة، كما أنّك صاحب لوائي في الدُّنيا، وصاحب اللواء هو المتقدِّم. ثمّ قال صلى الله عليه وآله: يا عليّ كأنّي بك وقد دخلت الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه**»[٢].

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٨، ج ٨ ص ٥ ـ ٦.

(٢) **علل الشرائع**، مصدر سابق: الحديث ١، الباب ١٣٧، ص ١٧٢ـ ١٧٣.

المبحث الواحد العشرون

نهر وحوض الكوثر يوم القيامة

- ما هو الكوثر؟
- حوض الكوثر
- خصائص حوض الكوثر
- الاختلاف بين الحوض والنهر
- المشتركات بين النهر والحوض
- اختصاص الحوض بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله
- صاحب الحوض
- فائدة الشرب من الحوض

ما هو الكوثر؟

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الكوثر: ١)، وهذه الآية تشتمل على ثلاث مفردات، وهي: (إنّا) و (أعطيناك) و (الكوثر).

وفي أبحاث متعدّدة وسابقة ذكرنا بأنّ أفعال الله سبحانه وتعالى التي يفعلها ويوجدها، على نحوين؛ فتارةً: يكون بلا واسطة، وأخرى يكون مع الواسطة، والخالق والموجد والمعطي والمانع هو الله سبحانه وتعالى، وهو الخالق لكلّ شيء.

على سبيل المثال: إنّ الذي يرفع العطش هو الله تعالى، وهو الذي يتوفّى الأنفس، وهو الذي يُحيي، ولكنّ التوفّي تارةً يكون بالمباشرة ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾ (الزمر: ٤٢) ، وأخرى يكون مع الواسطة ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦١) ، ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ (السجدة: ١١).

والله تعالى عندما يستعمل لفظة (إنّا) فهذا إشارة إلى أنّ هذا الفعل يقع مع الواسطة، أمّا عندما يستعمل لفظة (إنّي) فهذا يعني أنّ الفعل وقع بلا واسطة، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (القدر: ١) فنزول القرآن الكريم كان بتوسّط جبرئيل؛ قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٣ـ ١٩٤) وقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

وأمّا في سورة البقرة فيقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ (البقرة: ٣٠) أي أنّ هذا الخليفة هو خليفة الله تعالى بلا واسطة، ولذا نجد أنّ القرآن الكريم يقول بشكل واضح: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة:

٣١) لأنّ المعلِّم هو الله تعالى، والمتعلَّم هو آدم، ثمّ قال: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ (البقرة: ٣٣) وهنا صار آدم واسطة للتعليم، أو لإنباء الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ فإنّه تعالى لم يقل «آتيناك الكوثر» لأنّ لفظ الإعطاء ظاهر في التمليك، والسبب فيه ـ كما قال الرازي في تفسيره ـ أمران:

«الأوّل: أنّ الإيتاء يحتمل أن يكون واجباً وأن يكون تفضّلاً، وأمّا الإعطاء فإنّه بالتفضّل أشبه؛ فقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ يعني: إنّ هذه الخيرات الكثيرة محض التفضّل منّا إليك وليس منه شيء على سبيل الاستحقاق والوجوب. فلمّا دلّ قوله ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ ﴾ على أنّه تفضّل لا استحقاق، أشعر ذلك بالدوام والتزايد أبداً، فإن قيل: أليس قال: ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ﴾؟ قلنا: الجواب من وجهين:

الأوّل: إنّ الإعطاء يوجب التمليك، والملك سبب الاختصاص، والدليل عليه أنّه لمّا قال سليمان ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا ﴾ (ص: ٣٥) فقال: ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ (ص: ٣٩) ولهذا السبب من حمل الكوثر على الحوض قال: الأمّة تكون أضيافاً له، أمّا الإيتاء فإنّه لا يفيد الملك، فلهذا قال في القرآن: ﴿ءَاتَيۡنَٰكَ ﴾ فإنّه لا يجوز للنبيّ أن يكتم شيئاً منه...»[1].

ولأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله في مقام الملكيّة، والملكيّة سبب للاختصاص، ستكون الأمّة أضيافاً على رسول الله صلى الله عليه وآله في حوض الكوثر.

وأمّا قوله: ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ ففي اللغة يعني الخير الكثير، وهذا ما اتّفق عليه كلام المفسّرين.

---

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، مصدر سابق، ج ٣٢، ص ٣١٢.

ولكن الخير الكثير ما هي مصاديقه في الدُّنيا وفي الآخرة؟

على مستوى الدُّنيا مصاديق الخير الكثير يشير إليها الرازي بحوالي عشرين مصداقاً، ومنها: علماء أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، والنبوّة، والقرآن، وأولاده، والإسلام، والفضائل الكثيرة التي فيه صلى الله عليه وآله، ورفعة الذِّكر...

وذكر المجلسي في البحار هذه الأقوال، وممّا قاله: «وقيل: الكوثر: الخير الكثير؛ عن ابن عبّاس وابن جبير ومجاهد، وقيل: هو النبوّة والكتاب، عن عكرمة. وقيل: القرآن، عن الحسن. وقيل: هو كثرة الأصحاب والأشياع؛ عن أبي بكر بن عيّاش. وقيل: هو كثرة النسل والذرّية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتّى لا يحصى عددهم واتّصل إلى يوم القيامة مددهم...»[1].

وعندما يذكر الرازي معاني الكوثر يقف مطوّلاً عند تفسيره بالخير الكثير، فيقول: «والقول الثالث: الكوثر: أولاده؛ قالوا لأنّ هذه السورة نزلت ردّاً على مَن عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثمّ العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أُميّة في الدُّنيا أحدٌ يعبأ به، ثمّ انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام...»[2].

فالرازي ملتفت إلى أنّ المراد من أهل البيت ليس مطلق من ينتسب نسباً إلى أهل البيت، وإنّما المراد طبقة مخصوصة وأشخاص معيّنون هم الذين ينتسبون إلى أهل البيت، ويصدق عليهم أنّهم أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٧.

(٢) **التفسير الكبير**، مصدر سابق: ج ٣٢، ص ٣١٣

هذا في ما يتعلّق بمصاديق الكوثر في الدُّنيا، وكلّ الكلام والمسألة الأساسيّة في بحثنا هو في مصاديق الكوثر يوم القيامة.

الكوثر نهر في الجنّة

ولعلّ من المسائل التي اتّفق علهيا الفريقان هو تحديد المراد من الكوثر يوم القيامة حيث نجد في ألفاظ الحديث الوارد عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عند أتباع أهل البيت عليهم السلام وعند غيرهم أنّ المشهور والمستفيض عند السلف والخلف أنّ المراد من الكوثر هو نهرٌ في الجنّة.

قال الرازي في تفسيره: «واختلف فيه ـ في الكوثر ـ على وجوه (الأوّل) وهو المشهور المستفيض عند السلف والخلف أنّه نهرٌ في الجنّة، روى أنس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: **رأيت نهراً في الجنّة حافّتاه قباب اللؤلؤ المجوّف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر، فقلت ما هذا؟ قيل الكوثر الذي أعطاك الله**. وفي رواية أنس: **أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت مَن أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان**. ولعلّه إنّما سمّي بذلك النهر كوثراً إمّا لأنّه أكثر أنهار الجنّة ماءً وخيراً أو لأنّه انفجر منه أنهار الجنّة..»[1].

وهكذا في الروايات الواردة من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد ورد فيها هذا المضمون، ومنها:

• عن عبد الله بن عبّاس قال: «لمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: **نهرٌ أكرمني الله به**، قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف فانعته لنا

---

(١) التفسير الكبير، مصدر سابق: المجلّد ١٦: ٣٢ ص ١٢٤.

يا رسول الله، قال: **نعم يا عليّ، الكوثر نهرٌ يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، وحصاه (حصباؤه) الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ**، ثمّ ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده في جنب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي**»[1].

• وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال: «**نهرٌ في الجنّة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، شاطئاه من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، خصّ الله به نبيّه وأهل بيته عليهم السلام دون الأنبياء**»[2].

وفي الروايات المتقدِّمة وغيرها إشارة إلى اختصاص النبيّ وأهل بيته بالكوثر، وهذا من المقامات والدرجات الخاصّة بهم يوم القيامة.

• عن أنس بن مالك قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **لمّا أُسري بي إلى السماء السابعة قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد أمامك ـ وأراني الكوثر ـ وقال: يا محمّد هذا الكوثر لك دون النبيِّين، فرأيت عليه قصوراً كثيرة من اللؤلؤ والياقوت والدرّ، وقال: يا محمّد هذه مساكنك ومساكن وزيرك ووصيّك عليّ بن أبي طالب وذريّته الأبرار، قال: فضربت بيدي إلى بلاطه فشممته فإذا هو مسك، وإذا أنا بالقصور لبنة ذهب ولبنة فضّة**»[3].

---

(١) أمالي المفيد، مصدر سابق: الحديث ٥، المجلس ٣٥، ص ٢٩٤.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: الحديث ٢٤، ج ٨ ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٢٦ج ٨ ص ٢٦.

والملاحظ أنّ روايات الكوثر والحوض أنّها بمعظمها منقولة عن الرسول الأكرم والناقل لها هم أصحابه صلى الله عليه وآله .

• عن أنس قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **قد أُعطيت الكوثر**، فقلت: يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: **نهرٌ في الجنّة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب أحدٌ منه فيظمأ، ولا يتوضّأ أحدٌ منه فيشعث**[١]، **لا يشربه إنسان أخفر**[٢] **ذمّتي وقتل أهل بيتي**»[٣].

وفي هذه الروايات مجموعة من الخصائص والحقائق نشير إليها، وهي:

أوّلاً: إنّ الكوثر نهرٌ في داخل الجنّة؛ لأنّه في بعضها تصريح بأنّه نهرٌ في الجنّة، وفي بعضها الآخر بأنّه: (قصورك وقصور وزيرك وذرّيته على حافّتي النهر) وغير ذلك من الخصوصيّات.

وفي هذا إشارة إلى الاختلاف بين حوض الكوثر ونهر الكوثر كما سيأتي.

ثانياً: إنّ هذا النهر من مختصّات النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ثالثاً: إنّ هذه النعوت التي ذُكرت في الروايات للكوثر: (ألين من الزبد، حصباؤه الزبرجد والياقوت والمرجان...) إنّما هي من باب التشبيه والتمثيل، لأنّ هذه الأُمور تختلف ما بين عالم الدُّنيا والآخرة.

---

(١) الشَّعث: المغبر الرأس، وتشعّثَ: تلبّد شعره واغبرّ.

(٢) الخَفَارة: الذمّة، وانتهاكها إخفار. ويُقال: خفرت ذمَّةُ فلان خفوراً، إذا لم يُوفَ بها ولم تَتِمَّ.

(٣) **بحار الأنوار**: الحديث ٢٠، ج ٨ ص ٢٤.

حوض الكوثر

في مقابل الروايات المتقدِّمة والتي عبّرت عن الكوثر بأنّه نهرٌ في الجنّة نجد طائفة كبيرة من الروايات تحدّثت وذكرت الكوثر على أنّه «حوض» ومنها:

- عن أبي الورد قال: «سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام يقول: **إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً، وتشتدّ أنفاسهم فيمكثون كذلك ما شاء الله، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسًا﴾** قال : **ثم ينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيّ الأمّي؟** قال: **فيقول الناس قد أسمعت كلّاً فسمّه باسمه،** قال: **فينادي: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبد الله؟** قال: **فيقوم رسول الله صلى الله عليه وآله فيتقدّم أمام الناس كلّهم حتى ينتهي إلى حوض طوله مابين إبلة وصنعاء، فيقف عليه ثمّ ينادي بصاحبكم، فيقوم أمام الناس فيقف معه، ثمّ يؤذن للناس فيمرّون.**

قال أبو جعفر عليه السلام: **فبين وارد يومئذ وبين مصروف. فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يُصرف عنه من محبّينا أهل البيت بكى، وقال: يا ربّ شيعة عليّ ، يا ربّ شيعة عليّ ...** »[1].

فالحوض هو غير نهر الكوثر لأنّه بحسب هذه الرواية له خصوصيّات، منها:

أوّلاً: أنّه في المحشر.

ثانياً: أنّ الناس بإزائه ينقسمون إلى صنفين وقسمين، بعضهم يُعطى

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الحديث ١، كتاب العدل والمعاد، الباب ٢٠، ج ٨ ص ١٧.

وبعضهم يُمنع.

وفي رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سُئل عن الحوض لا عن الكوثر، وهي:

• عن أبي أيّوب الأنصاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن الحوض فقال: «**أمّا إذا سألتموني عنه فسأخبركم: إنّ الحوض أكرمني الله به وفضّلني على مَن كان قبلي من الأنبياء وهو ما بين أيلة وصنعاء، فيه من الآنية عدد نجوم السماء، يسيل فيه خليجان من الماء، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرّد والياقوت، بطحاؤه مسكٌ أذفر، شرط مشروط من ربّي لا يردهُ أحدٌ من أُمّتي إلاّ التقيّةُ قلوبهم، الصحيحة نيّاتهم، المسلِّمون لوصيّي من بعدي، الذين يعطون ما عليهم في يُسر ولا يأخذون ما عليهم في عسر، يذود عنه يوم القيامة من ليس من شيعته كما يذود الرجل البعير الأجرب عن إبله، مَن شرب منه لم يظمأ أبداً**»[1].

والتأمّل في الرواية يفيد أنّ الحوض فيه من الآنية عدد...، وفي روايات الكوثر (كانت توجد على حافّتي النهر آنية، وأنّ الحوض معدّ للشرب، أمّا الكوثر فهو ليس للشرب، وأيضاً الحوض لا يرده من أمّتي إلاّ التقيّة قلوبهم، فلو كان الحوض في الجنّة لما ذكر هذا القيد؛ لأنّه في الجنّة قلوبهم جميعاً تقيّة).

وأيضاً: أنّ الحوض لا يشرب منه جميع الناس، بل هم ما بين وارد ومصروف.

• عن حمزة بن أبي سعيد الخدريّ، عن أبيه قال: «سمعت رسول الله

---

(١) أمالي الطوسي: الحديث ٨ ص ٢٣٢.

صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: **ما بال أقوام يقولون: إنّ رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشفع (لا ينفع) يوم القيامة؟ بلى بلى والله إنّ رحمي لموصولة في الدُّنيا والآخرة، وإنّي أيّها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أمّا النسب فقد عرفته، ولكنّكم أخذتم بعدي ذات الشمال وارتددتم على أعقابكم القهقرى»**[١].

• عن أبي جعفر عليه السلام قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾: «**قال النبيّ صلى الله عليه وآله: تُحشر أُمّتي يوم القيامة حتّى يردوا عليَّ الحوض فترد راية إمام المتّقين وسيّد المسلمين وأمير المؤمنين وخير الوصيّين وقائد الغرّ المحجّلين وهو عليّ بن أبي طالب، فأقول: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتّبعنا وصدّقنا وأطعنا، وأمّا الأصغر فأحببنا ووالينا حتّى هرقت دماؤنا، فأقول: روُّوا رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم الحوض؛ وهو تفسير الآية»**[٢].

وانقسام الناس من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى الشرب من الحوض إلى قسمين ورد في روايات الفريقين، وليس ذلك من مختصّات روايات الشيعة فقط، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري نشير إلى ثلاث منها:

• **الرواية الأولى:** عن أبي وائل قال عبد الله: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: **أنا فرطكم على الحوض ليرفعنّ إليَّ رجالٌ منكم حتّى إذا أهويتُ لأناولهم ماء الحوض، اختلجوا دوني، فأقول ربّي أصحابي، يقول: ما تدري ما أحدثوا**

---

(١) المصدر نفسه: الحديث ٦، ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٢٤ الحديث ١٨.

بعدك».

• **الرواية الثانية:** عن أبي حازم قال: «سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: **أنا فرطكم على الحوض فمَن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني ثمّ يُحال بيني وبينهم**. قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عيّاش وأنا أُحدّثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، ليس هذا القدر ـ أي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله زيادة عن ذلك ـ قال: **إنّهم منّي، فيُقال: إنّك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لَمن بدّل بعدي**».

• **الرواية الثالثة:** عن ابن أبي مليكة قال: «قالت أسماء عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **أنا على حوض أنتظر مَن يرِد عليَّ فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أُمّتي، فيُقال: لا تدري مشوا القهقراء**».(١)

المستفاد من هذه النصوص حقائق هي:

الأولى: إنّ الحوض لا يشرب منه جميع أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، ومن لم يشرب من الحوض لا يتأهّل للدخول إلى الجنّة التي هي دار الطهر والطهارة.

الثانية: إنّ القول بأنّ جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله هم من العدول يتنافى مع روايات البخاري التي تنصّ على وجود فئة يقول عنهم الرسول صلى الله عليه وآله **بأنّهم** (أصحابي) **لا يرِدون الحوض ويُبعدون عنه**،

---

(١) **صحيح البخاري**، الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، المتوفي ٢٥٦ هـ، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾، الباب ٩٢، الأحاديث: ٧٠٤٨، ٧٠٤٩، ٧٠٥٠، ص ١٣٤٩.

وروايات البخاري هي حجّة على أصحاب هذا الاعتقاد، خصوصاً مع قولهم بأنّه أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى.

خصائص حوض الكوثر

في ضوء الروايات المتقدِّمة يمكن أن نستكشف مجموعة من الخصوصيّات لحوض الكوثر كالتالي:

أوّلاً: إنّه حوض وليس بنهر، ومن الواضح أنّ النهر شيء، والحوض شيءٌ آخر مختلف عن النهر، ولذا وقع المفسِّرون في حيرة وتخبّط كما حصل مع الفخر الرازي.

ثانياً: إنّ الناس ـ أي أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ـ ينقسمون إلى قسمين بإزاء الشرب من الحوض، وهم ما بين وارد وبين مصروف، بين من يُجاز له أن يشرب وبين من يُمنع ويُطرد عن الحوض.

ثالثاً: إنّه توجد على الحوض أوانٍ كثيرة بعدد نجوم السماء، وهذه الخصوصيّة لا نجدها في الروايات الواردة في نهر الكوثر.

رابعاً: وهي مبنيّة على الخصوصيّات السابقة؛ حيث نستفيد منها أنّ الحوض خارج الجنّة، وإلاّ لا معنى لأن يكون الناس بإزائه ما بين وارد وبين مصروف، ولو كان داخل الجنّة لما كان معنى لصرف الناس عنه.

الاختلاف بين الحوض والنهر

ذكرنا أنّ الحوض شيء والنهر شيءٌ آخر، فما هو الدليل على ذلك؟

نقول: بأنّ هناك مجموعة من الشواهد تؤيِّد وجود الاختلاف بينهما، وهي:

الشاهد الأوّل: التعبير في الروايات تارةً بالنهر وتارةً أخرى بالحوض.

الشاهد الثاني: أنّ الروايات بيّنت أنّ النهر يجري من تحت ساق العرش في الجنّة، وهذا التوصيف لم يرِد في روايات الحوض.

الشاهد الثالث: الروايات عبّرت عن أنّ الحوض عليه أوانٍ بعدد نجوم السماء، ومعنى ذلك أنّ الحوض معدّ للاستفادة منه، وللشرب منه، وهذا بخلاف حال النهر حيث لم يرِد فيه هذا التوصيف.

الشاهد الرابع: ذكرت الروايات بأنّه يوجد على طرفي النهر بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهذا التوصيف لم يرِد في الحوض.

الشاهد الخامس، وهو من أهمّ الشواهد التي تثبت لنا أنّ الحوض شيء آخر غير النهر، وهو: انقسام الناس بإزاء الحوض إلى قسمين؛ بعضهم يشرب منه، وبعضهم يُحرم منه.

المشتركات بين النهر والحوض

كما أنّ هنا اختلافاً بين الحوض والكوثر، كذلك هناك مشتركات بينهما، وهذه ما ذكرته الروايات التي بيّنت جهة الاشتراك بينهما ومنها ما ورد حول أنّ الحوض كرامة من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله، وأنّ النهر أيضاً كرامة من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله، ومن هذه الروايات التي ذكرت هذا المعنى:

- عن عبد الله بن عبّاس قال: «لمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَـٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: **نهرٌ أكرمني الله به**..»[1].

(١) أمالي المفيد، الشيخ المفيد، مؤسّسة الأعلمي، بيروت : الحديث ٥، المجلس ٣٥، ص ٢٩٤.

• عن أبي أيّوب الأنصاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن الحوض، فقال: «**أمّا إذا سألتموني عنه فسأخبركم: إنّ الحوض أكرمني الله به وفضّلني على مَن كان قبلي من الأنبياء...**»(١).

ومن المشتركات أيضاً بينهما أنّ النعوت والصِّفات التي ذُكرت للماء الجاري في النهر، وللماء الموجود في الحوض هي صفات واحدة، ومن هذه الروايات:

• حديث ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في صفة نهر الكوثر أنّه قال: «**الكوثر نهرٌ يجري تحت عرش الله، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد..**»(٢).

ونفس هذا التعبير والألفاظ وردت في صفات الحوض وذلك في:

• حديث أبي أيّوب الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله عند سؤاله عن الحوض، قال: «**ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرُّد والياقوت..**»(٣).

وإلى هنا ننتهي إلى القول بأنّه يوجد جهة تغاير بين النهر وبين الحوض، ومن جهة أُخرى هناك جهات اشتراك في بعض الصِّفات ومنها أنّ الماء الجاري في النهر والحوض ماءٌ واحد.

اختصاص الحوض بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله

وقع خلافٌ كبير بين علماء التفسير وكذلك علماء الكلام في هذه

---

(١) **أمالي الطوسي**، مصدر سابق: الحديث ٨ ص ٢٣٢.

(٢) **بحار الأنوار**: الحديث ٢، ج ٨ ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ١٤، ج ٨ ص ٢١.

القضيّة، فذهب البعض إلى القول باختصاص الحوض بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وذهب البعض الآخر إلى خلاف هذا الرأي وعلى القول بأنّه غير مختصّ بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فأُمم الأنبياء عليهم السلام من أين يشربون؟ وما هو حالهم عند ذلك الموقف؟

أشارت بعض الروايات إلى أنّه لابدّ من وجود حوض على باب الجنّة وقبل الدخول إليها لكلّ نبيّ من الأنبياء.

وبتعبير آخر فإنّ لكلّ نبيّ حوضاً يختصّ به، وهذه الروايات غير موجودة لدى الشيعة، نعم هي واردة عن طرق علماء أهل السنّة ومنها ما أورده المناوي في فيض القدير، قال: «**إنّ لكلّ نبيّ حوضاً وإنّهم** (أي الأنبياء) **يتباهون أيّهم أكثر** (أُمّة) **واردة** (على الحوض) **وإنّي أرجو أن أكون أكثرهم واردةً**».

قال المناوي: «قال القرطبي وقال البكري المعروف بابن الواسطي: لكلّ نبيّ حوض إلاّ صالحاً فإنّ حوضه ضرع ناقته... وهذا الحديث صريح في أنّ الحوض ليس من الخصائص المحمّديّة...»[1].

وعلى فرض قبول هذه الرواية، فأين هو منشأ أحواض الأنبياء؟ أهو نهر الكوثر أيضاً، أم أنهار أخرى ؟

نقول: هذا الأمر من الأمور المسكوت عنه، ولكن لعلّ منشأها ـ والله العالم ـ نهر الكوثر أيضاً.

بعبارة أخرى: إنّ نهر الكوثر عندما يبدأ من ساق العرش يأخذ بالتشعّب فتكون له شعب متعدّدة، وكلّ شعبة من هذه الشعب تصبّ في

---

(١) **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المناوي، تصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م: ج ٢ ص ٦٥٥.

مصبّ خارج الجنّة التي تدخل منها تلك الأمّة، ولذا سمّي كوثراً لأنّه هو الخير الكثير.

صاحب الحوض

إنّ الكثير من المواقع والمناصب التي كانت لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الدُّنيا والتي لم تسمح له الظروف بأن يضطلع بها، تأخذ موقعها الطبيعي يوم القيامة. ومن هذه المواقع: الصراط والأعراف واللواء.

كذلك الحال في حوض الكوثر الذي وإن كان في واقعه كرامة من الله لنبيّه الكريم محمّد صلى الله عليه وآله، ولكنّنا نجد في الكثير من الروايات أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكّد لعليّ عليه السلام بأنّه شريكٌ معه في هذه الكرامة، ومن هذه الروايات:

- عن الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدُّنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي، مَن أحبّك أحبّني، ومَن أبغضك أبغضني**»(١).

- وعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن أراد أن يتخلّص من هول يوم القيامة فليتولَّ وليّي، وليتّبع وصيّي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب، فإنّه صاحب حوضي، يذود عنه أعداءه، يسقي أوليائه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشاناً ولم يروَ أبداً، ومَن سقي منه شربةً لم يشقَ ولم يظمأ أبداً**»(٢).

---

(١) أمالي الصدوق، مصدر سابق: الحديث ١١، المجلس ١٤ ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٦، المجلس ٤٧ ص ٢٣٠.

• وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا مع رسول الله ومعي عترته على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا، فإنّ لكلّ أهل بيت نجيب ولنا شفاعة، ولأهل مودّتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنّا نذود عنه أعداءنا...**»(١).

• عن ابن عبّاس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنا سيّد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيِّين والمرسلين، وذرّيتي أفضل ذرّيات النبيّين والمرسلين، وأصحابي الذين سلكوا منهاجي أفضل أصحاب النبيّين والمرسلين، وابنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين، والطاهرات من أزواجي أُمّهات المؤمنين، وأُمّتي خير أُمّة أُخرجت للناس، وأنا أكثر النبيِّين تبعاً يوم القيامة، ولي حوضٌ عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وخليفتي على الحوض يومئذ خليفتي في الدُّنيا.**

فقيل: ومَن ذاك يا رسول الله؟

قال: **إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي عليّ بن أبي طالب، يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه، كما يذود أحدكم الغريبة من الإبل عن الماء.**

ثمّ قال عليه السلام: **مَن أحبّ عليّاً وأطاعه في دار الدُّنيا، ورد عليَّ الحوض غداً، وكان معي في درجتي في الجنّة، ومَن أبغض عليّاً في دار الدُّنيا وعصاه لم أرَه ولم يرني يوم القيامة، واختلج دوني وأُخذ به ذات الشمال إلى النار**»(٢).

---

(١) **الخصال**، مصدر سابق: الحديث ١٠، الباب ٢٦، ص ٦٢٤.

(٢) **أمالي الصدوق**، مصدر سابق: الحديث ١٢، المجلس ٤٩ ص ٢٤٥.

فالحوض إذن وإن كان كرامةً من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله، إلاّ أنّ الروايات بيّنت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كما كان له خليفة في الدُّنيا، كذلك يوجد لديه خليفة على الحوض، وهو الساقي لمن يستحقّ أن يشرب منه.

وكلامنا كلّه يجري بناءً على أنّ الحوض مختصّ بأُمّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّ الأنبياء السابقين ليس لديهم حوض مستقلّ.

وفي ما يتعلّق بأُمّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله فإنّ الروايات ذكرت قاعدة عامّة في الشرب من الحوض وهي: «**أنّ الناس بين وارد ومصروف**»، والضابطة العامّة لشرب الناس من الحوض هي أنّه يوجد أربع طبقات:

الطبقة الأولى: هم الذين لا يرِدون الحوض ويُمنعون من الشرب منه، ويُصرفون عنه، وهم الذين أنكروا ولاية عليّ عليه السلام، وجحدوا بها وقد استيقنتها أنفسهم، وناصبوا العداء له ولأهل بيته عليهم السلام.

الطبقة الثانية: الذين يرِدون الحوض ويشربون منه شربةً لا يظمأون بعدها أبداً؛ وهم الذين والوا عليّاً عليه السلام وكانوا من أتباعه، والمعتقدين بإمامته ووصايته وخلافته، وهو اعتقاد أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهؤلاء تختلف درجاتهم.

الطبقة الثالثة: المحبّون لعليّ عليه السلام وأهل بيته، ولكنّهم كانوا قاصرين، وهم المستضعفون الذين لو بُيِّن لهم الحقّ لقبلوا به، إلاّ أنّه في الواقع لم يُبيَّن لهم الحقّ، ولم يصل إليهم، وليسوا من أهل الجحود والإنكار، ولا النصب والعداء والعناد لأهل البيت عليهم السلام.

فهؤلاء يرِدون الحوض ويشربون منه.

الطبقة الرابعة: هم الذين يرِدون الحوض ولكنّهم لا يشربون منه.

وهذه التصنيفات ورد ذكرها في الكثير من الروايات، ومنها:

• عن عليّ عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «**ترد شيعتك يوم القيامة رواءً غير عطاش، ويرِد عدوّك عطاشاً يستسقون فلا يُسقون**»[١].

• عن عليّ عليه السلام في رواية طويلة يقول فيها: «... **حدّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّي أرِد أنا وشيعتي الحوض رواءاً مرويّين مبيضّة وجوههم، ويرد عدوّنا ظماءً مظمئين مسودّة وجوههم، خذها إليك قصيرة من طويلة، أنت مع مَن أحببت، ذلك ما اكتسبت، أو سلني يا أخا همدان..**»[٢].

هذا بالإضافة إلى الروايات المتقدّمة في هذا البحث والتي ورد فيها الضابطة العامّة للشرب من حوض الكوثر.

فائدة الشرب من الحوض

إنّ الجنّة دار الطهر ودار الطهارة ودار القدس، ولا يمكن أن يدخلها إلاّ الطاهر والمطهّر.

وإذا أراد الإنسان أن يدخل الجنّة وفيه شيء من الكدورات فإنّ هذا الشراب الطهور من حوض الكوثر والذي يسقيه الله تعالى لبعض الناس بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ وأهل بيته عليهم السلام يهيّئهم للدخول إلى الجنّة بأعلى درجات الطهر والطهارة.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق: الحديث ٢٣٨، الباب ٣١، ج ٢ ص ٦٦.

(٢) أمالي المفيد، مصدر سابق: الحديث ٤، المجلس ٤٠ ص ٣٣٨.

المبحث الثاني والعشرون

- هل الجنة والنار مخلوقتان؟
- القرآن وخلق الجنّة والنار
- شواهد روائيّة
- الدنيا مزرعة الآخرة

هل الجنة والنار مخلوقتان؟

قال السيد عبد الله شبّر في بيان حقيقة الجنّة والنار: «وحقيقتهما يجب الإيمان بالجنّة والنار الجسمانيتين على نحو ما تكاثرت به الآيات المتضافرة والأخبار المتواترة، وذلك من ضروريات الدين، لم يخالف فيه أحد من المسلمين، ومن أنكر وجودهما مطلقاً كالملاحدة أو أوَّلهما بما يأتي كالفلاسفة، فلا ريب في كفره».[1]

وقال المجلسي في البحار: «اعلم أنّ الإيمان بالجنة والنار ـ على ما وردتا في الآيات والأخبار من غير تأويل ـ من ضروريات الدين، ومنكرهما أو مؤوّلها بما أوّلته به الفلاسفة خارج من الدين».[2]

إذن لا ريب في اتّفاق جميع المسلمين على الإيمان بوجود الجنّة والنار، وكون هذا الإيمان من ضروريّات الدِّين.

إنّما وقع الكلام في كونهما مخلوقتين الآن أم أنّهما ستُخلقان؟ هذا ما وقع فيه الخلاف بين العلماء من مختلف المذاهب والمشارب.

هذه المسألة من المسائل التي طرحها الفكر الكلامي بمختلف مدارسه واتّجاهاته. وهي من قبيل الكثير من المسائل التي وقع الخلاف فيها، كالاختلاف في أنّ القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ أو أنّ مرتكب الكبيرة كافر

---

(١) حقّ اليقين: ج ٢ ص ١٤٥.

(٢) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: كتاب العدل والمعاد، باب الجنّة ونعيمها: ج ٨ ص ٢٠٥.

أم لا ؟

وحول كون الجنّة والنار مخلوقتين الآن «فقد ذهب إليه جمهور المسلمين إلاّ شرذمة من المعتزلة كابن هاشم والقاضي عبد الجبّار ومن يحذو حذوهما فإنّهم قالوا سيخلقان في القيامة، والآيات المتكاثرة والأخبار المتواترة دافعة لقولهم ولم يذهب إلى هذا القول السخيف من الفرقة المحقّة أحد، وربّما نسب إلى السيّد الرضيّ رحمه الله ذلك وهو بعيد عن جلالة شأنه وعظم قدره».(١)

وقد طرح العلماء والمحقّقون في مختلف الاتّجاهات من الأشاعرة والمعتزلة والفلاسفة والعرفاء هذه المسألة وعنونوها ووقفوا عندها وبحثوا فيها مطوّلاً.

فقد ذهبت المعتزلة باستثناء أبي علي الجبائي، والخوارج وطائفة من الزيديّة، إلى القول بأنّ الجنّة والنار غير مخلوقتين.

وذهبت مدرسة أهل البيت والأشاعرة إلى القول بأنّهما مخلوقتان.

• قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الجنّة والنار أنّهما مخلوقتان، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار حين عُرج به، واعتقادنا أنّه لا يخرج أحد من الدُّنيا حتّى يرى مكانه من الجنّة أو من النار، وأنّ المؤمن لا يخرج من الدُّنيا حتّى تُرفع له الدُّنيا كأحسن ما رآها ويرفع مكانه في الآخرة ثمّ يُخيّر فيختار الآخرة، فحينئذ يقبض روحه، وفي العادة يُقال فلان يجود بنفسه ولا يجود الإنسان بشيء إلاّ عن طيبة نفس غير مقهور ولا مجبور ولا مكروه، وأمّا جنّة آدم فهي جنّة من جنان الدُّنيا تطلع الشمس فيها وتغيب وليست بجنّة الخُلد، ولو كانت جنّة الخُلد ما خرج منها أبداً»(٢).

---

(١) **حقّ اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٤٧، و**بحار الأنوار**: ج ٨ ص ٢٠٥.

(٢) **رسالة اعتقادات الصدوق**، مصدر سابق: ص ٨٩ ـ ٩٠.

• وقال صدر الدِّين الشيرازي: «اعلم أنّ الآخريّة والثانويّة إنّما هي بالقياس إلى حدوثنا وإلاّ فتلك النشأة هي في نفسها أقدم وأسبق لأنّها ما قبل الطبيعة في ترتيب الوجود ذاتاً وشرفاً، وما بعد الطبيعة نظراً إلى حدوثنا واستكمالاتنا؛ فهذا أيضاً يدلّ على أنّ الدار الآخرة موجودة بالفعل، وأنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن ؛ دلّت عليه الآيات والأحاديث الكثيرة»(١).

• قال الشيخ المفيد: «إنّ الجنّة والنار في هذا الوقت مخلوقتان وبذلك جاءت الأخبار، وعليه إجماع أهل الشرع والآثار»(٢).

• وقال التفتازاني شارح المقاصد: «جمهور المسلمين على أنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي هاشم والقاضي عبد الجبّار، ومن يجري مجراهما من المعتزلة حيث زعموا أنّهما إنّما يُخلَقان يوم الجزاء»(٣).

أمّا الشيعة الإماميّة فكما ذكرنا فإنّهم أجمعوا على أنّهما مخلوقتان باستثناء ما يظهر من كلام السيّد الرضي بأنّهما غير مخلوقتين الآن حيث يقول: «والصحيح أنّهما تُخلقان بعد»(٤).

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة**، مصدر سابق: ج ٩ ص ١٦٢.

(٢) **أوائل المقالات**، الإمام الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ)، تحقيق إبراهيم الأنصاري، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م : ص ١٠٢.

(٣) **شرح المقاصد**، الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدِّين التفتازاني، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، منشورات الشريف الرضي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م : ج ٢ ص ٢١٨.

(٤) **حقائق التأويل في متشابه التنزيل**، السيد الشريف الرضيّ (ت:٤٠٦هـ)، شرح وتحقيق: محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان: ص ٢٤٥.

القرآن وخلق الجنّة والنار

دلّت الآيات القرآنيّة على أنّ الجنّة والنار مخلوقتان، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۞ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ۞ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ (ق: ١٩ـ٢٢).

ومسألة السائق والشهيد هي من مختصّات الحشر الأكبر لا من خصائص البرزخ، ومحلّ الشاهد في الآية في قوله: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ ...﴾ حيث بدأت بلام القسم المفيد للتأكيد، ثمّ بـ «قد» التي تفيد التحقيق إذا كانت داخلة على الفعل الماضي، وقوله تعالى: ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ يشير إلى نار جهنّم يوم القيامة، والمخاطِب هو الله تعالى، والمخاطَب هو الإنسان.

ولا يصحّ أن يُقال لأحد أنّك كنت غافلاً عن شيء إلاّ إذا كان هذا الشيء موجوداً وهو غافل عنه، وصريح الآية التعبير بالغفلة، والغفلة لا معنى لها لغويّاً إلاّ إذا كان هناك شيء موجود والإنسان غافل عنه غير ملتفت إليه .

ومفاد ذلك كلّه أنّ النار موجودة ولكنّ الإنسان كان غافلاً عنها في الدُّنيا وقد التفت إليها في الآخرة، وسبب الغفلة عنها في الدُّنيا لكون الإنسان لم يكن يملك البصر في الدُّنيا كالذي يملكه في الآخرة.

هذه الآية إذن من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة وهي أنّ النار موجودة الآن، ولكن السؤال: ما هو الطريق للوقوف على هذه الحقيقة، ولماذا إذا كانت النار موجودة الآن فنحن غافلون عنها؟ وما هي الأداة التي نستعملها للوصول إلى رؤية النار والجحيم؟

والجواب: إنّ الأداة التي أستعين بها لرؤية هذا الكتاب الذي هو أمامي

هو البصر، والأداة التي أعلم بها أنّ هذا الشيء ناعم أو خشن هي اللّمس، وهكذا في الشامّة. أمّا الأداة التي أستطيع من خلالها أن أتعرّف على النار وأنا في هذه النشأة الدنيويّة فهذا ما أجابت عنه الآية الكريمة في سورة التكاثر في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (التكاثر: ٥ ـ ٦). فمن يملك اليقين يستطيع رؤية النار.

ولا يكفي في ذلك العلم الحصولي كالصورة الذهنيّة التي تكشف عن الواقع الخارجي، بل لابدّ من العلم الذي هو بمرتبة اليقين، وذلك باعتبار أنّ العلم له مراتب وأقسام متعدّدة.

أمّا القول بأنّ هذه الرؤية مرتبطة بالآخرة، فالجواب: أنّها لو كانت كذلك لما احتجنا إلى علم اليقين لأنّه في الآخرة لا نحتاج إليه إذ الكلّ يرى الجحيم والنار من دون هذا النوع من العلم.

ثمّ إنّه لو كانت الآية مرتبطة بالآخرة لما قالت الآية: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ...﴾ (التكاثر: ١ ـ ٣).

وهذا العلم الحقيقي اليقيني هو الذي أُعطي للنبيّ إبراهيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥) فعندما وصل عليه السلام إلى مقام اليقين رأى الملكوت.

والآية الكريمة في سورة «ق» ذكرت النار من باب المثال، وإلاّ فإنّ الأمر نفسه ينطبق على رؤية الجنّة.

هذا بالإضافة إلى الكثير من الآيات التي يمكن الاستدلال بها على المطلوب، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: ١٣ـ ١٥).

• وقوله تعالى في حقّ الجنّة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ (الحديد: ٢١)، ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠).

• وقوله تعالى في حقّ أهل النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١)، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ﴾ (الشعراء: ٩١).

وعلّق شارح المقاصد على الاستدلال بهذه الآيات وتأييداً منه للمطلوب بالقول: «وحملها ـ أي الآيات ـ على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي مبالغةً في تحقّقه خلاف الظاهر، فلا يُعدل إليه بدون قرينة».

وعن الحجاب والغفلة من الإنسان عن الجنّة والنار الموجودتين الآن يقول صدر المتألّهين: «إنّ المعلوم من الكتاب والسنّة أنّ الجنّة والنار موجودتان بالفعل، وأهل الحجاب لغفلتهم عن الأصول المذكورة ونسيانهم أمر الآخرة وأحوال النفس متعجّبون من ذلك بأنّهما إذا كانتا موجودتين فأين مكانهما في العالم؟ وفي أيّ جهة يكونان؟ أهما فوق محدّد الجهات؟ فيلزم أن يحصل في اللامكان مكان وفي اللاجهة جهة...»[1].

أمّا عن الذين يشاهدون الجنّة والنار وهم في عالم الدُّنيا فهم كما يقول الشيرازي: «لابدّ لكلّ أحد أن يعلم أنّ الجنّة والنار الجسمانيّتين غير معلومتي الكُنه إلاّ للمكاشفين الذين اكتحلت عيونهم بنور الله وغلب عليهم ظهور سلطان الآخرة، فصاروا بحيث يكون أبدانهم في الدُّنيا ساكنة، وأرواحهم في الآخرة سائرة، فهم من أهل الاطّلاع على حقائق الأمور الأخرويّة، ولابدّ للمحجوبين ومن لم يقف على أسرارهم ولم يصل

---

(١) **الشواهد الربوبيّة**، صدر الدِّين الشيرازي، تعليق جلال الدِّين أشتياني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م : ص ٢٧٢.

بعد إلى مقامهم أن يعتقدوا إيماناً بالغيب أنّ الجنّة التي عرضها السماوات والأرض موجودة في عالم الغيب، بحيث لا يمكن مشاهدتها بهذه العين، وليست أجسام الآخرة من هذه الأجسام حتّى يقع بينها تزاحم وتضايق، بل التزاحم والتضايق من خواصّ هذه الأجساد التي يشاهد بهذه الحواسّ الداثرة المستحيلة، وتلك الأجساد لا تشاهد إلاّ بالبصيرة الباطنيّة»[١].

الشواهد الروائيّة

وهي في الواقع كثيرة جدّاً، ونعني بها مجموع الروايات التي تثبت لنا أنّ الجنّة موجودة إمّا بالتصريح، وإمّا بالدلالة الالتزاميّة، وهذه من قبيل روايات المعراج التي صرّحت بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل الجنّة، أو الروايات الواردة في بعض الأصحاب الذين رأوا الجنّة والناس فيها مُنعّمون.

فمجموع هذه الروايات إن لم يؤدّ إلى القطع، فعلى الأقلّ يوصل إلى الاطمئنان بأنّ هذه الروايات صادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

من هذه الروايات:

- عن الهرويّ قال: «قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن الجنّة والنار أهما اليوم مخلوقتان؟ فقال عليه السلام: **نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار**[٢] **لمّا عرج به إلى السماء**، قال: فقلت

---

(١) **تفسير القرآن الكريم**، صدر الدِّين الشيرازي، تصحيح محمّد خواجوي، انتشارات بيدار، قم، إيران، ط١: ج ٦ ص ٢٤٦.

(٢) هذه الروايات يلاحظ فيها التعبير عن دخوله صلّى الله عليه وآله إلى الجنّة، أمّا بالنسبة إلى النار فلا يوجد مثل هذا التعبير بل هي تشير إلى رؤيته صلّى الله عليه وآله لها وإخباراته عنها.

له: فإنّ قوماً يقولون: إنّهما اليوم مقدّرتان غير مخلوقتين، فقال عليه السلام: **ما أولئك منّا ولا نحن منهم، مَن أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا وليس من ولايتنا على شيء، وخُلِّد في نار جهنّم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لّما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسيّة، فكلّما اشتقتُ إلى رائحة الجنّة شممتُ رائحة ابنتي فاطمة»**(١).

• في تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۞ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ في السماء السابعة، وأمّا الردّ على مَن أنكر خلق الجنّة والنار فقوله: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ أي عند سدرة المنتهى، فسدرة المنتهى في السماء السابعة وجنّة المأوى عندها(٢).

• وفي حديث المعراج أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: **«يا عليّ إنّه لّما أُسري بي رأيت في الجنّة نهراً أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأشدّ استقامةً من السهم، فيه أباريق عدد النجوم، على شاطئه قباب الياقوت الأحمر والدرّ الأبيض، فضرب جبريل بجناحيه إلى جانبه فإذا هو مسكة ذفرة، ثمّ قال: والذي نفس محمّد بيده إنّ في الجنّة لشجراً يتصفّق بالتسبيح بصوت لم يسمع الأوّلون والآخرون مثله، يثمر ثمراً كالرمّان، يلقي الثمرة إلى الرجل فيشقّها عن سبعين حلّة، والمؤمنون على كراسي من نور وهم الغرّ المحجّلون،**

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧؛ والتوحيد: الحديث ٢١، الباب ٨ ص ١١٨.

(٢) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣١٢.

أنت إمامهم يوم القيامة...»[١].

عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: قد أُمرتْ الجنّة والنار أن تُعرض عليك،** قال: **فرأيت الجنّة وما فيها من النعيم، ورأيت النار وما فيها من العذاب، والجنّة فيها ثمانية أبواب... ورأيت على أبواب النار مكتوباً على الباب الأوّل ثلاث كلمات...»**[٢].

• عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أُسري به لم يمرّ بخلق من خلق الله إلاّ رأى منه ما يحبّ من البِشر واللّطف والسرور به، حتّى مرَّ بخلق من خلق الله فلم يلتفت إليه ولم يقل له شيئاً فوجده قاطباً عابساً، فقال: يا جبرئيل ما مررت بخلق من خلق الله إلاّ رأيت البِشر واللطف والسرور منه إلاّ هذا، فمَن هذا؟ قال: هذا مالك خازن النار، هكذا خلقه ربّه، قال: فإنّي أحبّ أن تطلب إليه أن يُريني النار، فقال له جبرئيل عليه السلام: إنّ هذا محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار، قال: فأخرج له عنقاً منها فرآها، فلمّا أبصرها لم يكن ضاحكاً حتّى قبضه الله عزّ وجلّ»**[٣].

هذه الروايات وغيرها تشير بوضوح إلى دخول النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الجنّة، وأكله من ثمرها، وشمّه لرائحتها، ورؤية أهلها، وهكذا إلى رؤيته إلى النار، وغير ذلك.

---

(١) **المحاسن**، أحمد بن أبي عبدالله البرقي، الصفوة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت: الحديث ١٧٢، الصفوة، الباب ١٤ ص ١٨٠.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٤٤ .

(٣) **أمالي الصدوق**، مصدر سابق: الحديث ٦، المجلس ٨٧ ص ٤٨٠ ـ ٤٨١.

جنّة الأعمال والاعتقادات

من النتائج المترتّبة على الاعتقاد والقول بأنّ الجنّة والنار مخلوقتان، أنّهما مرتبطتان بعالم الآخرة، ولا علاقة لهما بهذه النشأة الدنيويّة، وهما الآن موجودتان لا أنّهما ستوجدان، وكيفيّة وجودهما الآن يمكن تعقّله من خلال هذا المثال.

نحن ـ على سبيل المثال ـ اليوم في يوم الأربعاء، ويوم الخميس هو غير موجود الآن بل سيأتي غداً وهو الآن معدوم باعتباره يأتي بامتداد أو بعد انتهاء يوم الأربعاء، ولا يعقل أن يكون هناك يوم الخميس ونحن ما زلنا في يوم الأربعاء.

وإذا افترضنا أنّ الآخرة تقع في امتداد الدُّنيا فهذا يعني أنّه عندما تنتهي أيّام الدُّنيا تبدأ أيّام الآخرة وسنينها وأشهرها وأيّامها وساعاتها... .

وعلى هذا فلا يُعقل أن تكون الجنّة والنار أو الآخرة موجودة الآن، باعتبار أنّ الجنّة والنار مرتبطتان بعالم الآخرة الذي سيبدأ زمان وجوده بعد انتهاء عالم الدُّنيا. فلو كانت الآخرة نسبتها إلى الدُّنيا كنسبة يوم الخميس إلى يوم الأربعاء فمن الطبيعي أن لا تكون الآخرة موجودة الآن، بل سيكون زمانها بعد انتهاء زمان الدُّنيا. ولكن صريح القرآن يشير إلى خلاف ذلك كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢)، فهي تكشف كما ذكرنا سابقاً عن أنّ الآخرة موجودة الآن ولكن الإنسان غافلٌ عنها.

والحقّ أنّ نسبة الآخرة إلى الدُّنيا هي نسبة الباطن إلى الظاهر، ومن الواضح أنّ الظاهر والباطن يوجدان في آن واحد، ولكن أحدهما ظاهر والآخر باطن كما ثبت من الحقيقة القرآنيّة في الآية الكريمة: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا

﴿مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

يقول صدر الدِّين الشيرازي: «فإنّ الجنّة جنّتان: جنّة محسوسة بالحواسّ الأخرويّة، وجنّة معقولة مشاهدة ببصر الباطن العقلي، ولكلّ منهما درجات. كما أنّ العالم عالمان: غيب وشهادة، ولكلّ منهما منازل. فالإنسان السعيد بروحه الذي هو عقل بالفعل جنّة معنويّة بما يحمله من المعارف والعلوم، ولنفسه الحيوانيّة جنّة صوريّة بما يحمله من اللذّات والشهوات ويناله من طريق قواها العمليّة الحسّية من أكل وشرب ونكاح وغيرها، جزاء بما صبرت عنه في الدُّنيا وحبست قوّتها عن نيل قشورها الكدِرة الظلمانيّة حتّى صارت بلبوبها الصافيّة النورانيّة. وبحسب صفائها ونورها كانت مخزوناتها الأخرويّة وذخائرها الغيبيّة صافية نقيّة نورانيّة، فالمراتب والدرجات في الجنّات بحسب المراتب والدرجات في الأشواق والرغبات»[١].

وكذلك كلّ ما في الجنّة ونعيمها هو باطن أعمال الإنسان واعتقاداته التي يقوم بها في هذه الدُّنيا، لأنّ الجنّة والنار من نتائج أعمال الإنسان واعتقاداته، وهما تجسيد حقيقي لذلك.

• قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

• وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ـ ٣٥).

---

(١) **تفسير القرآن الكريم**، صدر الدِّين الشيرازي، مصدر سابق: ج ٧ ص ٢٧.

ولعلّ هذه الآيات هي العلاج التوفيقي بين القول بأنّ الجنّة والنار مخلوقتان الآن وأنّهما نتائج أعمال الإنسان واعتقاداته، وبين القول بأنّ الكثير من الناس لم يخلقوا بعد في الدُّنيا ولم توجد أعمالهم واعتقاداتهم في الوقت الحاضر، إذن لا معنى للقول بأنّهما مخلوقتان الآن.

توضيح ذلك من خلال بيان الأمور التالية:

الأوّل: أنّه ما من إنسان إلاّ وقدّر الله تعالى له داراً في الآخرة، وله مكان إمّا في الجنّة أو في النار.

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما خلق الله خلقاً إلاّ جعل له في الجنّة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنّة أشرفوا، فيشرفون على النار وترفع لهم منازلهم في النار ثمّ يُقال لهم: هذه منازلكم التي لو عصيتم ربّكم دخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً؛ لما صرف عنهم من العذاب.**

ثمّ ينادون: يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنّة، فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم، فيُقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربّكم دخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء وهؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠ ـ ١١)»[١].

الثاني: حول معنى أنّ لكلّ إنسان داراً في الجنّة أو في النار.

ذكرنا سابقاً أنّ القول بأنّ دار الإنسان في الجنّة إنّما هو تجسيد لاعتقاداته وأعماله وأفعاله.

---

(١) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص ٣٠٥.

وعن كون هذه الدار الموجودة قبل الوجود العملي والاعتقادي، تشير الروايات إلى أنّها غير مبنيّة بمعنى أنّ هذه الدار لها سياج وجدار حولها، ولكنّها في الداخل مبنيّة، وأشار بعض المحقّقين إلى هذا المعنى، ومنهم الفيض الكاشاني حيث يقول: «وأمّا قولنا: (مخلوقتان) فكرجل يبني داراً فأقام حيطانها كلّها الحاوية عليها خاصّة، فقال هي دار، فإذا دخلتها لم ترَ إلاّ سوراً دايراً على فضاء ساحة. ثمّ بعد ذلك ينشئ بيوتها على أغراض الساكنين فيها من بيوت وغرف وسرادق ومسالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها، وفي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتّخذة آلهة، والجنّ لهبها.

- قال الله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (البقرة: ٢٤).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: ٩٨).
- وقال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (الشعراء: ٩٤ـ ٩٥).

وتحدث فيها الآلات بحدوث أعمال الجنّ والإنس الذين يدخلونها.

وقد نقل الكاشاني هذا الكلام عن صاحب الفتوحات المكّية وعقّب عليه بالقول: «محصّل كلامه: إنّ الدارين إنّما تنشآن بنفوس أهلها وتعمران بأخلاقهم وأعمالهم»(١).

فالدار إلى الآن غير مبنيّة، وتجري عمليّة بنائها على وفق أعمال الإنسان واعتقاداته، وهذه المسألة متروكة لاختيار الإنسان وحرّيته وفق الطريقة التي يريدها. وقد أعطى الله تعالى لكلّ إنسان الأدوات في الدُّنيا ليبني داره

---

(١) **علم اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠١٠ .

في الآخرة، إمّا في درجات الجنّة، أو في دركات الجحيم.

وهذه الحقائق وردت في روايات النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين، منها:

• روى أبو أيّوب الأنصاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ليلة أُسري بي مرَّ بي إبراهيم عليه السلام فقال: مُر أُمّتك أن يكثروا من غرس الجنّة فإنّ أرضها واسعة وتربتها طيّبة، قلت: وما غرس الجنّة؟ قال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله**»(١).

• وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم ربّما بنيتم وربّما أمسكتم؟ فقالوا: حتّى تجيئنا النفقة، فقلت: وما نفقتكم؟ فقالوا: قول المؤمن في الدُّنيا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، فإذا قال بنينا، وإذا أمسك أمسكنا**»(٢).

فإذا اتّضح لنا معنى أن يكون للإنسان دارٌ في الجنّة أو في النار، ومعنى أنّ الاعتقادات هي منشأ الجنّة والنار، سوف يتّضح أنّه لا تنافي بين أن تكون الجنّة والنار موجودتين وبين أن تكون لذائذها ونعيمها وآلامها مرتبطة بأعمال الإنسان وأخلاقه في الدُّنيا.

فكلّ ما سيوجد للإنسان في درجات الجنّة الموجودة الآن تابع لأعماله، وهكذا الحال بالنسبة إلى النار.

«ولابدّ أيضاً أن يعلم كلّ من آمن باليوم الآخر أنّ للأعمال والأفعال الدنيويّة ـ باعتبار تأثيرها في عادات النفس وملكاتها ـ علاقة طبيعيّة مع

---

(١) بحار الأنوار، الحديث ٨٣، ج ٨ ص ١٤٩.

(٢) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٣.

أعيان الأمور الأخرويّة، فكما أنّ الأمر المسمّى «بالمعصية» في الدُّنيا يؤدّي بصاحبها في الآخرة إلى الاحتراق بالنار، والتعذيب بالحميم والزقّوم، والتصلية للجحيم، فكذا المسمّى بالطاعة يظهر في الآخرة بصورة الجنّة والرضوان، والتنعّم بالفواكه والحور والغلمان والولدان.

فهذه الأفعال المحمودة التي هي الطاعات إنّما تُراد لأجل اكتساب الأخلاق الحسنة، وكذا الأفعال المذمومة إنّما تترك لأجل أنّها ستنجرُّ إلى الأخلاق السيّئة»[1].

الدنيا مزرعة الآخرة

إذا كانت الجنّة وفقاً للروايات قيعان غراسها قول المؤمن: لا إله إلاّ الله، وسبحان الله والحمد لله...، فأيّ شيء نغرس هناك حتّى يكون الحصاد والثمر أكبر وأعظم؟ قد يغرس الإنسان في الدُّنيا شجرة ويحصل على ثمارها، ولكن قد تكون تلك الثمار غير مربحة، وفي الوقت ذاته قد يغرس شجرة أخرى ويكون ثمرها أقلّ ونادراً، ولكنّه يحصل على أضعاف من الأرباح. فإذن ليس كلّ غرس يعطي نفس النتيجة، وكلّ غرس له درجة من درجات الجنّة.

وقد بيّن القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام ما الذي ينبغي أن يغرسه الإنسان في الجنّة حتّى يحصل على أعلى الدرجات والثمار والنتائج.

- قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام: «**عليك بالقرآن فإنّ الله خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وجعل ملاطها المسك، وترابها**

---

(١) **تفسير القرآن الكريم**، صدر الدِّين الشيرازي، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٤٦.

الزعفران، وحصاءها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن، فمَن قرأ القرآن قال له: إقرأ وارق، ومَن دخل منهم الجنّة لم يكن في الجنّة أعلى درجة منه ما خلا النبيّون والصدِّيقون»[1].

فإذا أردت أن تكون في الدرجة الأولى، أو الثانية، أو العاشرة، أو... فينبغي لك أن تغرس، وأن تتجسّد فيك حقائق القرآن، وباطن القرآن.

والآيات القرآنيّة من حيث مقاماتها ليست على درجة واحدة بل على درجات مختلفة، فسورة التوحيد تعدل ثلث القرآن، وسورة الفاتحة لا تعادل كلّ القرآن فحسب، بل تعدل كلّ الكتب السماويّة، وهكذا سورة يس، وسورة الرحمن، وآية الكرسي.

على سبيل المثال قد يغرس من خلال آية الكرسي، وقد يغرس من خلال آية ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١)، وهاتان آيتان من آيات الكتاب الكريم، ولكن أين محتوى الآية الأولى (الكرسي) من الآية الثانية؟!

وعندما يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**الدُّنيا مزرعة الآخرة**» فإنّ كلّ الزرع قد يكون مفيداً، وكلّ الاعتقادات قد تكون جيّدة، ولكن هناك اعتقادات أساسيّة وهناك اعتقادات فرعيّة وثانويّة.

وعندما نتعمّق في الروايات نجد أنّها تعطي المحوريّة في كلّ درجات الجنّة، وفي كلّ الاعتقادات للتوحيد الخالص، أو ـ بتعبير الروايات ـ تعطي لقول المؤمن «**وحده وحده وحده**». والأولى للتوحيد الذاتيّ، والثانية للتوحيد الصفاتي، والثالثة للتوحيد الأفعاليّ.

ولا يمكن للإنسان أن يكون موحّداً لله تعالى ولكنّه في مقام الأفعال يُشرك معه غيره، وكذلك في مقام التشريع.

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٣١.

• روي عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل عليهم السلام، عن اللوح، عن القلم قال: «**يقول الله تعالى: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني فمَن دخل حصني أمِنَ من عذابي**، قال الرضا عليه السلام: **بشروطها وأنا من شروطها**»(١).

فغرس التوحيد وحده لا يمكن أن يتمّ إلاّ مع غرس الإمامة والاعتقاد بها.

• عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «جاء أعرابي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، هل للجنّة من ثمن؟ قال: **نعم**. قال: ما ثمنها؟ قال: **لا إله إلاّ الله، يقولها العبد الصالح مخلصاً بها**. قال: وما إخلاصها؟ قال: **العمل بما بُعثت به في حقّه، وحبّ أهل بيتي**. قال: وحبّ أهل بيتك لـمِن حقّها؟ قال: **أجل، إنّ حبّهم لأعظم حقّها**»(٢).

وهذه الرواية وردت في سياق آخر عن الإمام الصادق عليه السلام حيث سُئل: وما إخلاصها؟ فقال: «**وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلاّ الله عمّا حرّم الله عزّ وجلّ عليه**»(٣).

والروايتان ناظرتان إلى الاعتقاد وإلى العمل.

ومحصّل الكلام: أنّ اختلاف الناس في درجات الجنّة ناتج عن اختلافهم في هذه الدُّنيا في الغرس الذي غرسوه للآخرة.

---

(١) **مناقب آل أبي طالب**، ابن شهرآشوب، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٩٩١م: ج٢ ص ٢٩٦.

(٢) **الأمالي**، الطوسي، مصدر سابق: ص ٥٨٣ .

(٣) **توحيد الصدوق**: باب ثواب الموحّدين والعارفين، الحديث ٢٦ ص ٢٩.

• عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام قال: «**إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئةً، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورةً، قال: فتقف صورة عن يمينه، وأخرى عن يساره، وأخرى بين يديه، وأخرى خلفه، وأخرى عند رجله، وتقف التي هي أحسنهنّ فوق رأسه، فإن أُتي عن يمينه منعته التي عن يمينه، ثمّ كذلك إلى أن يؤتى من الجهات الستّ، قال: فتقول أحسنهنّ صورة: ومن أنتم جزاكم الله عنّي خيراً؟**

فتقول التي عن يمين العبد: أنا الصلاة، وتقول التي عن يساره: أنا الزكاة، وتقول التي بين يديه: أنا الصيام، وتقول التي خلفه: أنا الحجّ والعمرة، وتقول التي عند رجليه: أنا برّ من وصلت من اخوانك. ثمّ يقُلن: مَن أنتِ، فأنت أحسننا وجهاً، وأطيبنا ريحاً، وأبهانا هيئةٌ فتقول: أنا الولاية لآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين»[(١)].

وهذه الحقائق كما هي موجودة في درجات الجنّة، كذلك هي في دركات الجحيم كالرواية التي رواها العديد من علماء مدرسة الصحابة فضلاً عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي ورد فيها ما مضمونه: «**مَن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة... من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوبٌ في جبينه آيس من رحمة الله...**»[(٢)].

وكما هو الحال في الاعتقادات كذلك في الأعمال، وذلك من قبيل ما ورد عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق**

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٥٠، ج ٦ ص ٢٢٤.

(٢) **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل**، مصدر سابق: ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى: ج٤ ص ٢٢١.

الجنّة خلقها من لبنتين: لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، وحصاءها اللؤلؤ، وترابها الزعفران والمسك الأذفر، فقال لها: تكلّمي، فقالت: لا إله إلاّ أنت الحيّ القيّوم، قد سعد من يدخلني. فقال عزّ وجلّ: بعزّتي وعظمتي وجلالي وارتفاعي لا يدخلها مدمن خمر، ولا سكّير، ولا قتّات وهو النمّام، ولا ديّوث وهو القلطبان، ولا قلاّع وهو الشرطيّ، ولا زنوق وهو الخنثى، ولا خيوف (ذنوق) وهو النبّاش، ولا عشّار، ولا قاطع رحم، ولا قدريّ»(١).

فكما أنّ هناك موجبات للدخول إلى الجنّة، هناك أيضاً موانع إمّا اعتقاديّة أو عمليّة تمنع الإنسان من الوصول إلى الجنّة.

ومن خلال ما تقدّم يتّضح لنا بشكل جيّد كيف أنّ الأعمال والاعتقادات تقرّر مصير الإنسان يوم القيامة، وهناك الكثير من الروايات المرتبطة بهذه القضيّة، ولعلّه من الضروري الإطلالة على ما يرتبط منها بما يُرضي الله تعالى عن العبد، وماذا يُعطي الله تعالى العبد يوم القيامة إذا رضي عنه.

ومن الروايات التي تبيّن الطريق لتحصيل رضا الله تعالى ما روي بحقّ السيّدة الزهراء عليها السلام من أنّ الله يرضى لرضاها، وكذلك ما روي في نصّ الرواية التالية:

• عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «**إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ الله إلى جنانه ومساكنه واتّكأ كلّ مؤمن منهم على أريكته حفّته خدّامه، وتهدّلت (تساقطت) عليه الثمار، وتفجّرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابيّ، وصفّفت له النمارق، وأتته الخدّام**

---

(١) **الخصال**، مصدر سابق: الحديث ٢٢، الباب ١٠ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦.

بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك؛ قال: ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله.

ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي في جواري ألا هل أُنبّئكم بخير ممّا أنتم فيه؟

فيقولون: ربّنا وأيّ شيء خيرٌ ممّا نحنُ فيه؟ نحن في ما اشتهت أنفسنا، ولذّت أعيننا من النِّعم في جوار الكريم، قال: فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربّنا نعم فأتنا بخير ممّا نحن فيه، فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاي عنكم ومحبّتي لكم خيرٌ وأعظم ممّا أنتم فيه، قال: فيقولون: نعم يا ربّنا رضاك عنّا ومحبّتك لنا خيرٌ لنا وأطيب لأنفسنا.

ثمّ قرأ عليّ بن الحسين عليهما السلام هذه الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢)[1].

---

(١) تفسير العيّاشي، مصدر سابق: الحديث ٢ ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

المبحث الثالث والعشرون

حقائق عن الجنة وأهلها

- مكان الجنة والنار
- عدد الجنان ومراتبها
- أنهار الجنّة
- أبواب الجنّة
- الكتابة على أبواب الجنّة
- وراثة المؤمنين للجنّة
- تمايز لذائذ الجنّة عن لذائذ الدنيا

مكان الجنّة والنار

من خلال ما تقدّم في الأبحاث السابقة ظهر لنا أنّ الجنّة والنار ليستا جزءاً من هذا العالم الذي نعيش فيه (عالم الدُّنيا)، بل لا يمكن القول بأنّ النشأة الدنيويّة تتكوّن من جزئين أو قسمين، وأنّ نصفها الجنّة والنصف الآخر هو الدُّنيا، فليس الأمر كذلك.

ولا معنى للسؤال عن مكان الجنّة والنار في هذا العالم، لأنّ الجنّة والنار مرتبطتان بنشأة الآخرة، ونشأة الآخرة مرتبطة بباطن الحياة الدُّنيا، وهي غير النشأة الدنيويّة.

وتقريب المطلب من خلال الاعتقاد بالملائكة الذين هم موجودون ولهم حياة ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (فصّلت: ١٢)، فهل هم في هذه السماء الظاهريّة؟

الجواب: كلاّ، بل هم في السماء الباطنيّة، سماء الملكوت، وهي سماء الغيب لا سماء الظاهر.

فالسؤال عن مكان الجنّة والنار مبتنٍ على الفرضيّة الخاطئة عند بعض المتكلّمين من كون الجنّة والنار مرتبطتين بالنشأة الدنيويّة.

والفائدة المترتّبة على وجودهما وخلقهما في هذا الآن هو أنّ عدم الإيمان بخلقهما يعني أنّه لا معنى للذهاب إليهما. فالإنسان لا يمكنه وهو يعيش في يوم الأحد أن يذهب إلى يوم الاثنين الذي هو معدوم ولم يُخلق بعد.

فالإيمان بأنّهما مخلوقتان وموجودتان يعني أنّ هناك طريقاً للدخول

إليهما وللوقوف عليهما ورؤيتهما الآن ونحن في عالم الدُّنيا: ﴿ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ** ﴾.

والمتّقون كما يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتّقين: «**فهم والجنّة كمَن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمَن قد رآها فهم فيها معذّبون**»(١).

والإنسان بالموت الاختياري ـ لا الطبيعي الاخترامي ـ يستطيع أن يذهب إلى تلك العوالم كما ذهب إليها أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددتُ يقيناً**».(٢)

ولتوضيح المطالب المتقدِّمة وبيان معنى كون الجنّة والنار ليستا جزءاً من هذا العالم الذي نعيش فيه ننقل كلاماً لصدر المتألّهين يبيِّن فيه وجود عالم باطنيّ وغيبيّ وهو عالم الآخرة المغاير لهذا العالم وفيه تقع الجنّة والنار، حيث يقول: «اعلم أنّ لله تعالى عالماً غير هذا العالم وهو عالم الآخرة وعالم الباطن وعالم الغيب وعالم الملكوت، وهذا العالم عالم الدُّنيا وعالم الظاهر وعالم الشهادة والملك والخلق وهو ثابت الآن، ومكانهما ليس في ظواهر هذا العالم؛ لأنّه محسوس وكلّ محسوس بهذه الحواسّ، فهو في الدُّنيا، والجنّة من عالم الآخرة، نعم مكانهما في داخل حجب السماوات ولهما مظاهر في هذا العالم وعليها تحمل الأخبار الواردة في تعيين بعض الأمكنة»(٣).

وفي موضع آخر قال: «أمّا مكان الجنّة والنار فاعلم أنّه ليس لهما مكان

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة: ١٩٣.

(٢) **مناقب آل أبي طالب**، مصدر سابق: ج١ ص٣١٧.

(٣) **المظاهر الإلهيّة**، صدر المتألّهين، تحقيق: جلال الدِّين أشتياني، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة: ص ١٦٣.

في ظواهر هذا العالم لأنّه محسوس، وكلّ محسوس بهذه الحواس فهو في الدُّنيا، والجنّة والنار من عالم الآخرة، نعم مكانهما في داخل حُجب السماوات والأرض ولهما مظاهر في هذا العالم وعليها يُحمل الأخبار الواردة في تعيين بعض الأمكنة لهما، والنُقول والروايات في ذلك كثيرة مختلفة ذكرنا وجه التوفيق بينها في المبدأ والمعاد»(١).

عدد الجنان ومراتبها

يستفاد من القرآن الكريم والروايات الشريفة أنّ الجنان متعدّدة، وليس هناك جنّة واحدة، وكلّ جنّة من هذه الجنان يتوقّف الدخول إليها على نوع العمل، باعتبار وجود رابط وجوديّ بين نوع العمل وجنّته التي هي ثواب ذلك العمل.

أمّا القرآن الكريم فقد ورد فيه التعبير عن «الجنّات» في آيات متعدّدة نذكر منها:

- قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ﴾ (البقرة: ٢٥).
- وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾ (آل عمران: ١٥).
- وقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (آل عمران: ١٩٨).
- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (النساء: ١٣).

---

(١) الشواهد الربوبيّة، مصدر سابق: ص ٣٠٠.

• وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ (الحجر: ٤٥).

إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي تشير إلى وجود جنّات متعدّدة وليس جنّة واحدة.

وأمّا الروايات فهي أكثر من أن تُعدّ وتحصى.

• قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «.. **أمّا الجنان المذكورة في الكتاب فإنّهنّ جنّة عدن، وجنّة الفردوس، وجنّة نعيم، وجنّة المأوى .. وإنّ لله عزّ وجلّ جناناً محفوفة بهذه الجنان، وإنّ المؤمن ليكون له في الجنان ما أحبّ واشتهى يتنعّم فيهنّ كيف يشاء..**»[1].

وفي كلمات الفلاسفة والعرفاء تسميات أخرى لبعض الجنان لم ترِد في القرآن والروايات من قبيل جنّة اللِّقاء، ولعلّها تكون الجنان المعبّر عنها في الرواية المتقدِّمة، يقول الباقر عليه السلام: «**وإنّ لله جناناً محفوفة بهذه الجنان**».

أمّا العلّة التي من أجلها تعدّدت الجنان فهي ما أشار إليه صدر المتألّهين في تفسيره لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (السجدة: ١٩) حيث يقول: «نوع من الجنان، كلّ منها غاية ما يمكن لطائفة من الناس أن يبلغ إليها بقوّة الإيمان والعمل الصالح لأنّ صيغة الجمع تدلّ على أنّها مراتب متفاوتة»[2].

فنوعيّة العمل الذي يقوم به الإنسان يحدِّد الجنّة التي سيدخلها.

وفي موضع آخر يقول: «.. فإنّ الجنّة جنّتان: جنّة محسوسة بالحواسّ الأخرويّة، وجنّة معقولة مشاهدة ببصر الباطن العقلي ولكلّ منهما درجات. كما أنّ العالم عالمان: غيب وشهادة، ولكلّ منهما منازل، فالإنسان السعيد

---

(١) **الكافي**: الروضة، الحديث ٦٩، ج ٨ ص ٥٩.

(٢) **تفسير القرآن الكريم**، صدر الدِّين الشيرازي، مصدر سابق: ج ٦ ص ١١٤.

بروحه الذي هو عقل بالفعل جنّة معنويّة بما يحمله من المعارف والعلوم، ولنفسه الحيوانيّة جنّة صوريّة بما يحمله من اللذّات والشهوات ويناله من طريق قواها العمليّة الحسّيّة من أكل وشرب ونكاح وغيرها، جزاء بما صبرت عنه في الدُّنيا وحبست قوّتها عن نيل قشورها الكدِرة الظلمانيّة حتّى صارت بلبوبها الصافية النورانيّة، فإنّ النفس كلّما ارتاضت صَفَت وتنوّرت، وبحسب صفائها ونورها كانت مخزوناتها الأخرويّة وذخائرها الغيبيّة صافية نقيّة نورانيّة، فالمراتب والدرجات في الأشواق والرغبات»(١).

وفي كلام الشيرازي إشارة إلى ما ذكرته الآيات والروايات من أنّ هناك مراتب متعدّدة للجنّة كما هو الحال في عددها.

فقد صرّحت الروايات الكثيرة بأنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن الكريم، وهذا ما تعرّضنا له سابقاً.

والطريق للوصول إلى هذه المراتب والدرجات يتوقّف على نوعيّة العمل حيث إنّ كلّ عمل من الأعمال له بإزائه حسنة أو مرتبة من مراتب الحسنات. فهناك يعمل يوازي فعله الحصول على حسنة واحدة، وهناك عمل آخر إذا قام به الإنسان قد يحصل على ألف حسنة مقابله، وهكذا.. كما أنّ هناك فارقاً بين درجات الجنّة وبين أن يكون الإنسان هو نفسه درجة من درجات الجنّة.

فالقرآن الكريم له تعبيران بالنسبة لأصحاب الدرجات:

الأوّل: وهو التعبير الشائع، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ (الأنفال: ٣ ـ ٤).

---

(١) المصدر نفسه: ج ٧ ص ٢٧.

وهذا التعبير القرآني يشير إلى أنّ لأهل الجنّة درجات عند ربّهم.

الثاني: وهو التعبير عن بعض أصحاب الجنّة بأنّهم هم درجات عند الله، ودرجة من درجات الجنّة، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ * هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٢ـ ١٦٣).

فهناك فرق كبير بين أن يعيش الإنسان في درجة من درجات الجنّة، وبين أن يكون هو نفسه درجة من درجات الجنّة.

والمصاديق لذلك أوضحته الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ (الواقعة: ٨٨) فإنّ هذا المقرّب هو «روحٌ وريحان» كما في التعبير القرآني، وليس أنّه له روح وريحان وجنّة نعيم، وفرق كبير بين التعبيرين.

ومن الشواهد القرآنيّة أيضاً ما ورد عن أنّ البعض نتيجة الأعمال يكون لهم مقام صالح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ومرّةً أُخرى يكون هو عين الصلاح. فالفارق كبير بين أن يكون الإنسان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وبين أن يكون ذاته عين الصلاح.

ومن هذه الحقيقة نكتشف حقائق متعدّدة جاءت في بعض الروايات وهي أنّ الناس يشتاقون إلى الجنّة، وفي مقابل ذلك فإنّ الجنّة تشتاق إلى بعض الناس، لأنّه هو درجة من درجات الجنّة، وهو روح وريحان وجنّة نعيم، وبتعبير الإمام الصادق عليه السلام: «**فإنّ ولايتنا هي الجنّة**».(١)

«بالنسبة إلى الجنّة الصوريّة والمعنويّة ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه

---

(١) **المحاسن**، البرقي، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٢.

قال: **الجنّة أشوق إلى سلمان من سلمان إليها،** لأنّ سلمان كان في الجنّة المعنويّة فارغاً عن الجنّة الصوريّة، والجنّة المعنويّة هي التي ورد فيها: **إنّ لله جنّةً ليس فيها حور ولا قصور ولا لبن ولا عسل بل يتجلّى فيها ربّنا ضاحكاً متبسّماً.** وقوله: **سترون ربّكم كما ترون القمر ليلة البدر،** إشارة إلى أنّ هذه المشاهدة في هذه الجنّة، وكذلك في الحديث القدسي: **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر،** إشارة إليها..»[1].

ولا تنافي بين أن يكون الإنسان هو الجنّة، ويدخل إلى الجنّة، لأنّ مراتبه الدانية تدخل الجنّة، وحقيقته هي الجنّة.

أنهار الجنّة

من الأمور الملازمة لوصف الجنان ولذائذها في القرآن الكريم كونها ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

ولابدّ من وجود علّة في ذلك، فما هو سرّ الارتباط بين الجنّة والأنهار؟

عند الرجوع إلى الآيات والروايات نجد أنّ هناك تركيزاً واضحاً على مسألة الأنهار في الجنّة، وقد تحدّثت عن ذلك المئات من الآيات الكريمة:

- قال تعالى: ﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (البقرة: ٢٥).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ (القمر: ٥٤ ـ ٥٥).
- وقال تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (العنكبوت:٥٨).

---

(١) **مجموعة رسائل فلسفيّة**، تفسير سورة التوحيد، صدر الدِّين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ٢٠٠١م : ص ٤٧٢.

وحقيقة الأنهار في الجنّة لا شكّ بأنّها تختلف عن المياه الموجودة عندنا في الدُّنيا والمركّبة من عنصري الأوكسجين والهيدروجين، والقضيّة هي مجرّد تمثيل باعتبار أنّ بعض الحقائق الأخرويّة لا يمكن للإنسان أن يتعقّلها إلاّ عند الدخول في تلك النشأة، وفي هذه النشأة لا يمكن الوقوف عليها إلاّ من خلال ما نقف عليه من محسوساتنا ومشروباتنا ومأكولاتنا.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ ...﴾ (محمّد: ١٥).

ولا إشكال في حقيقة الماء غير الآسن والأنهار التي من اللبن والعسل، ولكن القضيّة هي في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (محمّد: ١٥). فالخمر في الآخرة ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾، أمّا حكمه في الدُّنيا فهو كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة: ٩٠).

وبالعودة إلى الخمر في الآخرة فإنّه تعالى يصف لذّة المؤمنين بشربه بقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٧ ـ ١٩). والمفسِّرون قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ أنّ المراد بذلك هو «الخمر المعين».

وبحسب الظاهر فإنّ ما تمتلئ به الكؤوس هو «الخمر» الظاهر للبصر، ولكنّ الآية بيّنت أنّ هذا الخمر ليست أوصافه هي نفسها أوصاف الخمر الدنيوي، فقد قال تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يأخذهم صداع بسبب الخمر كما يحصل ذلك من الخمر الدنيوي، ولا يزول عقلهم بالسُّكر الحاصل منها، ولذا قالت الآية ﴿لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾. والخمر الدنيوي لا يمكن

أن يكون فيه لذّة لأنّه يُخرج الإنسان من وضعه الإنساني ليصبح في عِداد البهائم والأنعام.

فمن أهمّ النِّعم واللذائذ الإلهيّة التي يجعلها الله تعالى من الأمور المشتركة في الجنّة «الأنهار» وهي أعمّ من أن تكون من ماء، وعسل، وخمر، ولبن، وغير ذلك.

فلا يتبادر إلى الذهن أنّ قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ يقتصر على أنهار المياه، لأنّ الأنهار في الجنّة لها خصائص مختلفة عن أنهار الدُّنيا.

وأنواع الأنهار المذكور في القرآن متعدّدة، ومنها:

١ ـ نهر الكوثر، وقد تقدّم الكلام عنه سابقاً.

٢ ـ نهر التسنيم، وهو ما ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ١٨ ـ ٢٨).

فالشراب الذي يُسقى منه الأبرار هو الرحيق المختوم الممزوج بشيء من التسنيم، فما هو التسنيم ؟

هو ما يشربه المقرّبون من تلك العين وهي العين التي لا يشرب منها إلاّ مَن حصّل ذلك المقام العظيم.

والملفت في التعبير القرآني عن «التسنيم» أنّه لم يعبّر عنه بـ «النهر» لأنّ النهر شيء، ومنبع النهر شيءٌ آخر، لأنّ النبع هذا الذي يجري منه الماء على الأرض لتتشكّل بعد ذلك الأنهار، فالتسنيم ليس هو اسم نهر من أنهار الجنّة، وإنّما هو منبع النهر أو الأنهار، ولذا قالت الآية: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ *

﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ .

يقول الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ * عَيۡنٗا ..﴾: «المزاج ما يمزج به، والتسنيم على ما تفسّره الآيه التالية عين في الجنّة سمّاه الله تسنيماً وفي لفظه معنى الرفع والملك يُقال: سنمه أي رفعه ومنه سنام الإبل، ويُقال: سنّم الإناء أي ملأه.

وقوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ يُقال: شربه وشرب به بمعنى، و«عَيۡنٗا» منصوب على المدح أو الاختصاص و «يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ» وصف لها، والمجموع تفسير للتسنيم.

ومفاد الآية أنّ المقرّبين يشربون التسنيم صرفاً كما أنّ مفاد قوله: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ أنّه يمزج بها ما في كأس الأبرار من الرحيق المختوم، ويدلّ ذلك أوّلاً على أنّ التسنيم أفضل من الرحيق المختوم الذي يزيد لذّة بمزجها، وثانياً أنّ المقرّبين أعلى درجة من الأبرار الذين يصفهم الآيات»[1].

فإذن مقام المقرّبين فوق مقام الأبرار، فبطبيعة الحال يكون شرابهم فوق شراب الأبرار، والمقرّبون هم النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

• روى العامّة بإسنادهم عن همام بن أبي علي، قال: «قلت لكعب الحبر: ما تقول في هذه الشيعة ـ شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ؟ فقال: **يا همّام إنّي أجد صفتهم في كتاب الله المنزل، إنّهم حزب الله وأنصار دينه وشيعة وليّه، وهم خاصّة الله من عباده ونجباؤه من خلقه.**

اصطفاهم لدينه وخلَقهم لجنّته، مسكنهم الجنّة الفردوس الأعلى في خيام

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٢٠ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

الدرّ وغرف اللؤلؤ، هم المقرّبون الأبرار يشربون من الرحيق المختوم، وتلك عينٌ يُقال لها: ﴿ تَسۡنِيمٍ﴾ لا يشرب منها غيرهم، فإنّ تسنيماً عينٌ وهبها الله لفاطمة بنت محمّد زوجة عليّ بن أبي طالب يخرج من تحت قائمة العرش، قبّتها على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك، ثمّ تسنّم فيشرب منها شيعتها وأحبّاؤها.

وإنّ لِقُبّتها الأربع قوائم من لؤلؤة بيضاء تخرج من تحتها عينٌ تسيل في سبل أهل الجنّة يُقال لها: «السلسبيل»، وقائمة من درّة صفراء تخرج من تحتها عينٌ يُقال لها «طهور»، وهي التي قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١).

وقائمة من زمرّدة تخرج من تحتها عينان نَضَّاخَتَانِ من خمر وعسل، فكلّ عين منها تسيل إلى أسفل الجنان إلاّ التسنيم فإنّها تسنم إلى عليّين فيشرب منها خاصّة أهل الجنّة ـ وهم شيعة عليّ وأحبّاؤه ـ ذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخۡتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ * عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ٢٥ ـ ٢٨) **فهنيئاً لهم.** ثمّ قال كعب: والله لا يحبّهم إلاّ من أخذ الله منه الميثاق»[١].

• عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴾ هو أشرف شراب في الجنّة يشربه محمّد وآل محمّد؛ وهم المقرّبون السابقون: رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب والأئمّة وفاطمة وخديجة صلوات الله عليهم وذرّيتهم الذين اتّبعتهم بإيمان ليتسنّم عليهم من أعالي دورهم**»[٢].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، مطبوعات إسماعيليّان، طهران: ج ٤ ص ٤٤٠

(٢) تأويل الآيات الظاهرة، شرف الدّين علي الحسيني الاسترابادي، منشورات مدرسة الإمام

• عن الإمام الباقر عليه السلام، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: «**تسنيم أشرف شراب في الجنّة يشربه محمّد وآل محمّد صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين وسائر أهل الجنّة**»[١].

وفي بعض الروايات أنّ نهر الكوثر هو النهر الذي من العين المسمّاة «تسنيم»، وهو نهرٌ يجري تحت عرش الله سبحانه وتعالى.

• عن عبد الله بن عبّاس قال: «لمّا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: **نهرٌ أكرمني الله به**. قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف فانعته له يا رسول الله. قال: **نعم يا عليّ، الكوثر نهرٌ يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، وحصاه (حصاؤه) الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ**. ثمّ ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده في جنب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: **يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي**»[٢].

• عن ابن عبّاس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «**إنّ الله عزّ وجلّ أعطاني نهراً في السماء مجراه تحت العرش، عليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، حشيشها الزعفران، ورضراضها الدرّ والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذلك خيرٌ لي ولأُمّتي، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾**»[٣].

المهدي عليه السلام، قم : سورة المطففين، الحديث ١١، ص ٧٧٨.

(١) المصدر نفسه: ص ٧٧٩ ، سورة المطففين، الحديث ١٢.

(٢) بحار الأنوار: الحديث ٢، ج ٨ ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه: الحديث ٣، ج ٨ ص ٨٨.

• قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنا مع رسول الله ومعي عترته على الحوض، فمَن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا، فإنّ لكلّ أهل بيت نجيباً ولنا شفاعة، ولأهل مودّتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض فإنّا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أحبّاءنا وأولياءنا، ومن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً، حوضنا مترع، فيه مثعبان (مثقبان ـ شعبان) ينصبان من الجنّة، أحدهما من تسنيم، والآخر من معين، على حافّتيه الزعفران وحصاه اللؤلؤ والياقوت وهو الكوثر**»[١].

ومن الأنهار التي ذكرها القرآن الكريم والروايات: «الخير»:

• عن الحسين بن أعين أخي مالك بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الرجل للرجل: جزاك الله خيراً، ما يعني بذلك؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: «**إنّ خيراً نهرٌ في الجنّة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأوصياء وشيعتهم، على حافّتي ذلك النهر جواري نابتات، كلّما قلعت واحدة نبتت أخرى، سمّي بذلك النهر وذلك قوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ وإذا قال الرجل لصاحبه: جزاك الله خيراً فإنّما يعني بذلك تلك المنازل التي أعدّها الله عزّ وجلّ لصفوته وخيرته من خلقه**»[٢].

ومنها: نهر «الرحمة»:

• عن الصادق عليه السلام في خبر المعراج قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ... **ثمّ خرجت من البيت المعمور فانقاد لي نهران: نهرٌ تسمّى الكوثر، ونهرٌ تسمّى الرحمة، فشربت من الكوثر، واغتسلت من الرحمة، ثمّ انقادا لي**

---

(١) المصدر نفسه: الحديث ٩، ج ٨ ص ٢٠.

(٢) الكافي، مصدر سابق: الحديث ٢٩٩، ج ٨ ص ٢٣١.

جميعاً حتّى دخلت الجنّة، وإذا على حافّتيها بيوتي وبيوت أزواجي (أهلي) وإذا ترابها كالمسك...»[١].

ومنها نهرٌ اسمه «جعفر»:

• عن شاذان، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «**قال لي أبي: إنّ في الجنّة نهراً يُقال له جعفر، على شاطئه الأيمن درّة بيضاء، فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف قصر لمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله، وعلى شاطئه الأيسر درّة صفراء فيها ألف قصر، في كلّ قصر ألف قصر لإبراهيم وآل إبراهيم عليهم السلام**»[٢].

ومنها الأنهار التي تنبع من جبال العقيق:

عن بشير الدهّان، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك أيّ الفصوص أركبه على خاتمي؟ قال: **يا بشير أين أنت عن العقيق الأحمر والعقيق الأصفر والعقيق الأبيض، فإنّها ثلاثة جبال في الجنّة، فأمّا الأحمر فمطلّ على دار رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا الأصفر فمطلّ على دار فاطمة صلوات الله عليها، وأمّا الأبيض فمطلّ على دار أمير المؤمنين عليه السلام، والدور كلّها واحدة، يخرج منها ثلاثة أنهار، من تحت كلّ جبل نهر أشدّ برداً من الثلج، وأحلى من العسل، وأشدّ بياضاً من الدرّ، لا يشرب منها إلاّ محمّد وآله وشيعتهم، ومصبّها كلّها واحد، ومجراها من الكوثر، وإنّ هذه الثلاثة جبال تسبّح الله وتقدّسه وتمجّده وتسغفر لمحبّي آل محمّد عليهم السلام**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: الحديث ٢٠، ج ٨ ص ١٢٣.

(٢) الكافي: الحديث ١٣٨، ج ٨ ص ١٥٢.

(٣) بحار الأنوار: الحديث ١٥٦، ج ٨ ص ١٨٧.

ومن خلال التأمّل في هذه الروايات وغيرها نجد أنّ أنهار الجنّة كثيرة ومتعدّدة، وأنّ هناك عيوناً تغذّي هذه الأنهار، فالكوثر مثلاً من الأنهار الأساسيّة في الجنّة والذي يخرج منه بعض الأنهار، وهو في الوقت ذاته ينبع من عين إسمها (تسنيم).

فبالإضافة إلى وجود الأنهار في الجنّة كذلك هناك عيون تجري وتنبع منها تلك الأنهار.

ومن هذه العيون عين تسمّى «عين الكافور» والآيات والروايات لم تتحدّث عن الأنهار التي تجري في هذه العين، وإن كان القرآن الكريم أشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (الإنسان: ٥ ـ ٦).

وفي تفسير هذه الآية قال الطباطبائي: «الكأس إناء الشراب إذا كان فيه شراب، والمزاج ما يمزج به كالحزام لما يحزم به، والكافور معروف يضرب به المثل في البرودة وطيب الرائحة، وقيل: هو اسم عين في الجنّة... وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ...﴾ «عيناً» منصوب بنزع الخافض والتقدير من عين أو بالاختصاص والتقدير أخصّ عيناً، والشرب ـ على ما قيل ـ يتعدّى بنفسه وبالباء فشرب بها وشربها واحد، والتعبير عنهم بعباد الله للإشارة إلى تحلّيهم بحلية العبوديّة وقيامهم بلوازمها على ما يفيد سياق المدح.

وتفجير العين شقّ الأرض لإجرائها، وينبغي أن يحمل تفجيرهم العين على إرادتهم جريانها لأنّ نِعَم الجنّة لا تحتاج في تحقّقها والتنعّم بها إلى أزيد من مشية أهلها...»[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ٢٠ج ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦.

وعلى كلّ حال فإنّ الروايات تبيّن أنّ هناك عيناً في الجنّة تسمّى «كافوراً»، والآيات (الخامسة والسادسة) من سورة الإنسان تذكر أنّ الأبرار يشربون من شراب ممزوج بالكافور، وأنّ الكافور هو عينٌ يشربُ بها عباد الله، ولكنّ «الأبرار» يشربون ممزوجاً من هذه العين لا أنّهم يشربون خالصاً، وهذا بخلاف «عباد الله» الذين يشربون خالصاً من هذه العين كما في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾، أمّا شراب الأبرار فقد قالت الآية: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾».

وهذا المعنى ذكرته آيات سورة المطفّفين حيث ذكرت أنّ الأبرار يشربون من التسنيم ممزوجاً: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، وهنا ذكرت أنّهم يشربون الكافور ممزوجاً، أمّا من يشرب من التسنيم خالصاً، ومن يشرب من الكافور خالصاً فهم المقرّبون ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ .

«فعباد الله» في سورة الإنسان هم أنفسهم «المقرّبون» في سورة المطفّفين.

وهناك الكثير من الأنهار والعيون التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والروايات الشريفة، ونحن إذ نكتفي بما ذكرناه نحيل القارئ الكريم على تلك الكتب.

أبواب الجنّة

جاء في الروايات أنّ للجنّة أبواباً متعدّدة، منها:

• عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «**إنّ للجنّة ثمانية أبواب: بابٌ يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء**

والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا، فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربِّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومَن تولاّني في دار الدُّنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك وشفّعت في شيعتك، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومَن تولاّني ونصرني وحارب مَن حاربني بفعل أو قول في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله ولم يكن في قلبه مقدار ذرّة من بغضنا أهل البيت»(١).

وعنه عليه السلام قال: «**إنّ للجنّة إحدى وسبعين باباً، يدخل من سبعين منها شيعتي وأهل بيتي، ومن باب واحد سائر الناس**»(٢).

والسبب في اختلاف الروايات في أنّها ذكرت مرّة وجود ثمانية أبواب، ومرّة أخرى ذكرت وجود واحد وسبعين باباً، هو أنّ هناك أبواباً أصليّة، وكلّ باب من هذه الأبواب الأصليّة لها أبواب فرعيّة.

فالأبواب الأصليّة للجنّة هي ثمانية، كما أنّ أبواب الجحيم سبعة، وهذا لا ينافي أنّ كلّ باب له أبواب فرعيّة.

والسؤال المهمّ هنا هو ما معنى أن يكون للجنّة أبواب ؟

التصوّر الأوّلي الذي يتبادر إلى الذهن هو أنّ الجنّة درجة واحدة، أو مقام واحد، ولكنّ الدخول إليه يختلف من باب إلى آخر.

وهذا الفهم يمكن تصويره بأنّ الجنّة كالدار أو الصالة الكبيرة ولها أبواب متعدّدة، فهناك باب خاصّ للمسؤولين، وباب خاصّ لطبقة الناس العاديّين وهكذا...، وفي هذه الحالة فإنّ الجميع يدخل إلى هذه الصالة

---

(١) **الخصال**، مصدر سابق: الحديث ٦، الباب ٨ ص ٤٠٧.

(٢) **مناقب آل أبي طالب**، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٧٧.

والبعض يجلس في المقدّمة والبعض الآخر يجلس في المؤخّرة، وإذا كانت الصالة مبرّدة فإنّ الجميع سيشعر بالبرودة، وكذلك لو كانت حارّة. فالدخول يختلف بين الناس، وإلاّ فالجميع يدخل إلى الصالة.

إلا أنّ الرواية المتقدّمة عن علي عليه السلام لا تنسجم مع هذا الفهم للأبواب، وإنّما المقصود منها أنّ هذه الأبواب من قبيل الطبقات، وكلّ باب من هذه الأبواب يؤدّي إلى طبقة من طبقات الجنّة، وليس أنّ الأبواب جميعها تؤدّي إلى طبقة واحدة وإلى موضع ومحلّ واحد.

فعندما تقول الرواية: (باب يدخل منه الأنبياء...) لا يعني أنّه نفس الذي يدخل إليه سائر المسلمين، أو بعض الشيعة، فليس الأمر كذلك. فإنّ الطبقة التي أُعدّت للأنبياء والصدِّيقين هي غير الطبقة التي أُعدّت لباقي الناس، وإلى هذا المعنى أشارت الروايات، ومنها:

- قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا تقولوا جنّة واحدة، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: درجاتٌ بعضها فوق بعض**[1]»[2].

فكلّ مؤمن في الجنّة له جنّته الخاصّة به، والبعض له جنّة واحدة، والبعض الآخر جنّتان، والثالث له ثلاث جنان وهكذا...، وسبب الاختلاف هو اختلاف درجات المؤمنين ودرجات الأوصياء، والصالحين والشهداء، والعلماء، والأنبياء... وهكذا الحال بالنسبة إلى أبواب الشيعة التي حدّدتها الروايات بأنّها خمسة إذ إنّ الشيعة أيضاً هم على درجات مختلفة، فمنهم الصابرون، ومنهم الشاكرون و...

---

(١) في القرآن الكريم: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ (الزخرف: ٣٢).

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٩٥، ج ٨ ص ١٩٨.

عن عبد الله بن عليّ أنّه «لقي بلالاً مؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله في ما سأله عن وصف بناء الجنّة قال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **إنّ سور الجنّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، ولبنة من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر**[1]**، وشرفها الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر؛** قلت: فما أبوابها؟ قال: **أبوابها مختلفة: باب الرحمة من ياقوتة حمراء.** قلت: فما حلقته؟ قال: **ويحك كفّ عنّي فقد كلّفتني شططاً**[2]. قلت: ما أنا بكاف عنك حتّى تؤدّي إليّ ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، قال: **اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا باب الصبر فبابٌ صغير مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له. وأمّا باب الشكر فإنّه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان.. وأمّا باب البلاء،** قلت: أليس باب البلاء هو باب الصبر؟ قال: **لا... أمّا الباب الأعظم فيدخل منه العباد الصالحون، وهم أهل الزهد والورع...**»[3].

ومن أبواب الجنّة، باب المعروف:

• عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ للجنّة باباً يُقال له المعروف، لا يدخله إلاّ أهل المعروف، وأهل المعروف في الدُّنيا هم أهل المعروف في الآخرة**»[4].

ومنها باب المجاهدين:

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**للجنّة باب يُقال له باب المجاهدين،**

---

(١) ملاطها المسك الأذفر: الملاط هو الذي يُجعل بين ساقي البناء يملط به الحائط أي يخلط.

(٢) الشطط: الجور والتجاوز عن الحدّ.

(٣) **أمالي الصدوق**، مصدر سابق: الحديث ٢، المجلس ٣٨، ص ١٧٧ـ١٧٨.

(٤) **الكافي**، مصدر سابق: الحديث ٤، ج ٤ ص ٣٠.

يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون سيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحّب بهم»(١).

ومنها باب الرّيان:

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «**إنّ للجنّة باباً يُدعى باب الريّان، لا يدخل منه إلاّ الصائمون**»(٢).

الكتابة على أبواب الجنّة

الأبواب التي هي أبواب طبقات الجنّة كُتبت عليها كتابات مختلفة، فكلّ باب كُتب عليه مجموعة من الكلمات، وبعض هذه الكلمات مشتركة بين الأبواب جميعاً، وبعضها يختلف من باب إلى آخر. فما هو وجه الاشتراك وما هو وجه الاختلاف؟

هذا ما يتّضح من الروايات، ومنها:

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: قد أُمرت الجنّة والنار أن تعرض عليك، قال: فرأيت الجنّة وما فيها من النعيم، ورأيت النار وما فيها من العذاب؛ والجنّة فيها ثمانية أبواب، على كلّ باب منها أربع كلمات، كلّ كلمة خير من الدُّنيا وما فيها لمَن يعلم ويعمل بها؛ وللنار سبعة أبواب، على كلّ باب منها ثلاث كلمات، كلّ كلمة خيرٌ من الدُّنيا وما فيها لمن يعلم ويعمل بها، فقال لي جبرئيل عليه السلام: إقرأ يا محمّد ما على الأبواب، فقرأتُ ذلك، أمّا أبواب الجنّة فعلى أوّل باب منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله** ـ وهذه هي الأصول

---

(١) أمالي الصدوق: الحديث ٨، المجلس ٨٤، ص ٤٦٢.

(٢) معاني الأخبار، للشيخ الصدوق: الحديث ٩٠، ص ٤٠٩.

المشتركة بين جميع هذه الأبواب، وهذا إشارة إلى أنّ الشرط للدخول إلى هذه الأبواب هو العقيدة الصحيحة وهي الإيمان بالتوحيد وبالنبوّة والإمامة والولاية، وهي ليست كتابات اعتباريّة كما في عالمنا، بل هي قائمة على أُسس وجوديّة تكوينيّة، ثمّ ذكرت الروايات أنّ لكلّ شيء حيلة أي طريقة ومنهج ـ **لكلّ شيء حيلة، وحيلة العيش أربع خصال: القناعة، وبذل الحقّ، وترك الحقد، ومجالسة أهل الخير.**

وعلى الباب الثاني مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله، لكلّ شيء حيلة، وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رؤوس اليتامى، والتعطّف على الأرامل، والسعي في حوائج المؤمنين، والتفقّد للفقراء والمساكين.

وعلى الباب الثالث مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله، لكلّ شيء حيلة، وحيلة الصحّة في الدُّنيا أربع خصال: قلّة الكلام، وقلّة المنام، وقلّة المشي، وقلّة الطعام.

وعلى الباب الرابع مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله، مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم والديه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيراً أو يسكت.

وعلى الباب الخامس مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله، مَن أراد أن لا يُظلم فلا يَظلم، ومن أراد أن لا يُشتم فلا يَشتم، ومَن أراد أن لا يُذَلَّ فلا يُذِلّ، ومَن أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى في الدُّنيا والآخرة فليقُل: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله.

وعلى الباب السادس مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ

الله، مَن أراد أن يكون قبره وسيعاً فسيحاً، فليبن المساجد، ومَن أراد أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليسكن المساجد، ومَن أحبَّ أن يكون طريّاً مطرّاً لا يبلى فليكنس المساجد، ومَن أحبَّ أن يرى موضعه في الجنّة فليكسِ المساجد بالبسط.

وعلى الباب السابع مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله، بياض القلب في أربع خصال: عيادة المريض، واتّباع الجنائز، وشراء الأكفان، وردّ القرض.

وعلى الباب الثامن مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّدٌ رسول الله، عليٌّ وليّ الله، مَن أراد الدخول من هذه الأبواب فليتمسّك بأربع خصال: السخاء، وحسن الخلق، والصدقة، والكفّ عن أذى عباد الله تعالى»[1].

ثمّ إنّ هذه الطبقات في كلّ واحدة منها درجات؛ فطبقة الأنبياء فيها درجات، وطبقة الأولياء فيها درجات، وطبقة الشهداء فيها درجات، والصالحين، والصابرين، والشاكرين... .

وراثة المؤمنين للجنّة

ورد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تعبير يتضمّن وراثة المؤمنين للجنّة، أو وراثة الجنّة.

وبحث الوراثة والإرث في القرآن الكريم فيه كلام طويل بمقدار ما عرضت الآيات القرآنيّة لمسألة الإرث ، وهذه الآيات يمكن تقسيمها بنحو العموم إلى ثلاث طوائف، وكلّ واحدة من هذه الطوائف تحدّثت عن معنى للإرث يختلف عمّا تتحدّث عنه الطوائف الأخرى.

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: الحديث ٦٧، ج ٨ ص ١٤٤.

ولعلّ معنى الوراثة لا يكون واحداً من الناحية المفهوميّة، ومن الناحية اللغويّة، ولكن المصاديق وموارد الاستعمال قد تكون مختلفة من نحو إلى نحو آخر.

وعلى أيّ حال فإنّ مراجعة الآيات الكريمة تفيد بأنّها تنقسم إلى ثلاث طوائف في مجال الإرث وهي:

الطائفة الأولى: الإرث المتعارف عليه في أبواب الفقه والأبحاث الفقهيّة، فالإنسان إذا توفّي وكان له هناك مَن يرثه من أولاده وزوج وأبوين و...، وهذه الطائفة مختصّة بالدُّنيا، ولا علاقة لها بعالم البرزخ ولا بعالم الحشر الأكبر، بل هي مرتبطة بعالم التكليف في الدُّنيا.

الطائفة الثانية: الوراثة المرتبطة بعالم المعنى، والعلم، وليست وراثة مرتبطة بعالم النسب والمادّة، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ...**﴾ (النمل: ١٦).

فمن خلال التدقيق في الآية نجد أنّها ترتبط بالإرث الذي لا علاقة له بالإرث المبحوث عنه في الأبحاث الفقهيّة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ (فاطر: ٣٢). وهو إشارة إلى الإرث المرتبط بعالم المعرفة، وعالم الكتاب، ومعارف الكتاب، ونحو ذلك.

ومن ذلك ما ورد في كثير من روايات الفريقين: «**العلماء ورثة الأنبياء**». فهنا ليس المراد الإرث الفقهي، بل الوراثة في البُعد الذي يرتبط بالنبوّة والعلم.

ومن ذلك أيضاً ما ورد في كتب الفريقين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «**أنت أخي ووارثي**».

ومن ذلك أيضاً ما نقرأه في زيارة الإمام الحسين عليه السلام أو سائر الأئمّة عليهم السلام: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبيّ الله...**».

فهذا نوع من الإرث لا يرتبط بعالم النسب وما هو مذكور في باب الفقه، بل هو الفقه المرتبط بعالم المعارف والتوحيد، وعالم العلوم التي جاءت من الكتب السماويّة السابقة وانتقلت إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ومنه إلى أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

الطائفة الثالثة: هي ما ورد في أنّ المؤمنين ورثوا الجنّة ـ وهذا هو محلّ بحثنا ـ وقد عرضت الآيات القرآنيّة لهذه القضيّة في الكثير من الموارد ومنها:

- قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ٤٣).
- وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ٦٣).
- وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١ ـ ١١).
- وقوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (الشعراء: ٨٣ ـ ٨٥).

فكما أنّ المال يورَّث في الدُّنيا، وكما أنّ العلم يورَّث في الدُّنيا، كذلك الجنّة تورَّث.

• ومنها: قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ * ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ * وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ * لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ (الزخرف: ٦٨ ـ ٧٣).

فهذه مجموعة من الآيات التي عرضت لمسألة أنّ الجنّة قابلة للإرث.

المراد من وراثة الجنّة

يمكننا أن نتبيّن حقيقة معنى وراثة الجنّة من خلال الروايات التي أشارت إلى أنّ الله سبحانه وتعالى جعل لكلّ إنسان موضعاً في الجنّة، وموضعاً في النار، ومن هذه الروايات التي بيّنت هذه الحقيقة:

• عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**ما خلق الله خلقاً إلاّ جعل له في الجنّة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنّة أشرفوا، فيشرفون على النار وترفع لهم منازلهم في النار ثمّ يُقال لهم: هذه منازلكم التي لو عصيتم ربّكم دخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب.**

ثمّ ينادون: يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنّة، فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنّة وما فيها من النعيم، فيُقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربّكم دخلتموها. قال: **فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء**

وهؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾»[1].

فهاهنا قاعدة أساسيّة أشارت إليها الروايات وهي أنّ لكلّ إنسان منزلين؛ منزل في الجنّة ومنزل في النار.

والسؤال: لماذا ينتقل الشخص من هنا إلى هناك؟ أي لماذا يترك منزله في النار ويكون من أهل الجنّة، ولماذا يترك منزله في الجنّة ويكون من أهل النار؟

الجواب: لكي يحصل الإنسان على هذا المنزل أو ذاك، لابدّ أن يأتي بالعمل الصالح والاعتقاد الحقّ، وعند ذلك إذا تهيّأت شروط الدخول إلى الجنّة فلا يُعطى فقط المنازل التي له، بل يُعطى أيضاً المنازل التي كانت للآخرين والذين تركوها بالمعصية فدخلوا إلى النار.

وهذا نحو من أنحاء الإرث، لأنّهم ورثوا منازل الآخرين، وكذلك الحال في أهل النار، الذين سيرثون منازل أهل الجنّة في النار.

وهذا احتمال في تفسير المعنى المراد من وراثة الجنّة، وهناك احتمال آخر لهذا التفسير يمكن الإشارة إليه في المقام وهو: إنّ الإرث الدنيوي أو المالي أو الفقهي له مجموعة من الشروط لابدّ من توفّرها، ومجموعة من الموانع لابدّ من ارتفاعها لكي يحصل الوريث على المال الذي تركه الوارث.

في الأبحاث الفقهيّة يقولون: «**من أحيا أرضاً مواتاً فهي له**» فإذا كانت الأرض ميتة لا صاحب لها، ولا مالك لها، وجاء إنسان وأحياها بالزرع أو البناء أو العمارة يكون مالكاً لها، وهذه الحيازة تكون سبباً للملكيّة.

---

(١) **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م ص ٣٠٥.

وهكذا الحال في الجنّة التي كما ورد في الروايات أنّها «**قيعان غراسها قول المؤمن لا إله إلاّ الله، سبحان الله...**» فالجنّة أيضاً يمكن أن تُحيى، فإذا أحياها الإنسان يكون مالكاً ووارثاً لها، كما في الإحياء في الدُّنيا حيث يكون مالكاً للأرض. أمّا كيفيّة الإحياء فهي بالأعمال الصالحة والاعتقادات الحقّة.

وفي مضمون الآيات المتقدِّمة إشارة واضحة إلى هذا المضمون كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ ومنشأ الإرث: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

والمراد من العمل هنا ما هو الأعمّ من عمل الجوارح والجوانح.

يقول الطباطبائي وهو يشير إلى المعنى الثاني: «الإرث والوراثة هو أن ينتقل مال أو ما يشبهه من شخص إلى آخر بعد ترك الأوّل له بموت أو جلاء أو نحوهما، وإذ كانت الجنّة في معرض العطاء لكلّ إنسان بحسب الوعد الإلهي المشروط بالإيمان والعمل الصالح فاختصاص المتّقين بها بعد حرمان غيرهم عنها بإضاعة الصلاة واتّباع الشهوات وراثة المتّقين، ونظير هذه العناية ما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)، وقوله: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (الزمر: ٧٤) والآية ـ كما ترى ـ جمعت بين الإيراث والأجر»[(١)].

تمايز لذائذ الجنّة عن لذائذ الدُّنيا

في بعض مضامين ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**لا يُعرف ما هناك إلاّ بما هاهنا**»، أي: إنّ الله سبحانه وتعالى ضرب للإنسان لكلّ ما يرتبط بتلك الحقائق الأخرويّة مثلاً في هذه النشأة الدنيويّة.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٤ ص ٧٩.

فما من حقيقة من حقائق عالم البرزخ والحشر الأكبر ... في الجنّة والنار إلاّ وقد أوجد لها مثلاً في هذه النشأة الدنيويّة: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ (العنكبوت: ٤٣) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ (الإسراء: ٤١).

فكلّ الحقائق المرتبطة بعالم الملك والملكوت، وعالم الظاهر والباطن، وعالم الغيب وعالم الشهادة... بنشآته المتعدّدة في قوس النزول والصعود له مثل في هذا العالم.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك: «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**». فهو خير شاهد ومثال على إمكانيّة أن يرتقي الإنسان من معرفة النفس إلى معرفة الله سبحانه وتعالى. وفي ضوء هذه القاعدة نستطيع أن ندخل في بيان النِّعم الأخرويّة:

النِّعم الدنيويّة الموجودة في هذه النشأة على قسمين:

أوّلاً: النِّعم المادّية المرتبطة بالجسم، من قبيل المبصرات وما يراه الإنسان من مناظر جميلة وخلاّبة، والمأكولات التي يأكلها ويتذوّقها، والمشمومات والروائح الطيّبة، والمسموعات والأصوات الجميلة، والملموسات ونحو ذلك...

فهذه مجموعة من الأمور التي يلتذّ بها الإنسان، وهي لذائذ مرتبطة بالبُعد المادّي في وجود الإنسان.

ثانياً: النِّعم المعنويّة، من قبيل اللذائذ المرتبطة بالعلم. فالإنسان إذا تعلّم شيئاً يدخله من السرور ما لا يدخل كثيرين من الناس، وهكذا عند فوزه بشيء معيّن، أو تحقيقه لانتصار ما، وهكذا تحصيل رضا الله تعالى، ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمّة المعصومين عليهم السلام. فهذه كلّها نِعَم لا دخل ولا ارتباط مباشر لها بجسم الإنسان على الإطلاق.

والآيات القرآنيّة تحدّثت عن هذين القسمين من النِّعم. فالقسم الأوّل من قبيل:

- قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (البقرة: ٢٥)، فالأنهار، والجنّات، والفواكه، والعسل، والماء، واللبن و... كلّها أمور مرتبطة بالبُعد المادّي.

- وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ (البقرة: ٢٥).

- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ (النساء: ٥٧).

- وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ (الرعد: ٣٥).

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٥ ـ ٤٧).

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٣٠ ـ ٣١).

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (الحجّ: ٢٣).

• وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ * فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ * فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ * يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ * بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ * لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ * وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ * كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ * فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ (الصافات: ٤١ـ ٥٠).

إلى عشرات من الآيات القرآنيّة التي تحدّثت عن البُعد المرتبط بالجسم، مع الإشارة إلى أنّ اللذّة هنا وإن كانت للجسم لكنّها في الحقيقة للروح، لأنّ الملتذّ هو الروح ولكنّ الجسم كان له مدخليّة وسبب في هذه اللذّة.

بمعنى آخر: فإنّ كلّ اللذائذ هي للروح، ولكن تارةً تلتذّ الروح بشيء من غير توسّط الجسم، كالأمور واللذائذ المعنويّة، وأخرى تلتذّ بشيء ولكن من خلال توسّط الجسم.

وكذلك ذكرت هذا النوع من اللذائذ المادّية الروايات الشريفة، ومنها:

• عن عليّ عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ في الجنّة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أُمّتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى بالليل والناس نيام**»[1].

• عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «**إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ الله إلى جنانه ومساكنه واتّكأ كلّ مؤمن منهم على أريكته حفّته خدّامه، وتهدّلت** (أي تساقطت) **عليه الثمار، وتفجّرت حوله العيون، وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابيّ، وصفّفت له النمارق، وأتته الخدّام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك، قال: ويخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله...**»[2].

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: الحديث ٥، ج ٨ ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه: الحديث ٥٧، ج ٨ ص ١٤٠ ـ ١٤١.

• وفي التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: «**إنّ في الجنّة طيوراً كالبخاتي، عليها من أنواع المواشي، تصير ما بين سماء الجنّة وأرضها، فإذا تمنّى مؤمن محبّ للنبيّ وآله عليهم السلام الأكل من شيء منها وقع ذلك بعينه بين يديه، فتناثر ريشه وانشوى وانطبخ، فأكل من جانب...**»[1].

أمّا النِّعم المعنويّة التي أشارت إليها الآيات القرآنيّة فمنها ما تحدّث عن مقام المؤمنين الذين يفوزون بالجنّة برضا الله تعالى من قبيل:

• قوله تعالى: ﴿**رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ**﴾ (المائدة: ١١٩).

• وقوله تعالى: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ**﴾ (التوبة: ٧٢). حيث أشارت الآية في شقّها الأوّل إلى النِّعم المادّية، وفي شقّها الثاني إلى النِّعم المعنويّة.

• وقوله تعالى: ﴿**ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ**﴾ (الحديد: ٢٠).

إلى غير ذلك من الكثير من آيات الكتاب العزيز.

أمّا في الروايات فنجد أيضاً حديثاً فيها عن النِّعم واللذائذ المعنويّة، ومنها:

• الرواية المتقدِّمة عن عليّ بن الحسين عليهما السلام حيث ورد في ذيلها قوله عليه السلام: «**ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم عليهم فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي في جواري، ألا هل أُنبّئكم بخير ممّا أنتم فيه؟ فيقولون:**

---

(١) المصدر نفسه: الحديث ٥٨، ج ٨٠ ص ١٤١.

ربّنا وأيّ شيء خيرٌ ممّا نحنُ فيه؟ نحن في ما اشتهت أنفسنا، ولذّت أعيننا من النِّعم في جوار الكريم. قال: **فيعود عليهم بالقول، فيقولون: ربّنا نعم فأتنا بخير ممّا نحن فيه، فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاي عنكم ومحبّتي لكم خيرٌ وأعظم ممّا أنتم فيه.** قال: **فيقولون: نعم يا ربّنا رضاك عنّا ومحبّتك لنا خيرٌ لنا وأطيب لأنفسنا.** ثمّ قرأ عليّ بن الحسين عليهما السلام هذه الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

• عن سلمان، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**والله يا عليّ إنّ شيعتك ليؤذَن لهم في الدخول عليكم في كلّ جمعة، وإنّهم لينظرون إليكم من منازلهم يوم الجمعة كما ينظر أهل الدُّنيا إلى النجم في السماء، وإنّكم لفي أعلى عليّين في غرفة ليس فوقها درجة أحد من خلقه**»[2].

ولا شكّ بأنّ نِعَم أهل الجنّة بقدر درجاتهم، ومن النِّعم الأساسيّة لأهل الجنّة والتي أشارت لها الروايات ريح الجنّة:

• عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**مَن صلّى عليَّ ولم يصلِّ على آلي لم يجد ريح الجنّة، وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام**»[3].

فالنِّعم في الجنّة كثيرة ولا يمكن هنا تعدادها لأنّها ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) **تفسير العيّاشي**، مصدر سابق: الحديث ٨٨، ج ٢ ص ١٠٢ـ١٠٣. والآية من سورة التوبة: ٧٢.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ١٢١، ج ٨ ص ١٧٤.

(٣) **أمالي الصدوق**، مصدر سابق: الحديث ٩، المجلس ٣٦ ص ١٦٧.

المبحث الرابع والعشرون

النار ودركاتها

- مجيء جهنّم
- النار ودركاتها
- البرهان على وجود دركات جهنّم
- درجات الذنوب والمعاصي
- كيف يدخل الناس إلى النار؟
- العلاقة بين النظام الأحسن وخلق النار

مجيء جهنّم

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ (الفجر: ٢٢ ـ ٢٣).

في هذه الآية الكريمة عدّة تساؤلات، هي: ما معني المجيء بجهنّم؟ وكيف ومتى يؤتى بجهنّم؟ ومتى يطّلع أهل المحشر على جهنّم؟

ولأنّ هذه الأبحاث ترتبط بعالم الغيب والباطن، وملكوت السماوات والأرض، فإنّ العقل لا يمكن أن ينالها، لذا لا طريق لنا للإجابة عن هذه الأسئلة إلاّ من خلال إخبارات القرآن الكريم والنبيّ العظيم محمّد صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

من الروايات الواردة في تفسير هذه الآية ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: بذلك أخبرني الروح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجميع الأوّلين والآخرين أتي بجهنّم تُقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هدّة وغضب وزفير وشهيق، وإنّها لتزفر الزفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب لأهلكت الجميع...**»[(١)].

وفي الرواية إشارة إلى أنّ الإتيان بجهنّم، واطّلاع أهل الحشر عليها يكون أوّل الحشر، لا أنّه في آخر الحشر، وثانياً: أنّ جهنّم تُقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد.

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤١٨.

وفي ما يتعلّق بعدد الملائكة الذين يقودون النار فهنا الروايات مختلفة:

ففي بعض الروايات أنّه: **إذا كان يوم القيامة تُقاد جهنّم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد شردة لولا...**

وبحثنا لا يتناول هذه المسألة لأنّها لا أهداف موضوعيّة لها، وإنّما هي للإشارة إلى الكثرة، وإلى عظمة تلك الحقيقة.

وفي تتمّة الرواية المتقدِّمة يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ثمّ يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البِرّ منهم والفاجر، فما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولا نبيّاً إلاّ ينادي: ربِّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تُنادي: أُمّتي أُمّتي، ثمّ يوضع عليها الصراط أدقّ من حدّ السيف، عليها ثلاث قناطر، فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرحم؛ وثانيها فعليها الصلاة، وأمّا الثالثة فعليها ربّ العالمين لا إله غيره؛ فيكلّفون الممرّ عليها فيحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ والناس على الصراط فمتعلّقٌ بيد، وتزول قدم، ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون: يا حليمُ اعفُ واصفح وعد بفضلك وسلّم، والناس يتهافتون في النار كالفراش فيها، فإذا نجا ناج برحمة الله مرّ بها فقال: الحمد لله وبنعمته تتمُّ الصالحات وتزكو الحسنات، والحمد لله الذي نجّاني منكِ بعد أياس، بمنّه وفضله إنّ ربّنا لغفورٌ شكور»[1].

ومن الآيات القرآنيّة التي ورد فيها قضيّة مجيء جهنّم:

- قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ (النازعات: ٣٦).
- وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (الشعراء: ٩١).

وفي ضوء فهم الآيات والروايات يظهر لنا أنّ معنى مجيء جهنّم يوم

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤١٨.

القيامة هو ظهورها للناس.

وهل هذه النار التي يُؤتى بها هي نفس النار التي يخلّد فيها أو يدخلها الغاوون؟

الجوابُ: لا هي نار الدُّنيا، ولا هي نار البرزخ، بل هي نار الحشر الأكبر. أي هي تلك النار التي وردت الآيات والروايات ببيان شدّة العذاب والآلام فيها.

وهنا لابدّ لنا من التمييز بين هذه النار التي في عالمنا، وبين نار البرزخ، وبين نار الحشر الأكبر من أجل أن تتوضّح لنا الحقيقة بشكل أكبر. فالقرآن الكريم عندما أراد أن يبيِّن هذه الحقيقة بيّنها بلغة واضحة لا ريبَ فيها، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ (الفجر: ٢٥ ـ ٢٦).

إنّ العذاب الذي يراه الكافر والمعاند والمنافق والعاصي في نار جهنّم لا يمكن أن يصدر من غيره سبحانه وتعالى، ولا يمكن لأحد أن يُعذِّب مثل هذا العذاب.

ومن أجل تقريب هذه الحقيقة إلى الذهن وبيان أنّ النار الموجودة عندنا لا يمكن أن تُقاس بنار الآخرة، وكذلك العكس، نورد ما يلي:

• قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّ ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وقد أُطفئت سبعين مرّة بالماء ثمّ التهبت، ولولا ذلك ما استطاع آدميّ أن يطيقها (يطفئها) وإنّه ليُؤتى بها يوم القيامة حتّى توضع على النار فتصرخ صرخةً لا يبقى ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسل إلاّ جثا على ركبتيه فزعاً من صرختها**»[1].

فالنار في يوم القيامة ليس لها قابليّة للانطفاء، أمّا النار في الدُّنيا فمن

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٦٧.

خصائصها أنّها تلتهب وتلتهب لكنّها بعد مدّة تبدأ بالضعف والانحسار، وفي يوم القيامة لا تخفّ شدّتها.

ومقصود الإمام عليه السلام من قوله: «**وإنّه ليُؤتى بها يوم القيامة...**» أنه يؤتى بنار الدُّنيا يوم القيامة حتّى توضع على النار في الآخرة، فتصرخ نار الدُّنيا الصرخة (وكأنّ شيئاً بارداً يوضع على شيء حار؛ لبيان الفارق في الشدّة والألم الموجود) لا يبقى ملكٌ مقرّب...

• عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قلت له: يابن رسول الله خوّفني فإنّ قلبي قد قسا، فقال: **يا أبا محمّد استعدّ للحياة الطويلة، فإنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً، فقال: يا محمّد قد وضعت منافخ النار، فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمّد إنّ الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتّى ابيضّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى احمرّت، ثمّ نفخ عليها ألف عام حتّى اسودّت فهي سوداء مظلمة، لو أنّ قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدُّنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أنّ حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدُّنيا لذابت الدُّنيا من حرّها، ولو أنّ سربالاً من سرابيل أهل النار علّق بين السماء والأرض لمات أهل الدُّنيا من ريحه.**

قال: **فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرئيل، فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إنّ ربّكما يقرئكما السلام ويقول: قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أُعذّبكما عليه.**

قال أبو عبد الله عليه السلام: **فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل مبتسماً بعد ذلك.**

ثمّ قال: **إنّ أهل النار يعظّمون النار وإنّ أهل الجنّة يعظّمون الجنّة**

والنعيم، وإنّ جهنّم إذا دخلوها هدوا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأُعيدوا في دركها فهذه حالهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ ثمّ تُبدَّل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام: **حسبك؟** قلت: حسبي حسبي»[١].

• عن عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال: «**إنّ أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من أليم العذاب، فما ظنّك يا عمرو بقوم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها، عطاشى فيها، جياع، كليلة أبصارهم، صمّ بكم عُمْي، مسودّة وجوههم، خاسئين فيها نادمين، مغضوب عليهم، فلا يُرحمون من العذاب، ولا يُخفّف عنهم وفي النار يُسجرون ومن الحميم يشربون، ومن الزقّوم يأكلون، وبكلاليب النار يحطمون، وبالمقامع يُضربون، والملائكة الغلاظ الشداد لا يرحمون؟ فهم في النار يُسحبون على وجوههم، مع الشياطين يُقرنون، وفي الأنكال والأغلال يُصفّدون، إن دعوا لم يُستجب لهم، وإن سألوا حاجةً لم تُقضَ لهم، هذه حال من دخل النار**»[٢].

• في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر في وصف النار: «**قعرها بعيد، وحرّها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يفترّ عذابها، ولا يموت ساكنها، دارٌ ليس فيها رحمة، ولا تسمع لأهلها دعوة...**»[٣].

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥٥.

(٢) أمالي الصدوق، مصدر سابق: الحديث ٢٤، المجلس ٨٢ ص ٤٤٧.

(٣) أمالي الطوسي، مصدر سابق: الحديث ١، ص ٢٨.

• قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأمّا أهل المعصية فخذلهم (فخلّدهم) في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلَّ منهم الأيدي إلى الأعناق، وأُلبس أجسادهم سرابيل القطران، وقطّعت لهم منها مقطّعات من النار، هم في عذاب قد اشتدّ حرّه، ونار قد أُطبق عليها أهلها فلا يفتح عنهم أبداً، ولا يدخل عليهم ريحاً أبداً ولا ينقضي منهم عمر أبداً، العذاب أبداً شديد، والعقاب أبداً جديد، لا الدار زائلة فتُفنى، ولا آجال القوم تُقضى. ثمّ حكى نداء أهل النار: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ قال: أي نموت، فيقول مالك: ﴿إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾**»[١].

• وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار، فارحموا نفوسكم فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدُّنيا، فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تُصيبه والعثرة تُدميه والرمضاء[٢] تُحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان؟ أعلمتم أنّ مالكاً إذا غضب على النار حطّم بعضها بعضاً لغضبه؟ وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته؟ أيّها اليفن[٣] الذي قد لهزه[٤] القتير[٥] كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق، ونشبت[٦] الجوامع[٧] حتّى أكلت لحوم السواعد؟ فالله الله معاشر العباد وأنتم سالمون في الصحّة قبل السقم، وفي الفُسحة قبل الضيق، فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها**»[٨].

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٦٢.
(٢) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة.
(٣) اليفن: الشيخ الكبير.
(٤) لهزه: خالطه.
(٥) القتير: الشيب أو أوّله.
(٦) نشب الشيء بالشيء أي علُق.
(٧) الجوامع: جمع جامعة وهي الغلّ لأنّها تجمع اليدين إلى العنق.
(٨) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.

كلّ هذه الروايات تبيِّن لنا بشكل واضح أنّه لا يمكن مقايسة النار الأخرويّة بالنار الدنيويّة.

النار ودركاتها

من المسائل الأساسيّة التي عرض لها القرآن الكريم في بعض آياته، وفصّلتها النصوص الروائيّة الواردة من طرق الفريقين:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر: ٤٣ ـ ٤٤).

فما هو المراد من أبواب جهنّم؟ وهناك احتمالان:

الأوّل: أنّه يوجد هناك عرصة كبيرة وهي مُحاطة بسبعة أبواب، ولكن كلّ باب من هذه الأبواب يؤدّي إلى موقع واحد (كما هو الحال في العرصات والصالونات الكبيرة حيث توجد أبواب متعدّدة للدخول إليها).

الثاني: أنّ النار هي سبع طبقات بعضها فوق بعض، فيكون المراد من الأبواب الطبقات السبع.

ولهذا الاحتمال الثاني شواهد ومؤيّدات منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥).

ومفاد الآية أنّ النار لها دركات، ولها أسفل وأعلى، والتعبير عن النار هو الدركات، وأمّا الجنّة فهو الدرجات، وذلك لأنّ الجنّة فيها صعود ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ (فاطر: ١٠)، فلهذا تكون درجة فوق درجة، أمّا النار فهي كالبئر الذي فيه نزول وهبوط لهذا تكون دركات.

أمّا الشواهد الروائيّة فهي أيضاً كثيرة، منها:

• عن أنس بن مالك، قال: «جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في ساعة ما كان يأتيه فيها متغيّر اللّون،... إلى أن قال: **فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أهي كأبوابنا هذه؟ فقال: لا، ولكنّها مفتوحة بعضها أسفل من بعض، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة، كلّ باب منها أشدّ حرّاً من الذي يليه سبعين ضعفاً يُساق أعداء الله إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل، فتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره، وتغلّ يده اليُسرى إلى عنقه، وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشدّ بالسلاسل، ويقرن كلّ آدميّ مع شيطان في سلسلة ويُسحب على وجهه، فتضربه الملائكة بمقامع من حديد كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها...**»(1).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر: ٤٣ ـ ٤٤) قال الطبرسي: «فيه قولان: **أحدهما:** ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ جهنّم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض ـ ووضع إحدى يديه على الأخرى فقال: هكذا ـ وأنّ الله وضع الجنان على العرض، ووضع النيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنّم وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية.

وفي رواية الكليني: أسفلها الهاوية، وأعلاها جهنّم.

وعن ابن عبّاس أنّ الباب الأوّل: جهنّم، والثاني: سعير، والثالث: سقر، والرابع: جحيم، والخامس: لظى، والسادس: الحطمة، والسابع: الهاوية. اختلفت الروايات في ذلك كما ترى، وهو قول مجاهد وعكرمة

---

(١) **علم اليقين**، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٤٠.

والجبائيّ، قالوا: إنّ أبواب النيران كاطباق اليد على اليد.

والآخر ما روي عن الضحّاك قال: للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدراك، بعضها فوق بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذّبون على قدر أعمالهم في الدُّنيا ثمّ يخرجون، والثاني فيه اليهود، والثالث فيه النصارى، والرابع فيه الصابئون، والخامس فيه المجوس، والسادس فيه مشركو العرب، والسابع فيه المنافقون، وذلك أنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وهو قول الحسن وأبي مسلم...»[١].

وفي بيان معنى هذه الدرجات وأنّه من باب التمثيل لأنّ المعنى أنّ شدّة حرارة تلك الدرجة، أو الطبقة من النار إذا قيست إلى غيرها تكون أشدّ حرارة وهكذا، وردت عدّة روايات؛ منها:

- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إنّ في النار لناراً يتعوّذ منها أهل النار، ما خلقت إلاّ لكلّ متكبِّر جبّار عنيد ولكلّ شيطان مريد، ولكلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب، وكلّ ناصب لآل محمّد ... إنّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاخ من نار، عليه نعلان من نار، وشراكان من نار، يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل**[٢]**، ما يرى أنّ في النار أحداً أشدّ عذاباً منه، وما في النار أحدٌ أهون عذاباً منه**»[٣].

وعن التشابه بين الجنّة والنار في وجود الدرجات والدركات قال الطبرسي: «وفي قوله سبحانه: ﴿فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي في الطبق الأسفل من النار، فإنّ النار طبقات ودركات كما أنّ الجنّة درجات فيكون

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥١٩ ـ ٥٢٠.

(٢) المرجل: ـ بالكسر ـ القدر من النحاس.

(٣) **تفسير القمّي**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٢٩.

المنافق في أسفل طبقة منها؛ لقبح فعله»[١].

البرهان على وجود دركات جهنّم

في الأبحاث المتعلّقة بتجسّم الأعمال، والبرزخ، والحشر الأكبر، بيّنا قاعدة أساسيّة مفادها أنّ الأعمال عموماً (أيّ عمل يقوم به الإنسان سواءً كان على مستوى الطاعات أم على مستوى المعاصي والذنوب) لها ظاهر وباطن.

أمّا ظاهر العمل فهو ما نجده في هذا العالم باعتبار أنّنا نعيش عالم الشهادة.

أمّا باطنه وحقيقته، فهو ما سيظهر لنا عندما ننتقل إلى يوم تبلى فيه السرائر، وعندما ننتقل إلى باطن هذا العالم؛ لأنّ الآخرة هي باطن الدُّنيا: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم: ٧) فما هو باطنٌ هنا سيكون في ذلك العالم ظاهراً، لأنّ هذا الظاهر الذي يوجد في عالمنا أي عالم الشهادة، يذهب مع ذهاب هذه الدُّنيا، أمّا لبّه وباطنه وملكوته فسوف يظهر لنا في البرزخ وفي القيامة الكبرى.

وذكرنا أيضاً أنّ الحشر الأكبر نسبته إلى البرزخ كنسبة البرزخ إلى عالم الدُّنيا.

أمّا الشواهد القرآنيّة والروائيّة التي تثبت أنّ النار هي باطن المعاصي والذنوب، فقد ذكرنا في أبحاث الجنّة أنّ الطاعات باطنها درجات الجنّة. والآن نقول الشيء نفسه في النار ودركاتها وطبقاتها، وأنّ النار هي باطن المعاصي والذنوب في الدُّنيا.

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٠٠.

وهنا نشير إلى بعض الآيات والروايات التي تبيِّن هذه الحقيقة الأساسيّة والمهمّة من مباحث الحشر الأكبر، ومنها:

• قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ (البقرة: ١٧٤). فقوله: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ أي يأخذوه بثمن بإزاء إنكار وكتمان ما أنزل الله تعالى ثمّ يأكلون هذا الثمن الذي هو في واقعه سيظهر لهم يوم القيامة ناراً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾ ، إذن ظاهر هذا الشيء في الدُّنيا هو الأكل، أي هو المال، وهو الثمن، أمّا باطنه فهو النار.

• قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ (النساء: ١٠).

فهؤلاء عندما ننظر إلى ما يأكلونه في الدُّنيا وهم يتلذّذون بذلك بحسب الظاهر، فإنّهم بحسب الباطن يأكلون النار، وسيلتفتون إلى ذلك عندما يَصْلَونَ سعيراً.

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي أشارت إلى هذه الحقائق.

أمّا من **ناحية الروايات** فنذكر منها:

• قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسقون من الحميم في الجحيم ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ فرجلٌ معلّق في تابوت من حجر، ورجل يجرّ أمعاؤه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه؛ فقيل لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها في نفسه أداءً ولا وفاءً، ثمّ يُقال للذي يجرّ أمعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما**

بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان لا يُبالي أين أصاب البول من جسده؛ ثمّ يُقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يحاكي فينظر إلى كلّ كلمة خبيثة فيسندها ويحاكي بها، ثمّ يقول للذي كان يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إنّ الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة»(١).

• عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقال: يا عليّ ليلة أُسري بي إلى السماء رأيت نساءً من أُمّتي في عذاب شديد، فأنكرت شأنهنّ فبكيت لما رأيت من شدّة عذابهنّ، ورأيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها؛ ورأيت امرأة معلّقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها؛ ورأيت امرأة معلّقة بثديها، ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها؛ ورأيت امرأة قد شدّ رجلاها إلى يديها وقد سلّط عليها الحيّات والعقارب؛ ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار، يخرج دماغ رأسها من منخرها، وبدنها متقطّع من الجذام والبرص؛ ورأيت امرأة معلّقة برجليها في تنوّر من نار؛ ورأيت امرأة تقطّع لحم جسدها من مقدّمها ومؤخّرها بمقاريض من نار؛ ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل أمعاءها؛ ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير، وبدنها بدن الحمار؛ وعليها ألف ألف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون رأسها وبدنها بمقامع من نار.**

فقالت فاطمة عليها السلام: حبيبي وقرّة عيني أخبرني ما كان عملهنّ

---

(١) ثواب الأعمال، مصدر سابق: الحديث ١ ص ٢٩٤.

وسيرتهنّ حتّى وضع الله عليهنّ هذا العذاب؟

فقال: أمّا المعلّقة بشعرها فإنّها كانت لا تغطّي شعرها من الرجال، وأمّا المعلّقة بلسانها فإنّها كانت تؤذي زوجها، وأمّا المعلّقة بثديها فإنّها كانت تمتنع من فراشها، وأمّا المعلّقة برجليها فإنّها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، وأمّا التي كانت تأكل لحم جسدها فإنّها كانت تزيّن بدنها للناس، وأمّا التي شُدّت يداها إلى رجليها وسُلّط عليها الحيّات والعقارب فإنّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض، ولا تتنظّف، كانت تستهين بالصلاة، وأمّا العمياء الصمّاء الخرساء فإنّها كانت تلد من الزناء فتعلّقه في عنق زوجها، وأمّا التي تقرض لحمها بالمقاريض فإنّها تعرض نفسها على الرجال، وأمّا التي كانت تُحرق وجهها وبدنها وهي تأكل أمعاءها فإنّها كانت قوّادة، وأمّا التي كان رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فإنّها كانت نمّامة كذّابة، وأمّا التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فإنّها كانت قينة (مغنّية) نوّاحة حاسدة.

ثمّ قال عليه السلام: **ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»**[(١)].

في هذه الرواية بيّن لنا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بشكل واضح وصريح أعمال النساء في الدُّنيا وما كان مؤدّاها في الآخرة التي هي باطن هذه الدُّنيا.

ولا يُتصوّر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر فقط باطن أعمال النساء السيّئة، بل ثمة روايات تتعلّق أيضاً بباطن أعمال الرجال، منها:

- عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، أنّ عليّاً عليه السلام قال:

---

(١) **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، مصدر سابق: الحديث ٢٤، الباب ٣٠ ج ٢ ص ١٣ـ١٤.

«إنّ في جهنّم رحىً تطحن خمساً (خمس فئات)**، أفلا تسألوني ما طحنها؟ فقيل له: وما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والقرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وإنّ في النار لمدينة يُقال لها: الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين»**(١).

- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم: يا عليّ إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ أُمّتي تغدر بك من بعدي، فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ لهم** ـ ثلاث مرّات ـ قلت: يا رسول الله وما ويلٌ؟ قال: **وادٍ في جهنّم أكثر أهله معادوك، والقاتلون لذرّيّتك، والناكثون لبيعتك، فطوبى ثمّ طوبى ثمّ طوبى** ـ ثلاث مرّات ـ **لَمن أحبّك ووالاك، قلت: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: شجرةٌ في دارك في الجنّة، ليس دار من دور شيعتك في الجنّة إلاّ وفيها غصنٌ من تلك الشجرة، تهدل عليهم بكلّ ما يشتهون»**(٢).

إذن على مستوى الروايات نجد بشكل واضح وصريح هذه الحقيقة، وهي أنّ النار هي باطن معاصي الإنسان، كما هو الحال في الآيات القرآنيّة المتقدِّمة.

درجات الذنوب والمعاصي

بعد الذي تقدّم حول كون الجزاء هو باطن العمل، وأنّ النار باطن المعصية، يأتي هذا السؤال وهو: هل الذنوب والمعاصي هي بدرجة واحدة أم هي بدرجات متعدّدة؟ وهل هي بشكل واحد أم بأشكال متعدّدة؟ أو فقل: هل هي بنوع واحد أم بأنواع متعدّدة ؟

---

(١) **الخصال**، مصدر سابق: الحديث ٦٥، الباب ٥ ص ٢٩٦.

(٢) **بحار الأنوار**: الحديث ٨٢، ج ٨ ص ٣١٢.

يقسِّم القرآن الكريم الذنوب والمعاصي إلى كبائر وصغار، والكبائر نجد أنّ فيها مراتب وأشدّها الشرك بالله تعالى، والغيبة بالقياس إلى الزنى هي أشدّ (بحسب الروايات).

ومفاد ذلك أنّ الذنوب تختلف في الشدّة والضعف، وفي الكِبر والصِغر، وفي الآثار المترتّبة عليها.

وبطبيعة الحال نستفيد من ذلك نتيجة وهي أنّ باطن هذه الذنوب يكون مختلفاً (شدّةً وضعفاً وكبراً وصغراً) من حيث الأثر.

وأشرنا في الأبحاث السابقة إلى أنّ الذين يدخلون النار يكونون من حيث العذاب على درجات متعدّدة كما في قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر: ٤٤). وقد ذكر المفسّرون أنّ لها طبقات، ولكن كلّ طبقة لها أجزاء، وكذلك الجنّة حيث إنّ لها ثمانية طبقات، ولكن كلّ طبقة لها درجات متعدّدة.

ولذا ذكر الطباطبائي في ذيل هذه الآية من سورة الحجر بأنّه بناءً على هذا فكون جهنّم لها سبعة أبواب هو كون العذاب المُعدّ فيها متنوّعاً إلى سبعة أنواع، ثمّ انقسام كلّ نوع أقساماً حسب انقسام الجزء الداخل الماكث في الجحيم، وذلك يستدعي انقسام الجزء الداخل الماكث فيه، وهذا نصّ كلامه في تفسيرالآية: «لم يبيّن سبحانه في شيء من صريح كلامه ما هو المراد بهذه الأبواب أهي كأبواب الحيطان مداخل تهدي الجميع إلى عرصة واحدة، أم هي طبقات ودركات تختلف في نوع العذاب وشدّته؟ وكثيراً ما يسمّى في الأمور المختلفة الأنواع كلّ نوع باباً كما يُقال: أبواب الخير وأبواب الشرّ وأبواب الرحمة؛ قال تعالى: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٤٤)، وربما سمّي أسباب الشيء وطرق الوصول إليه أبواباً

كأبواب الرزق لأنواع المكاسب والمعاملات.

وليس من البعيد أن يستفاد المعنى الثاني من متفرّقات آيات النار كقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا... قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾ (النساء: ٧١ ـ ٧٢)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (النساء: ١٤٥)، إلى غير ذلك من الآيات.

ويؤيّده قوله: ﴿لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ فإنّ ظاهره أنّ نفس الجزء مقسوم موزّع على الباب، وهذا إنّما يلائم الباب بمعنى الطبقة دون الباب بمعنى المدخل، وأمّا تفسير بعضهم الجزء المقسوم بالفريق المعيّن المفروز من غيره، فوهنه ظاهر.

وعلى هذا فكون جهنّم لها سبعة أبواب هو كون العذاب المعدّ فيها متنوّعاً إلى سبعة أنواع ثمّ انقسام كلّ نوع أقساماً حسب انقسام الجزء الداخل الماكث فيه، وذلك يستدعي انقسام المعاصي الموجبة للدخول فيها سبعة أقسام، وكذا انقسام الطرق المؤدّية والأسباب الداعية إلى تلك المعاصي ذاك الانقسام، وبذلك يتأيّد ما ورد من الروايات في هذه المعاني»(١).

ثمّ ذكر الطباطبائي بعض هذه الروايات، ومنها:

• عن أنس قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى ﴿لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾: **جزء أشركوا بالله، وجزء شكّوا في الله، وجزء غفلوا عن الله**»(٢).

والمراد أنّها على ثلاث مراتب وكلّها مرتبطة بالشرك، وإن كانت طبقة واحدة ولكنّ الدرجات والأجزاء مختلفة.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١٢ ص ١٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ١٢ ص ١٧٦.

• عن أبي ذر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **لجهنّم بابٌ لا يدخل منه إلاّ من أخفرني**(١) **في أهل بيتي وأراق دماءهم من بعدي**»(٢).

ومن الواضح أنّ أهل البيت عليهم السلام مقاماتهم تختلف، ولذا فإنّ من قتل الحسين هو غير من قتل أولاد الحسين، بمعنى أنّ مرتبة المعصية أشدّ بدرجات وهكذا...

وعلى هذا الأساس يتّضح لنا أنّ درجات العذاب متعدّدة ومختلفة باختلاف درجات الأعمال في الدُّنيا.

ولصدر الدِّين الشيرازي كلام يستفاد منه نفس هذا المعنى حيث يقول: «إنّ النار من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة وسمّيت جهنّم لبُعد قعرها، يُقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر، وهي تحوي على الحرور والزمهرير، ففيها الحرّ على أقصى درجاته، والبرد على أقصى درجاته، وبين أعلاها وأسفلها (وهذا موضع الشاهد في كلامه) مسافة خمس وسبعين مئة من السنين، وهي دار حرورها هواء محرق لا حجر فيها سوى بني آدم، والأحجار المتّخذة آلهة والجنّ لهبها»(٣).

كيف يدخل الناس إلى النار؟

هناك احتمالات لكيفيّة دخول الناس إلى النار، هما:

الاحتمال الأوّل: أنّ الله تعالى يُدخل الناس إلى النار.

الاحتمال الثاني: أنّ الناس يدخلون النار من خلال أعمالهم.

---

(١) خفره أي غدر به ونقض عهده.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٢ ص ١٧٦.

(٣) **كتاب العرشيّة**، مصدر سابق: ٨٦ .

وإنّما أشرت إلى هذا البحث لوجود بعض الأسئلة حيث يتصوّر البعض ويتساءل بأنّه لماذا يُدخل الله تعالى الناس إلى النار وهي بهذه الحالة من الشدّة والألم والعذاب؟! فلابدّ أن يتّضح أوّلاً أيقوم الله تعالى بإدخال الإنسان إلى النار، أم أنّ الإنسان هو الذي يُدخل نفسه؟!

بناءً على ما تقدّم نقول:

لو كان الأمر والحال هو أنّ العذاب الأخروي كالعذاب الدنيوي، بمعنى أنّ الإنسان إذا قام الآن بجريمة معيّنة في الدُّنيا فإنّه يُؤخذ ويُسجن، أو يُؤخذ ويُضرب عُنُقه، أو يُؤخذ ويُقام عليه الحدّ أو...، فلو كانت طريقة العذاب بهذا النحو، أي لو فرضنا أنّه لا توجد هناك علاقة وجوديّة وتكوينيّة بين الفعل والجزاء، فعند ذلك يرِد هذا التساؤل الذي مفاده: لماذا يُعذّب الله تعالى بهذا النوع الوارد في القرآن الكريم: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ (الفجر: ٢٥ ـ ٢٦)؟

أمّا إذا فرضنا أنّ العلاقة بين العمل وبين الجزاء من قبيل وضع الإنسان يده في النار والاحتراق بحيث تكون العلاقة وجوديّة وفيها ترتّب طبيعيّ وتكوينيّ، وسبب ومسبّب، وبتعبيراتنا السابقة (ظاهر وباطن)، فلا يرد السؤال.

ويمكن تقريب الأمر من خلال هذا المثال:

لو ذهبت إلى الطبيب وقال لك: لو أكثرت من أكل السكّريات تُصاب بمرض السكّري، وإن أكثرت من أكل الدهنيّات تُصاب بمرض الكولسترول ونحو ذلك، فهنا لو أكلت وأصابك المرض لا يمكننا أن نُحمِّل الطبيب بأنّه سبب الإصابة بالمرض، لأنّ طبيعة العمل توصل إلى تلك النتيجة، وإلى ذلك الأثر المترتّب عليه.

القرآن الكريم والروايات تصرّح أنّ العلاقة بين العمل وجزائه علاقة وجوديّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل: ١١٨). ومعنى ذلك أنّ الإنسان الذي دخل النار إنّما دخلها بعمله المؤدّي إليه، وليس الله تعالى بظالم له عندما يعذّبه هذا العذاب؛ لأنّ الإنسان هو الذي سبّب العذاب والألم لنفسه، وهو الذي عذّب نفسه بنفسه، وقد يكون ذلك بغير علم منه.

وهنا تأتي وظيفة القرآن الكريم، ووظيفة النبوّة والإمامة، فهم كالطبيب الذي يقوم بعملين:

الأوّل: أنّهم يكشفون عن المرض.

والثاني: يبيّنون الدواء وكيفيّة العلاج، وكذلك تهيئة الأرضيّة المناسبة لتقبّل العلاج.

وبعض العلاجات التي تصدر منهم تكون بحسب ظاهرها مؤلمة وفيها مرارة، ولكنّها بحسب باطنها شفاءٌ ورحمة.

فالذي يُدخل إلى النار إذن ليس الله تعالى، بل الإنسان يدخل بنفسه إلى النار، أو بتعبير أدقّ: يُدخل نفسه إلى النار من دون أن يُدخله أحدٌ إليها.

وبهذه الإجابة يتّضح الجواب أيضاً عن كلام يردّده البعض من أنّ الله تعالى لّما كان غنيّاً عن العالمين فإذن لماذا يُعذّب ؟

والجواب: أنّه تعالى لم يعذّبه، بل هو عذَّب نفسه، وحقيقة الأمر أنّ المراد من تعذيب الإنسان أنّه يقوم بعمل حقيقته هي الدخول إلى نار جهنمّ. فلا يكون تصوير الأمر كما لو أنّ الإنسان يرى النار أمامه فيدخل إليها أو يرمي نفسه فيها.

العلاقة بين النظام الأحسن وخلق النار

إذا كان الله تبارك وتعالى غنيّاً عن العالمين، وعن طاعة المطيعين، وعن عصيان العاصين، لأنّه لا طاعة المطيعين تنفعه، ولا معصية العاصين تضرّه بشيء، فإذن لماذا وضع الله تعالى هذا القانون والنظام الذي ينتج مثل هذه النتائج ويؤدّي إلى دخول الإنسان إلى نار جهنّم؟!

الأبحاث العقليّة استوفت البحث في الإجابة على هذا التساؤل والتي أثبتت لنا أنّ كلّ ما خلقه الله تعالى فهو أحسن وأفضل وأكمل ما خَلَق بمقتضى برهان ودليل الحكمة، ودليل العلم، ودليل الإتقان.

بتعبير القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة: ٧).

وبتعبير الفلاسفة: ليس في الإمكان أبدع وأفضل ممّا كان، ولا يتبادر إلى الذهن أنّه كان يمكن أن يوجد نظام وخلق أحسن وأحكم ممّا كان وأنّ الله تعالى لم يخلقه، لأنّه لو فرضنا وجود نظام أتقن وأحسن وأفضل من هذا النظام، والله تعالى لم يخلقه، فيرجع عدم الخلق لهذا النظام إلى أحد العوامل الآتية:

١ ـ إمّا أنّه تعالى لا يعلم به، وتعالى الله عن ذلك: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٍ﴾ (سبأ: ٣).

٢ ـ وإمّا أنّه تعالى يعلم ولكنّه غير قادر على إيجاده، والله تعالى قادرٌ على كلّ شيء، وهو القادر على كلّ شيء.

٣ ـ وإمّا أنّه تعالى عالم وقادر ولكنّه بخل عن إيجاده، وهو الجواد الكريم المطلق.

فمع تمام هذه المقدّمات التي تفيد أنّ الله عالم وقادر، وأنّه لا وجود لمانع يمنعه من إيجاد ما تقتضيه مشيئته وإرادته، سيكون من الطبيعي إذا ما دار

الأمر بين إيجاد الممكن الأكمل وبين إيجاد الكامل والناقص، أن يختار الله سبحانه إيجاد الأكمل على إيجاد الكامل فضلاً عن الناقص، لأنّ العلم موجود والقدرة متحقّقة والمانع مرفوع، حيث لا وجود لمانع داخليّ أو خارجيّ يحُول دون ما تعلّق به العلم والقدرة. ولو لم يفعل ذلك للزم ترجيح المرجوح على الراجح، وهو ممتنع عقلاً.

فلو فرضنا أنّ أحد الطرفين كان أكمل والآخر كان كاملاً أو ناقصاً، ثمّ إنّ الله سبحانه رجّح إيجاد الكامل أو الناقص على الأكمل، للزم من ذلك ترجيح المرجوح على الراجح، وهو ممتنعٌ عقلاً.

هكذا يثبت المطلوب، وأنّ الله تعالى قد خلق العالم على أكمل وجه وأتقنه وأنّ الموجود هو أحكم ما يمكن.

هذا كلّه على مستوى البحث العقلي، أمّا الاستدلال النقلي على وجود النظام الأحسن فالقرآن الكريم تؤلّف العديد من آياته قاعدة متينة لإثبات حقيقة النظام الأحسن الذي يرمي بظلاله على أفناء عالم الإمكان، ومنها:

- قوله تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨).

استدلّ المفسِّرون بهذه الآية على إثبات المطلوب، كما فعل الآلوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ) حين تعقيبه على الآية بقوله: «أي أتقن خلقه وسوّاه على ما تقتضيه الحكمة، وحسنه ظاهر»[١].

وإلى هذا المعنى ذاته أشار الطبرسي (من أعلام القرن السادس) وهو يكتب عن الآية: «أي خلق كلّ شيء على وجه الإتقان والإحكام والاتّساق. قال قتادة: أي أحسَنَ كلّ شيء خلقه، وقيل: الإتقان حسن في

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصدر سابق: ج ٢٠ ص ٣٥.

إيثاق»[(١)].

ومن الذين استشرفوا ما تكنزه الآية من إيماءات دالّة على الإتقان الذي يضرب بشعابه في هذا الوجود الفسيح، المفسِّر التونسي المعاصر الشيخ الطاهر بن عاشور (ت: ١٩٧٠م)، إذ سجّل بدءاً أنّ للآية وضعاً دقيقاً، ولها معنى بالتأمّل خليق، لما تتضمّنه من دليل على دقيق صنع الله.

فالسياق الذي تتحرّك به الآية «فيه استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجّه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة. وهذا من العلم الذي أُودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء في جانبه النظمي». وما دام «الصنع» يُطلق على العمل المتقن، ففي الآية «تمجيد لهذا النظام العجيب، إذ تتحرّك الأجسام العظيمة (الجبال) مسافات شاسعة والناس يحسبونها قارّة ثابتة وهي تتحرّك بهم ولا يشعرون». على أنّ قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يقصد التعميم، ومن ثمّ فليس قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ إلاّ حالة دالّة على النظام المتقن الذي يجري في الوجود تكويناً وخلقاً واستدامة نظام، دون أن ينحصر بها ذلك.

يختم ابن عاشور مع الآية الكريمة، مشيراً إلى أنّ قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ الذي جاء عقيب قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فيه تذكير وتحذير، يوضحه بقوله: «لأنّ إتقان الصنع أثرٌ من آثار سعة العلم، فالذي بعلمه أتقن كلّ شيء، هو خبير بما يفعل الخلق، فليحذروا أن يخالفوا عن أمره»[(٢)] إذ لا يخفى ما في هذا الكلام من ربط بين العلم وإتقان الصنع، وهو

---

(١) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٥٧.

(٢) **التحرير والتنوير**، محمّد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق: ج ١٩ ص ٣١٨.

ممّا استندت إليه بعض وجوه الاستدلال العقلي.

وفي موردنا فإنّ الله تعالى خلق النار بمعنى أنّه أوجد نظاماً وهذا النظام يقتضي أنّ المعصية تؤدّي إلى مثل هذه النتائج.

القرآن الكريم في سورة الرحمن تعرّض إلى بيان النار وآلامها وشدائدها وأهوالها، وما يجري على المجرم فيها فقال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣) ثمّ قال: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: ٤١).

فالمجرم يُدخل به إلى النار من خلال هذه الطريقة المهينة، فهل هذه الطريقة حسنة أم قبيحة؟ إنّها بالمنظار العامّ نعمة إلهيّة.

ثمّ يقول تعالى في نفس هذه السورة: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (الرحمن: ٤٣ـ ٤٤) فهنا جهنّم هذه هل تأتي ضمن النظام الأحسن أم لا؟ وهل هي نعمة إلهيّة أم لا؟ وبعد هذه الآيات يأتي أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ٤٦ ـ ٤٧).[١]

والحاصل: أنّه كما أنّ الجنّة نعمة إلهيّة، كذلك النار هي نعمة، والعلّة في ذلك أنّ الكثير من الناس ـ إن لم نقل الأعمّ الأغلب ـ يعبدون الله خوفاً من ناره، والخوف هو السبب في توجّه الإنسان إلى «الجنّات»، وإلاّ إن لم تكن النار موجودة لما خاف، ولابتعد الإنسان عن الله سبحانه وتعالى.

فإذا ميّزنا بين الجنّة والنار وأردنا أن نجعل أو نُقيم مقايسة بينهما نقول: الجنّة نعمة والنار نقمة، ولكن إذا نظرنا إلى الجنّة والنار ضمن هذا النظام العام نرى أنّ الجنّة ضروريّة فيه، وكذلك النار، فالجنّة حقّ، والنار حقّ،

---

(١) راجع للتفصيل: **التوحيد**، السيّد كمال الحيدري، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٥٧ .

ولو لم تكن النار أو الجنّة، لكان هذا النظام ناقصاً لا ينسجم مع الحكمة والإتقان من الله تعالى.

أمّا القول بأنّه إذا كان لابدّ من وجود النار وأنّها تقع ضمن النظام الأحسن، فلنا أن نسأل: لماذا الشدّة في العذاب فيها ؟

للإجابة عن ذلك نضرب هذا المثال:

لو فرضنا أنّ الجريمة يعاقب عليها الإنسان عند ارتكابه لها بمائة دينار، فالكثير من الناس سوف يقدمون على ارتكابها وفعلها لأنّهم باستطاعتهم دفع مبلغ المئة دينار وكذلك الألف دينار، أمّا لو كان العقاب بدفع الملايين أو السجن المؤبّد فلن يقترب أحدٌ من الجريمة.

والله تعالى شدّد العذاب ليس انتقاماً من الخلق، بل من أجل إيجاد الرهبة والخوف كي لا يظلموا أنفسهم.

والشواهد الروائيّة على ما تقدّم كثيرة، منها:

• عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن جدّه عليهم السلام، قال: «**إنّ للنار سبعة أبواب: باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، وباب يدخل منه المشركون والكفّار ممّن لم يؤمن بالله طرفة عين، وباب تدخل منه بنو أميّة، وهو لهم خاصّة لا يزاحمهم فيه أحد، وهو باب لظى، وهو باب سقر، وهو باب الهاوية، تهوي بهم سبعين خريفاً، فكلّما هوى بهم سبعين خريفاً فار بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفاً، ثمّ هوى بهم كذلك سبعين خريفاً، فلا يزالون هكذا أبداً خالدين مخلّدين، وباب يدخل فيه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا، وإنّه لأعظم الأبواب وأشدّها حرّاً**»[1].

• عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾:

---

(١) الخصال، مصدر سابق: الحديث ٥، الباب ٧ ص ٣٦١.

فوقوفهم على الصراط، وأمّا ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ فبلغني ـ والله أعلم ـ أنّ الله جعلها سبع دركات:

أعلاها: الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية: ﴿لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾.

والثالثة: ﴿سَقَرُ * لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

والرابعة: الحطمة، ومنها يثور شررٌ كالقصر، كأنّها جمالات صفر، تدقُّ كلّ من صار إليها مثل الكحل، فلا يموت الروح، كلّما صاروا مثل الكحل عادوا.

والخامسة: الهاوية فيها ملأ يدعون: يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ما يسيل من جلودهم كأنّه مهل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم من شدّة حرّها، وهو قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار، كلّما احترق جلده بدّل جلداً غيره.

والسادسة: هي السعير، فيها ثلاثمائة سرادق من نار، في كلّ سرادق ثلاثمائة قصر من نار، في كلّ قصر ثلاثمائة بيت من نار، في كلّ بيت مائة لون من عذاب النار، فيها حيّات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، وهو الذي يقول الله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان: ٤).

والسابعة: جهنّم، وفيها الفلت وهو جبٌّ في جهنّم إذا فتح أسعر النار سعراً، وهو أشدّ عذاباً، وأمّا صعوداً فجبل من نار وسط جهنّم، وأمّا أثاماً فهو وادٍ من صفر مذاب يجري حول الجبل فهو أشدّ النار عذاباً»[١].

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٧٨.

وأمّا سكّان هذه الدركات، فقد جاء في الرواية التي ينقلها الفيض الكاشاني، وهي رواية طويلة، فيها: «**أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل: مَن سكّان هذه الأبواب؟ قال: فأمّا الباب الأسفل ففيه المنافقون ومَن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمها الهاوية، والباب الثاني ففيه المشركون واسمه الجحيم، والباب الثالث ففيه الصابئون واسمه سقر، والباب الرابع ففيه إبليس ومَن تبعه من المجوس واسمه لظى، والخامس ففيه اليهود واسمه الحُطمة، والباب السادس ففيه النصارى واسمه السعير، ثمّ أمسك جبرئيل عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله:**

ألا تخبرني مَن سكّان الباب السابع ؟

فقال: يا محمّد لا تسألني عنه.

فقال: بلى يا جبرئيل أخبرني عن الباب السابع.

فقال: فيه أهل الكبائر من أُمّتك الذين ماتوا ولم يتوبوا...»[1].

---

(١) علم اليقين، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٤٠.

المبحث الخامس والعشرون

الخلود في الجنة والنار

- إجماع الأمّة على الخلود
- معنى الخلود
- الخلود في القرآن والاستثناء منه
- تساؤلات حول الخلود في النار
- الرحمة العامّة والرحمة الخاصّة
- هل الخلود في العذاب يتنافى مع العدل الإلهي ؟
- خاتمة : مع المجلسي في بحار الأنوار

صرّح القرآن الكريم في الكثير من آياته تصريحاً واضحاً أنّ أهل الجنّة خالدين فيها أبداً ولا يخرجون منها، وأنّ بعض أهل النار إذا دخلوا فيها لا يخرجون منها أبداً، والبعض الآخر من أهل النار يخرجون منها إمّا بالشفاعة ـ كما تقدّم ـ وإمّا بسبب آخر ـ كما سيأتي ـ.

• قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩).

• وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٦٤ ـ ٦٥).

فالفارق الأساسي بين أهل الجنّة وأهل النار أنّه من دخل الجنّة الأخرويّة لا يخرج عنها أبداً، ولا يستثنى من ذلك أحد، وهذا بخلاف أهل النار فإنّه من يدخلها ليس بالضرورة أن يكون خالداً فيها، والخالدون فيها طبقة محدودة.

• وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود: ١٠٤ ـ ١٠٨).

إجماع الأمّة على الخلود

أجمعت كلمات علماء المسلمين على ثبوت الخلود في الجنّة والنار بالمعنى المتقدِّم، وكذلك لم يقع الخلاف بينهم في أنّ الجنّة خالدة وكذلك النار، واختلفت كلماتهم في المخلّدين في النار ـ كما سيأتي ـ.

• قال المجلسي في البحار: «اعلم أنّ خلود أهل الجنّة في الجنّة ممّا أجمع عليه المسلمون، وكذا خلود الكفّار في النار ودوام تعذيبهم».

• قال شارح المقاصد: «أجمع المسلمون على خلود أهل الجنّة في الجنّة، وخلود الكفّار في النار»[(١)].

• وقال الشيخ المفيد: «اتّفقت الإماميّة على أنّ الوعيد بالخلود في النار متوجّه إلى الكفّار خاصّة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة»[(٢)].

وقال في شرح عقائد الصدوق: «أمّا النار فهي دار من جهل الله سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه، بمعصية الله، غير أنّه لا يخلد فيها بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلّد فيها إلاّ الكافرون... وكلّ آية تتضمّن ذكر الخلود في النار فإنّما هي في الكفّار دون أهل المعرفة بالله تعالى، بدلائل العقول والكتاب المسطور، والخبر الظاهر المشهور، والإجماع، والرأي السابق لأهل البدع من أصحاب الوعيد»[(٣)].

• وقال العلاّمة الحلّي: «أجمع المسلمون كافّة على أنّ عذاب الكافر مؤبّد لا ينقطع، وأمّا أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيديّة على أنّه كذلك.

---

(١) راجع **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨ ص ٣٥٠.

(٢) **أوائل المقالات**، مصدر سابق: ص ٢٤

(٣) **شرح عقائد الصدوق**، مصدر سابق: ص ٥٥.

وذهبت الإماميّة وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أنّ عذابه منقطع»[١].

واستدلّ القائلون بالانقطاع بآيات، منها قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧)، والإيمان أعظم أفعال الخير. فإذا استحقّ العقاب بالمعصية، فإمّا أن يقدّم الثواب على العقاب، فهو باطل بالإجماع، لأنّ الإثابة لا تكون إلاّ بدخول الجنّة، والداخل فيها مخلّد لا يخرج منها أبداً، فلا يبقى مجال لعقوبته، أو بالعكس وهو المراد.

أضف إلى ذلك أنّه يلزم أن يكون مَنْ عَبَدَ الله تعالى مدّة عمره بأنواع القربات إليه، ثمّ عصى في آخر عمره معصية واحدة، مع حفظ إيمانه، مخلّداً في النار، ويكون نظير مَن أشرك بالله تعالى مدّة عمره، وهذا عند العقل قبيحٌ ومحال.

واستدلّت المعتزلة على خلود الفاسق في النار بالسمع وهو عدّة آيات، استظهرت من إطلاقها أنّ الخلود يعمّ الكافر والمنافق والفاسق، لا مجال لذكرها هنا.

وفي مقابل ذلك استدلّ البعض على عدم خلود الفاسق في النار من خلال عدّة آيات تدلّ على شمول الرحمة الإلهيّة للفسّاق غير التائبين.

ومَن أراد التوسّع والاستقصاء في هذا البحث فعليه بمراجعة المصادر والموسوعات في هذا المجال[٢].

معنى الخلود

قال الراغب الأصفهاني في مفرداته في بيان معنى الخلود، في مادّة خلد: «الخُلُود هو تَبرّي الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو

(١و٢) كشف المراد، مصدر سابق: ص ٢٦١، و ١٦١.

عليها، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود... وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها.. والخَلَدُ اسم للجزء الذي يبقى من الإنسان على حالته فلا يستحيل ما دام الإنسان حيّاً استحالة سائر أجزائه، وأصل المُخلّد الذي يبقى مدّة طويلة، ومنه قيل: رجلٌ مُخلّد لمن أبطأ عنه الشيب.. ثمّ استعير للمَبْقي دائماً الخلود في الحالة التي عليها من غير اعتراض الفساد...»[1].

فإذا لم يعترِ شيئاً فساد يؤدّي إلى تغيّره من حال إلى حال نسمّيه خالداً، وله خلود، باعتبار أنّ الأشياء قد تتحوّل من حال إلى حال كأن تتحوّل من كمال إلى نقص، ومن قوّة إلى ضعف، ومن سلامة إلى فساد، أو ما شابه ذلك، فإذا وجد شيء ما وكان مبرّءاً عن مثل هذه الحالات فالعرب تصفه بالخلود وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها.

هذا المعنى اللغوي استعير للباقي دائماً، ولكن القرآن الكريم لا يريد من الخلود المكث الطويل وإنّما يريد الدوام في البقاء، وفي الوجود الذي لا انقطاع لآخره وإن كان منقطع الأوّل ولكن شرط أن لا يكون منقطع الآخر. فمن حيث الابتداء له ابتداء، أمّا من حيث الانتهاء فليس له انتهاء، فهذا حينئذ يسمّى في الاصطلاح القرآني «خالداً».

والخلود بحسب اصطلاح الروايات والنصوص الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، وكذلك بحسب المباني والقواعد الفلسفيّة، يتّخذ معنىً خاصّاً مستعاراً من المعنى اللغوي، فعلى سبيل المثال ما جاء في الرواية «**خلقتم للبقاء لا للفناء**» فالفناء في المفهوم العرفي هو العدم. وأمّا الموت في الاصطلاح فلا يُراد منه العدم بل الانتقال

---

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني، مصدر سابق: ص ١٥٤ ـ مادّة خلد.

من نشأة إلى أخرى؛ لأنّ الموت لو كان أمراً عدمياً فلا يتعلّق حينئذ به الخلق والإيجاد، مع أنّ صريح القرآن الكريم : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢). ولذلك نقول: الموت هو أمرٌ وجوديّ لا عدميّ، وهو بمعنى الانتقال من نشأة إلى أخرى.

وعلى هذا الأساس فإنّ معنى الخلود في الجنّة هو عدم وجود انتقال من نشأة إلى أخرى، والخلود هو عدم الموت، أي عدم الانتقال من نشأة إلى أخرى، وهذا بخلاف ما نحن عليه في هذه النشأة حيث إنّنا ما دمنا في الدُّنيا فسننتقل إلى عالم البرزخ، ومنه إلى عالم الحشر الأكبر ثمّ يكون الخلود وعدم الانتقال.

• عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، جيء بالموت فيذبح، ثمّ يُقال: خلود فلا موت أبداً**»[1].

فالإمام عليه السلام فرّع على الخلود عدم الموت، فإذا تحقّق الخلود فلا يوجد موت بعد ذلك.

• وأيضاً عن أبي بصير عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «**إذا أدخل الله أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار جيء بالموت في صورة كبش حتّى يوقف بين الجنّة والنار، ثمّ ينادي منادٍ يسمع أهل الدارين جميعاً: يا أهل الجنّة، يا أهل النار؛ فإذا سمعوا الصوت أقبلوا، فيُقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الذي كنتم تخافون منه في الدُّنيا، فيقول أهل الجنّة: اللّهُمَّ لا تُدخل الموت علينا، ويقول أهل النار: اللّهُمَّ أدخل الموت علينا. ثمّ يُذبح كما تُذبح الشاة، ثمّ ينادي منادٍ: لا موت أبداً، أيقنوا الخلود.** قال: **فيفرح أهل الجنّة فرحاً لو**

---

(١) تفسير القمّي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٦.

كان أحد يومئذ يموت من فرح لماتوا، قال: ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ **قال: ويشهق أهل النار شهقةً لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا، وهو قول الله عزّ وجلّ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾»[(١)].

الخلود في القرآن والاستثناء منه

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٥ـ ١٠٧).

الآيات الكريمة وما قبلها تصوّر لنا مشهداً مرتبطاً بالنشأة الأخرى وبالحشر الأكبر ولا ارتباط لها بعالم البرزخ. وهي تربط خلود أهل النار في النار وخلود أهل الجنّة بالجنّة بدوام السماوات والأرض.

قال الطبرسي في مجمع البيان: «اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من المواضع المشكلة في القرآن، والإشكال فيها من وجهين:

أحدهما: تحديد الخلود بمدّة دوام السماوات والأرض.

والآخر: الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾»[(٢)].

ثمّ ذكر بعد ذلك الأقوال في حلّ الإشكاليّتين وهي حوالي عشرة أقوال، وتفصيل الإشكال يمكن تصويره على الشكل التالي:

إنّ الآية المباركة ربطت خلود أهل النار في النار وخلود أهل الجنّة في الجنّة بـ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ثمّ قالت: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: الحديث ٢، ج ٨ ص ٣٤٥.

(٢) **مجمع البيان**، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٩٦.

فهنا بحثان في الآية؛ الأوّل يتعلّق في الربط القائم بين الدوام أو الخلود وبين دوام السماوات والأرض، والثاني في مسألة الاستثناء.

وفي البحث الأوّل توجد جهتان من الإشكال:

الجهة الأولى: أنّ السماوات والأرض لها أجلٌ محدّد وبعد ذلك تنتهي، فإذا كان الخلود مرتبطاً بالسماوات والأرض فهذا يتنافي مع الحياة الأبديّة لأهل الجنّة ولأهل النار الخالدة حيث عُلّقت هذه الحياة هنا على دوام السماوات والأرض.

فمفاد الآية أنّه مع نهاية السماوات والأرض تنتهي حياة أهل الجنّة وكذلك أهل النار، فكيف يمكن التوفيق بين الخلود الأبدي بمقتضى قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وبين الخلود بدوام السماوات والأرض ؟

والآيات صريحة وكثيرة في بيان عدم استمراريّة السماوات والأرض، منها:

• قوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣).

• وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

• وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الزمر: ٦٧).

الجهة الثانية: وهي أعقد من الأولى وأصعب، وحاصلها: أنّ الجنّة والنار تبدآن بعد هذه النشأة لأنّهما مرتبطتان بالنشأة الأخرى، وصريح القرآن أنّ الحشر الأكبر يبدأ من ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

فكيف يمكن لما يبدأ بعد انتهاء السماوات والأرض أن يكون مرتبطاً

بدوام السماوات والأرض؟!

وكيف يُعقل أساساً أن تربط وجود النهار بكون ما دام الليل موجوداً، ومن جهة أخرى تقول بأنّ النهار يبدأ عندما ينتهي الليل؟! فلو قال قائل: إنّ النهار موجود دائم ما دام الليل موجوداً فقوله غير معقول وغير مقبول باعتبار أنّ النهار إنّما يأتي بعد انتهاء الليل.

وكذلك فإنّ الآيات القرآنيّة تبيّن أنّ الآخرة، والجنّة والنار، والحشر الأكبر ويوم القيامة إنّما تكون وتتحقّق بعد انتهاء أمد السماوات والأرض، فحينئذ تبدأ الجنّة والنار.

فالإشكالان والمعضلتان هما في كيفيّة الربط بين دوام الجنّة والنار، وبين أنّهما مرتبطتان بـ ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾.

في صياغته لهذا الإشكال في كلتا الجهتين يقول السيّد الطباطبائي:

«وعلى هذا يشكل الأمر في الآيتين من جهتين:

إحداهما: تحديد الخلود المؤبّد بمدّة السماوات والأرض وهما غير مؤبّدتين.

وثانيتهما: تحديد الأمر الخالد الذي يبتدئ من يوم القيامة وهو كون الفريقين في الجنّة والنار واستقرارهما فيهما، بما ينتهي أمد وجوده إلى يوم القيامة وهو السماوات والأرض، وهذا الإشكال الثاني أصعب من الأوّل لأنّه وارد حتّى على من لا يرى الخلود في النار أو في الجنّة والنار معاً بخلاف الأوّل»(١).

وهناك جوابان عن الجهتين في هذا الإشكال:

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١١ ص ٢٤.

الجواب الأوّل: ذكر البعض بأنّ هذه الآيات تتكلّم عن الجنّة والنار البرزخيّتين، ولا تتكلّمان عن الجنّة والنار الأخرويتين. ومن الواضح أنّ جنّة البرزخ ونار البرزخ مرتبطتان بدوام السماوات والأرض، ونحن إنّما ننتقل إلى الآخرة عند انتهاء الدُّنيا والبرزخ، وأيضاً ننتقل إلى الحشر الأكبر عندما تطوى السماوات والأرض، فلا إشكال حينئذ في الآية.

وهذا الجواب مردود ولا يمكن قبوله؛ لأنّ مجموع الآيات التي هي مورد بحثنا تتكلّم عن الحشر الأكبر، والشاهد على ذلك أنّ أهل البرزخ لا يدخلون النار، بل يُعرضون عليها، وهذه الآيات تشير إلى أنّ أهل النار هم في النار، فهناك فرق بين هذه الآيات وبين ما في البرزخ، وهذه الآيات أيضاً قالت: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير منقطع، بينما هو في البرزخ منقطع.

الجواب الثاني: وهو يحتاج إلى بيان هذه المقدّمة التي أشرنا إليها مراراً وحاصلها: أنّه ما من شيء في عالم الإمكان إلاّ وله نحوان من الوجود، وعالم الدنيا والشهادة أيضاً كذلك:

النحو الأوّل: هو الوجود المتغيّر الزائل الفاني المتحوّل المنقطع الآخر.

النحو الثاني: هو الوجود الثابت والباقي والمستقرّ وغير المتغيّر والذي ليس له انتهاء (غير منقطع الآخر).

ومثال ذلك الإنسان الذي له نحوان من الوجود:

الأوّل: وجوده في هذا العالم، وهو عالم التغيّر والزوال والفناء والتحوّل والموت والمرض والصحّة إلى ما شاء الله.. وهذه كلّها أوصاف للإنسان في عالم الدُّنيا.

الثاني: وجوده في العالم الآخر عندما ينتقل إلى الحشر الأكبر، فنفس هذا الإنسان سوف يكون وجوده باقياً وغير متحوّل وغير منتقل ولا يصيبه

الحدثان.

والقرآن الكريم أشار إلى هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل: ٩٦)، وفي هذه الآية إشارة إلى هذين النحوين من الوجود، فما هو عندنا ينفد، ينتهي، يموت، يتحوّل... أمّا إذا صار وجوده عند الله يكون باقياً.

وفي آيات أخرى إشارات متعدّدة إلى أنّ الوجودات التي تحشر يوم الحشر الأكبر يكون لها نحو وجود ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

ومن هذه المقدّمة يتبيّن لنا أنّ السماوات والأرض أيضاً لهما نحوان من الوجود، فهناك وجود مرتبط بهذا العالم، وهناك وجود مرتبط بما عند الله لا بما عندنا في هذا العالم.

والآية الكريمة ـ التي هي موضع بحثنا ـ إذا كانت بصدد ربط الخلود بالسماوات والأرض بالذي عندنا فحينئذ يرِد الإشكال، لأنّ هذه السماوات والأرض تكون منقطعة الآخر، وأساساً لا تبدأ الجنّة والنار إلاّ بعد انتهاء السماوات والأرض.

أمّا إذا كانت الآية أو الآيات من سورة هود بصدد ربط الخلود بالسماوات والأرض الأخرويّة، أي السماوات والأرض بما عند الله لا بما عندنا، فكما أنّ الإنسان له دوام وله وجود مستقرّ وله ارتباط بما عند الله، كذلك السماوات والأرض بمقتضى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ...﴾ فلها دوام، وبقاء، و... فعند ذلك لا يرِد الإشكال.

بتعبير السيّد الطباطبائي: «والذي يحسم الإشكال أنّه تعالى يذكر في كلامه أنّ في الآخرة أرضاً وسماوات وإن كانت غير ما في الدُّنيا بوجه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

(إبراهيم: ٤٨)، وقال حاكياً عن أهل الجنّة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ (الزمر: ٧٤)، وقال يعد المؤمنين ويصفهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢). فللآخرة سماوات وأرض كما أنّ فيها جنّة وناراً ولهما أهلاً، وقد وصف الله سبحانه الجميع بأنّها عنده، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦)، فحكم بأنّها باقية غير نافية.

وتحديد بقاء الجنّة والنار وأهلهما بمدّة دوام السماوات والأرض إنّما هو من جهة أنّ السماوات والأرض مطلقاً ومن حيث إنّهما سماوات وأرض مؤبّدة غير فانية، وإنّما تفنى هذه السماوات والأرض التي في هذه الدُّنيا على النظام المشهود، وأمّا السماوات التي تظلّ الجنّة مثلاً والأرض التي تقلّها وقد أشرقت بنور ربّها فهي ثابتة غير زائلة، فالعالم لا يخلو منها قطّ، وبذلك يندفع الإشكالان جميعاً»[1].

وبهذا الكلام يندفع ما ذكره الآلوسي في ذيل هذا البحث في الآيات حيث ذهب إلى أنّ المتبادر من السماوات والأرض هذه الأجرام المعهودة عندنا، فالأولى أن يلتمس هناك وجه آخر غير هذا الوجه.

وجه الاندفاع: «إنّ الآيات القرآنيّة إنّما تتبع فهم أهل اللسان في مفاهيمها الكلّية التي تعطيها اللغة والعرف، وأمّا في مقاصدها وتشخيص المصاديق التي تجري عليها المفاهيم فلا، بل السبيل المتّبع فيها هو التدبّر الذي أمر به الله سبحانه وإرجاع المتشابه إلى المحكم وعرض الآية على الآية فإنّ القرآن يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض ويصدّق بعضه بعضاً ـ كما في الروايات ـ فليس لنا إذا سمعناه تعالى يقول: إنّه واحدٌ أحد

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١١ ص ٢٤.

أو عالم قادر حيّ مُريد سميع بصير أو غير ذلك أن نحملها على ما هو المتبادر عند العرف من المصاديق، بل على ما يفسّرها نفس كلامه تعالى ويكشفه التدبّر البالغ في معانيها»[١].

معنى الاستثناء في الآية

الجملة الاستثنائيّة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ والتي وردت في الآيات المتقدِّمة في أهل الجنّة وفي أهل النار، أضحت ميداناً واسعاً للمفسّرين ومثاراً للبحث، وقد نقل الطبرسي في مجمع البيان في تفسير هذا الاستثناء عشرة أوجه عن المفسّرين القدامى.

لكنّ الكثير من هذه الأوجه ضعيف ولا ينسجم مع الآيات السابقة أو اللاحقة. وما يمكن الإستناد إليه وجهان:

الأوّل: إنّ الهدف في بيان هذا الاستثناء أن لا يُتصوّر أنّ الخلود في النار أو في الجنّة جارٍ على غير مشيئة الله وإرادته، بما يعطي معنى الإلزام وتحديد قدرة الله تعالى وإرادته، بل في الوقت الذي يكون أهل الجنّة وأهل النار خالدين فيهما، فإنّ قدرة الله وإرادته حاكمة على الجميع، وأنّ العذاب والثواب يتحقّقان بمقتضى حكمته لكلٍّ من هذين الطرفين.

والشاهد على هذا الكلام ما ورد في الجملة الثانية بعد الاستثناء وهي قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير منقطع، وهو دليل على أنّ الجملة الاستثنائية لبيان قدرته فحسب.

الثاني: وحيث تذكر الآيات هذين الطرفين ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فليس الأشقياء هم الكفّار المستحقّون للخلود في النار فقط، بل قد يُوجد

---

(١) المصدر نفسه: ج ١١ ص ٢٥.

بينهم مؤمنون من أهل الكبائر فيكون هؤلاء داخلين في هذا الاستثناء.

ولكن قد ينقدح هذا السؤال أيضاً وهو: ما المراد من الاستثناء في الجملة الثانية (التي تتحدّث عن الذين سُعدوا)؟

في الجواب على هذا السؤال أُجيب أيضاً ـ بأنّ المؤمنين المذنبين يدخلون النار أوّلاً ليتطهّروا من الذنوب، ثمّ يلتحقون بصفوف أهل الجنّة.

فإنّ الاستثناء في الجهة الأولى هو بالنسبة لآخر الأمر... وفي الجملة الثانية لأوّل مرّة.

ويحتمل في الجواب عن السؤال الآنف الذّكر أنّ الاستثناء في الجملة الأولى إشارة إلى المؤمنين المذنبين الذين يُعتقون من النار بعد مدّة، والاستثناء في الجملة الثانية إشارة إلى قدرة الله سبحانه، والشاهد على هذا الكلام ورود قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ في الجملة الأولى بعد الاستثناء، ليدلّ على تحقّق المشيئة الإلهيّة، وفي الجملة الثانية ورد قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ليدلّ على الأبديّة[1].

وأمّا الطباطبائي فقد أجاب عن ذلك بقوله: «... فيكون الاستثناء مسوقاً لإثبات قدرة الله المطلقة، وأنّ قدرة الله سبحانه لا تنقطع عنهم بإدخالهم الجنّة الخالدة، وسلطنته لا تنفد، وملكه لا يزول ولا يبطل، وإنّ الزمان بيده، وقدرته وإحاطته باقية على ما كانت عليه قبل، فله تعالى أن يخرجهم من الجنّة وإن وعد لهم البقاء فيها دائماً لكنّه تعالى لا يخرجهم؛ لمكان وعده، والله لا يُخلف الميعاد.

والكلام في الاستثناء الواقع في هذه الآية ـ أعني آية النار ـ نظيره في آية

---

(١) **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، مصدر سابق: ج ٧ ص ٥٣ ـ ٥٤، وراجع **مجمع البيان**: ج ٣ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٩.

الجنّة؛ لوحدة السياق بالمقابلة والمحاذاة وإن اختتمت الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وفيه من الإشارة إلى التحقّق ما لا يخفى.

فأهل الخلود في النار كأهل الخلود في الجنّة لا يخرجون منها أبداً إلاّ أن يشاء الله سبحانه، وذلك لأنّه على كلّ شيء قدير، ولا يوجب فعلاً من الأفعال: إعطاءً أو منعاً، سلب قدرته على خلافه، أو خروج الأمر من يده؛ لأنّ قدرته مطلقة غير مقيّدة بتقدير دون تقدير أو بأمر دون أمر؛ قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، وقال: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ (الرعد: ٣٩)، إلى غير ذلك من الآيات»[١].

هذا وجه في تفسير الاستثناء، وهناك وجوهٌ أُخر أنهى الجميع في مجمع البيان إلى عشرة، فراجع[٢].

تساؤلات حول الخلود في النار

جاء في مضمون الكثير من النصوص الروائيّة أنّ الله سبحانه وتعالى يُظهِر رحمته يوم القيامة بما لا يخطر على ذهن أحد من البشر، وتتجلّى رحمته بأجلى وأبهى صورها. وفي مقابل هذه الروايات كيف لنا أن نفهم أو نتصوّر قضيّة الخلود في النار؟

من الأبحاث السابقة تبيَّن لنا أنّ الجنّة والنار خالدتان ولا نهاية لهما، وأنّ أهل الجنّة خالدين فيها، وكذلك بعض أهل النار. ولكن ليس كلّ من يدخل النار هو خالداً فيها، فالسؤال المفروض هو: بماذا يُخلّد الإنسان في النار؟ والرحمة الإلهيّة (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) تقتضي أن تكون النار منقطعة لأنّها لا تنسجم مع العذاب الدائم.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١١ ص ٢٩.

(٢) راجع مجمع البيان، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٩٦ ـ ٢٩٩.

وللإجابة على هذا التساؤل لابدّ من الوقوف على معنى الرحمه، والتي على أساسها يمكن معرفة ما إذا كانت تتنافى أو لا تنسجم مع العذاب الدائم.

في الواقع عندما نطلق الرحمة فإنّ المراد منها عندنا هو ذلك التأثّر القلبي الذي يحصل عند الإنسان عندما يرى بعض الأشياء أو بعض الأشخاص أو بعض الحالات فيها فقد أو احتياج إلى ما يتمّ به أمر ما.

فعندما ترى شخص ـ مثلاً ـ فاقداً لشيء آخر، أو فيه عاهة أو مرض، أو نقص أو حاجة أو فقر ونحو ذلك، وترى هذه الحالة، فإنّك بطبيعة الحال تحصل عندك حالة تأثّر في قلبك، وهذا ما نسمّيه الرحمة.

ومن لم يتأثّر بهذا التأثّر القلبي يُقال عنه: قاسي القلب. فعندما يحصل عند الإنسان هذا الانفعال لدى رؤية الحالات المذكورة نجد أنّه تنبعث عنده حالة أو محاولة لكي يتمّم ذلك النقص، أو يرفع تلك الحاجة ونحو ذلك.

يقول السيّد الطباطبائي في بيانه لمعنى الرحمة عند تفسيره في سورة الفاتحة لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: «فهما من الرحمة، وهي وصف انفعاليّ وتأثّر خاصّ يلمُّ بالقلب عند مشاهدة من يفقد أو يحتاج إلى ما يتمّ به أمره، فيبعث الإنسان إلى تتميم نقصه ورفع حاجته، إلاّ أنّ هذا المعنى يرجع بحسب التحليل إلى الإعطاء والإفاضة لرفع الحاجة وبهذا المعنى يُتّصف سبحانه بالرحمة»(١).

فهل يتّصف الله سبحانه وتعالى بالرحمة ؟

يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الإسراء: ١١٠)، فمن أسمائه تعالى (الرحمن) و (الرحيم) و(أرحم الراحمين).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٨.

وعندما يتّصف الله تعالى بهذه الأوصاف: (الرحمن، الرحيم...) فبطبيعة الحال لا يُراد من هذه الأوصاف هذا المعنى المتعارف عندنا، وما هو مصطلح عليه لدينا.

ولا يمكن القول بأنّ هذه الرحمة المصطلح عليها عندنا، وهذا المصداق المتعارف عليه بيننا هو المعنى الموجود عند الله سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك صريح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فهو تعالى لا يتأثّر كما نتأثّر، ولا يكون تأثّره كتأثّرنا، هذا على مستوى البحث القرآني.

أمّا على مستوى البحث العقلي والفلسفي فهذا أيضاً غير ممكن، لأنّ هذا التأثّر حالة انفعاليّة ينفعل بها الإنسان، بمعنى أنّه يتحوّل من حال إلى حال، وهذا لا يمكن تعقّله في الواجب سبحانه وتعالى وهو الغنيّ المطلق.

فمسألة التبدّل والتغيّر والانتقال من حال إلى حال هي من أوصاف الموجودات المادّية كوجوداتنا، أمّا واجب الوجود فلا يوجد عنده انتقال من حال إلى حال كأن يوجد في حالة ليس فيها رحمة ثمّ ينتقل إلى حالة فيها رحمة.

ولذا ذكروا في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أنّها ليست حالة شأنيّة وإنّما هي حالة فعليّة، يعني بالفعل رحمته تسَع كلّ شيء، وليس أنّه بالقوّة رحمته تسع كلّ شيء، بينما الإنسان قد تكون عنده الرحمة بالفعل وقد تكون بالقوّة، وكذلك فإنّه تعالى واجد لكلّ كمال بالفعل لا أنّ بعض كمالاته وبعض أسمائه بالقوّة وبعض أسمائه بالفعل.

والحاصل: لو كانت الرحمة التي هي من أسماء الله وصفاته بهذا المعنى الموجود لدى الإنسان، فحينئذ يمكن القول بأنّ الرحمة الإلهيّة تتنافى مع

الدوام في العذاب والخلود في جهنّم، بل إنّها تتنافى في الأساس مع أصل وجود نار جهنّم، وبقاء الإنسان في نار جهنّم دقيقة واحدة يتنافى مع هذه الرحمة، وتتنافى أيضاً مع سكرات الموت، ومع العذاب في البرزخ، ومع أهوال يوم القيامة.

فالرحمة عند الله تعالى، وهذه الصفة التي يتّصف بها سبحانه وتعالى ليست بهذا المعنى وإنّما تأخذ بُعداً آخر.

الرحمة العامّة والخاصّة

الرحمة في القرآن الكريم تُطلق تارةً ويراد بها الرحمة العامّة، وتُطلق تارة أخرى ويراد بها الرحمة الخاصّة، فما هو المراد من هذا التقسيم؟

قبل بيان هذا التقسيم للرحمة إلى الخاصّة والعامّة لابدّ من مقدّمة، وهي: إنّ كلّ موجود من الموجودات له استعداد خاصّ لأن يكون شيئاً آخر، ومن بين هذه الموجودات الإنسان الذي له في هذه الدُّنيا طريقان، فله أن يسير في الطريق الذي ينتهي به إلى كماله الذي خُلق من أجله والذي يوصله إلى الغاية، ولكن تلك الغاية قد لا تكون منسجمة مع الغاية التي خُلق من أجلها ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠) و... فالإنسان على مفترق طريق، فقد يسلك طريقاً يصل منه إلى أعلى درجات الجنّة، وإلى مقام قاب قوسين، وكذلك عنده القدرة ليسير في طريق آخر ينتهي به إلى الدرك الأسفل من النار.

فكلّما هيّأت لنفسك يهيّئ الله سبحانه وتعالى لك ما تريد أن تصل إليه، فإذا أردت الوصول إلى أعلى الدرجات فإنّه تعالى يهيئ لك المقدّمات اللازمة لذلك، وإذا أردت الوصول إلى الدرك الأسفل من النار فإنّه سبحانه أيضاً يهيئ لك المقدّمات.

• قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ * إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (الليل: ٥ ـ ١٢).

• وقال تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ١٩).

هذا العطاء هو الذي يُعبّر عنه بالرحمة العامّة.

فالرحمة إذن هي العطاء الإلهي، الإفاضة، الإعطاء، البسط في كلّ ما يحتاج إليه الإنسان، وهذا العطاء لا يختلف، فقد يأخذ الإنسان هذا العطاء ويجعله في ما يؤدّي به إلى نار جهنّم، وقد يجعله بما يؤدّي به إلى درجات الجنّة.

فالعطاء واحد، وليس العطاء الإلهي على نحوين، بحيث يكون عطاء لأهل الخير وعطاء لأهل الشرّ، فالأمر ليس كذلك، بل هو عطاءٌ واحد، فهو عندما يقع على الورد تفوح منه رائحة طيّبة، وعندما يقع على النجاسات تفوح منه رائحة كريهة.

وبتعبير القرآن الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢).

فهل يُعقل أن يريد القرآن الكريم للناس خساراً؟!

لتقريب القضيّة إلى الذهن نضرب أمثلة:

المفتاح الذي وضعته في الباب إذا حرّكته إلى اليمين ـ مثلاً ـ يكون مفتاحاً، وإذا حرّكته إلى اليسار يُغلق الباب، فنفس هذا المفتاح يكون مفتاحاً ويكون مغلاقاً.

والتفّاح إذا أكله الإنسان الصحيح السليم يكون مفيداً لجسمه، أمّا

الإنسان المريض المُبتلى بمرض السكّري فقد يكون له سمّاً، وهكذا هو حال العطاء الإلهي كما تقدّم.

إذن الرحمة عند الله سبحانه وتعالى معناها إعطاء كلّ مستعدّ ما هو مستعدٌّ له، فإذا هيّأت هذا الاستعداد وبدرجة واحدة فإنّ الله تعالى يعطيك بمقدار هذه الدرجة، وبتعبير آخر: فإنّ الفيض النازل من السماء وإن كان واحداً لا تعدّد فيه، إلا أنّ الاستعدادات مختلفة.

أمّا اختلاف استعدادات الناس فلأنّ بعضها مرتبط بإرادة الإنسان وباختيار الإنسان، وبعضها مرتبط بالنظام الأحسن الإلهي، فانتخاب هذا الطريق الطيّب أو ذاك الطريق الخبيث مرتبط بالإنسان، والله تعالى في نظامه الأحسن قال: يوجد في الإنسان طيّب وخبيث، ولم يقل أنت فلان بن فلان طيّب وذاك خبيث. فالذي يعيّن هذا طيّب وهذا خبيث هو إرادة الإنسان واختياره.

وإذا كانت الرحمة الإلهيّة بهذا المعنى فالسؤال: لماذا يُعطى لهذا عشرة، ولهذا مئة، ولهذا ألف... ؟ جوابه: إنّ الأمر تابعٌ لـ ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾ أي أنّ الاستعدادات كما ذكرنا مختلفة، ومرجع هذا الاختلاف هو الإنسان الذي هيّأ استعداد البلد الطيّب، وهيّأ استعداد البلد الخبيث، وكذلك النظام الإلهي الأحسن بحسب التكوين، لأنّ هذا النظام كما يقضي وجود العالم فيه يقتضي الجاهل أيضاً، ومن هو إنسان ومن هو غنم وبقر، فهذا أيضاً اختلاف في الاستعدادات، إذ إنّ هذا الموجود استعداده أن يكون بقراً، وهذا الموجود استعداده أن يكون إنساناً.

ولو جعل الله تعالى في هذا النظام الكلّ إنساناً لكان هذا النظام ناقصاً، وهكذا بالنسبة إلى الماء والنار، فلابدّ أن يوجِد ماء، وأن يوجِد ناراً، ولابدّ

أن يوجِد إنساناً طيّباً وصالحاً، ويوجِد إنساناً خبيثاً، ولكنّه تعالى لم يعيّن مَن هو الخبيث أو الطيّب، ولم يقُل لابدّ لزيد أن يكون طيّباً ولعمرو أن يكون خبيثاً، وإلاّ لو كان كذلك للزم الجبر.

وعلى هذا فالرحمة العامّة لا يُفرّق فيها بين المؤمن والكافر، فهناك رحمة إلهيّة عامّة يتنعّم بها المؤمن والكافر، والبِرّ والفاجر، وذو الشعور وغير ذي الشعور، وبها يوجدون، وبها يُرزقون في أوّل وجودهم ثمّ في مسيرة وجودهم، فأصل الوجود رحمة، وكمال الوجود واستمراريّته أيضاً رحمة.

وفي مقابل ذلك هناك رحمة خاصّة هي للّذين اتّقوا والذين أصلحوا وصلحوا، ولمن كان في صراط العبوديّة لله سبحانه وتعالى، وصراط الفطرة الإلهيّة.

قال الطباطبائي: «والرحمن: فعلان صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة، والرحيم فعيل صفة مشبّهة تدلّ على الثبات والبقاء، ولذلك ناسب الرحمن أن يدلّ على الرحمة الكثيرة المُفاضة على المؤمن والكافر وهو الرحمة العامّة، وعلى هذا المعنى يستعمل كثيراً في القرآن، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ (طه: ٥)، وقال: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ (مريم: ٧٥) إلى غير ذلك، ولذلك أيضاً ناسب الرحيم أن يدلّ على النعمة الدائمة والرحمة الثابتة الباقية التي تُفاض على المؤمن كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة: ١١٧) إلى غير ذلك، ولذلك قيل: إنّ الرحمن عامّ للمؤمن والكافر، والرحيم خاصّ بالمؤمن»[1].

قال الله تعالى: ﴿.. وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٨ ـ ١٩.

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

هذه الآية يبدو للمتأمّل فيها من الوهلة الأولى وجود شيء من التناقض أو التهافت، فالمقطع الأوّل منها يشير إلى الرحمة العامّة، والمقطع الثاني يشير إلى أنّها مختصّة بالمتّقين، ومن الواضح أنّ جميع المخلوقات ليست مشمولة بالمتّقين، ولا المتّقين يساوون جميع المخلوقات، فكيف يمكن الجمع بينها ؟

قيل في ذلك: إنّ المقطع الأوّل يشير إلى الرحمة العامّة وإلى العطاء الإلهي في قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾، أمّا قوله تعالى: ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ إشارة إلى الرحمة الخاصّة حيث أصبح الإنسان في صراط العبوديّة والتقوى.

يقول الطباطبائي في ذيل تفسير هذه الآية: «فهناك رحمة إلهيّة عامّة يتنعّم بها المؤمن والكافر والبرّ والفاجر وذو الشعور وغير ذي الشعور، فيوجدون بها ويرزقون بها في أوّل وجودهم ثمّ في مسيرة الوجود ما داموا سالكين سبيل البقاء، ورحمة إلهيّة خاصّة وهي العطيّة الهنيئة التي يجود بها الله سبحانه في مقابل الإيمان والعبوديّة، وتختصّ لا محالة بالمؤمنين الصالحين من عباده من حياة طيّبة نورانيّة في الدُّنيا، وجنّة ورضوان في الآخرة، ولا نصيب فيها للكافرين والمجرمين، ويقابل الرحمة الخاصّة عذاب وهو اللاملائم الذي يصيب الكافرين والمجرمين من جهة كفرهم وجرمهم في الدُّنيا كعذاب الاستئصال والمعيشة الضنك، وفي الآخرة من النار وآلامها، ولا يقابل الرحمة العامّة شيء من العذاب إذ كلّ ما يصدق عليه اسم شيء فهو من مصاديق الرحمة لنفسه أو لغيره، وكونه رحمة هي المقصودة في الخلقة، وليس وراء الشيء شيء»[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

والذي نستخلصه من كلّ ما تقدّم في الإجابة عن إشكاليّة عدم الانسجام بين العذاب الدائم وبين الرحمة هو القول: بأنّه إذا كان مقصودكم من الرحمة، الرحمة العامّة، فالعذاب جزء من الرحمة العامّة؛ لأنّ الرحمة العامّة هي إعطاء كلّ مستعدّ ما هو مستعدّ له، وهذا مستعدّ لهذا الشيء، فقولكم إنّ العذاب لا ينسجم مع الرحمة، إذا كان المراد من الرحمة الرحمة العامّة، فالجواب: إنّ العذاب جزءٌ منها.

وإن قلتم إنّ العذاب لا ينسجم مع الرحمة الخاصّة، لأنّه لو أراد أن يكون جزءاً من الرحمة الخاصّة كان بإمكانه أن يكون في صراط العبوديّة، أو في صراط التوحيد والطاعة والإيمان بالله تعالى فيكون مشمولاً بالرحمة الخاصّة، وإذا حُرِم منها يكون هو الذي حرم نفسه منها، وحينئذ لا يكون مشمولاً للوعد الإلهي.

هل الخلود في العذاب يتنافى مع العدل الإلهي؟

من المباحث الأساسيّة والهامّة التي تُطرح في علم الكلام ما ورد في القرآن الكريم أنّ الجزاء لابدّ أن يكون وفقاً للعمل كما قال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا﴾ (النبأ: ٢٦) و﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾ (الشورى: ٤٠) و﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ (غافر: ٤٠) وغيرها من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة وهذه القاعدة من أنّ الجزاء لابدّ أن يكون متناسباً مع العمل الذي يأتي به الإنسان.

وهذا الكلام يرِد في القول بخلود أهل الجنّة في الجنّة وخلود بعض الناس في النار، والجواب في ما يتعلّق بالخلود في الجنّة أنّه تفضّل إلهيّ ولا محذور في أن يكون أوسع من العمل والثواب عليه.

والكلام كلّ الكلام في العقوبة وفي العذاب الإلهي الذي لابدّ أن يكون

فيه تناسب كامل بين العمل الذي يأتي به الإنسان من معصية وذنب فيستحقّ به الخلود في النار؟

إذا تمّت هذه القاعدة القرآنيّة نأتي إلى المعاصي والذنوب والمخالفات التي تصدر من الإنسان، فمن الواضح أنّها ليست دائميّة وليست خالدة بل هي منقطعة الآخر، وذلك باعتبار أنّ الدُّنيا مهما بلغت فإنّها تُبدّل ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

وعلى هذا الأساس إذا كان العمل منقطع الآخر وليس دائميّاً، وكان لابدّ للجزاء أن يكون متناسباً مع العمل، فإذن لا يمكن للجزاء أن يكون أبديّاً وخالداً، مع أنّنا نقول إنّ بعض المعاصي تؤدّي بالإنسان إلى الخلود في النار.

من هنا قد يقال: إنّ هذا لا ينسجم مع العدل الإلهي لأنّ الله تعالى في آيات متعدّدة يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٠).

وهذا هو أصل التساؤل والإشكاليّة التي ترِد على مسألة الخلود، أو خلود بعض أهل النار في النار.

وبتقرير آخر تقوم الإشكاليّة على هذا المحور وهو أنّ العمل لمّا كان متناهياً ومنقطع الآخر فعند ذلك لابدّ أن يكون الجزاء وفقاً للعمل، ومقتضى ذلك أن يكون الجزاء متناهياً وليس بخالد، فإذا استطعنا أن نثبت أنّ العمل الذي يقوم به الإنسان ليس منقطع الآخر بل هو عمل دائم، فإذن لابدّ أن يكون الجزاء وفقاً للعمل دائميّاً وخالداً.

وهنا لابدّ للإجابة عن التساؤل من معرفة العمل الذي يقوم به الإنسان، وهذا يقتضي الوقوف على هذه القواعد:

القاعدة الأولى: تارةً ننظر إلى ظاهر العمل الذي يقوم به الإنسان، كالحركات التي نسمّيها صلاة، جهاداً، صوماً، وهكذا أيّة عبادة أخرى، فإذا نظرنا إلى ظاهر هذه الأعمال وإلى قشورها فمن الواضح أنّها متناهية وتأخذ زماناً أو أمداً معيّناً ثمّ تنتهي.

القاعدة الثانية: أن لا ننظر إلى هذا العمل بظاهره، بل بلحاظ التأثير الذي يوجده في نفس الإنسان، وهذه هي النقطة المركزيّة والمحوريّة في النظر إلى الأعمال.

وفي النظر إلى الحياة المادّية والاجتماعيّة التي نعيش فيها فقد نجد أنّ كلمةً تصدر من شخص تجاه شخص آخر وتكون جارحة ومؤلمة له، فالزمن الذي يأخذ بيان تلك الكلمة قد لا يتجاوز عدّة ثوان، ولكن تأثير ذلك يبقى، ومن قيلت بحقّه تلك الكلمة الجارحة يظلّ متألّماً منها لسنوات عديدة، بل قد يبقى العمر كلّه ولا ينسى تلك الكلمة.

فإذا كنّا ننظر إلى أمد العمل فمقداره ثوانٍ أو دقائق، أمّا إذا لاحظنا الأثر المعنوي الذي يوجده ذلك العمل في نفس العامل فسنجده يبقى أو يستمرّ في النفس وفي بعض الأحيان قد لا يزول على الإطلاق.

تكرار العمل سواء كان طاعة أو معصية يُوجِد ملكات في النفس، وهذه الملكات في بعض الأحيان لا تكون قابلة للزوال على الإطلاق كما ذكر ذلك العرفاء وعلماء الأخلاق وغيرهم.

قال النراقي في «جامع السعادات» في فصل «أنّ العمل نفس الجزاء»: «كلّ نفس في بدء الخلقة خالية عن الملكات بأسرها، وإنّما تتحقّق كلُّ ملكة بتكرّر الأفاعيل والآثار الخاصّة بها، بيان ذلك أنّ كلّ قول أو فعل ما دام وجوده في الأكوان الحسّيّة لا حظَّ له في الثبات لأنّ الدُّنيا دار التجدّد

والزوال، ولكنّه يحصل منه أثر في النفس، فإذا تكرّر استحكم الأثر فصار ملكة راسخة؛ مثاله الحرارة التي تحدث في الفحم فإنّها ضعيفة أوّلاً وإذا اشتدّت تجمّرت ثمّ استضاءت، ثمّ صارت صورة نارية محرقة لما قارنها مضيئة لما قابلها، وكذلك الأحوال النفسانيّة إذا تضاعفت قوّتها صارت ملكات راسخة وصورةً باطنة تكون مبادئ للآثار المختصّة بها..»[1].

فقطعة الفحم عند وضعها قرب النار تصبح حارّة في المرحلة الأولى، ثمّ يكون ظاهرها أحمر في المرحلة الثانية، وتتحوّل إلى قطعة نار في المرحلة الثالثة، وهذه الفحمة التي كان لونها أسود لا يظهر منها أي نور وضوء عند مجاورتها للنار تتحوّل بعد مدّة إلى نار.

وهذا هو المصطلح عليه بالحركة الجوهريّة، وتطبيقها في مورد بحثنا هو أنّ الإنسان إذا عصى معصية نكَتت في قلبه نُكتة سوداء، فإذا تكرّر العمل اتّسعت تلك النكتة حتّى تستولي على تمام القلب (أي روح الإنسان) فتكون سوداء مظلمة، فلا تنعكس الأنوار الإلهيّة على ذلك القلب. قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨١).

فليس كلّ من كسب سيّئة هو من أصحاب النار الخالدين فيها، بل من أصبحت السيّئة محيطة بوجوده يكون خالداً في النار.

إلى هنا انتهينا إلى نتيجة وهي أنّ الأفعال التي تصدر من الإنسان تؤثّر في النفس، فإذا تكرّرت هذه الأفعال توجِد ملكة في النفس بل توجِد تخلّقاً، أي أنّ ذلك العمل يكون جزءاً من كيانه بناءً على اتّحاد العامل والعمل، وبالاستمرار يصل إلى هذه المرحلة.

---

(١) **جامع السعادات**، مصدر سابق: ص ١٥.

وبهذا أصبح العمل أثراً من آثار النفس، وصفةً من صفاتها، وإذا ثبت أنّ النفس مجرّدة ـ كما ثبت في محلّه ـ وباقية، فآثارها وصفاتها تبقى معها، وما دامت النفس موجودة، وهذه الصفة موجودة، فالأثر يبقى موجوداً أيضاً، كما لو أنفق الإنسان على فقير ومحتاج، فإنّه بتكرّر الإنفاق يكون الجود عنده ملكة، فحينئذ لا يتثاقل في الإنفاق، بل يصل إلى مرحلة يتلذّذ معها بالإنفاق والجود، ومادامت هذه الملكة موجودة بأثرها سيكون هذا العطاء مستمرّاً.

وهذا هو الأصل الأوّل، والأصل الثاني أشرنا إليه في الأبحاث المتقدِّمة، حاصله: إنّ الجزاء أو العقوبة أو الثواب هو باطن العمل، وليس الجزاء شيئاً يترتّب على العمل، فهو باطن العمل بصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ (الطارق: ٩)، فما كان باطناً في الدُّنيا يكون ظاهراً في الآخرة، وما كان غيباً في عالم الدُّنيا يكون شهادةً في الآخرة.

وكلّ الأعمال تظهر بحقيقتها في يوم القيامة، وحيث إنّ النفس دائميّة فصفاتها تكون دائميّة ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ (الإسراء: ٨٤) فالأعمال الصالحة تظهر على حقيقتها، وهكذا الخبيثة. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٨) باعتبار أنّ العمل أصبح ملكة ثابتة في وجودهم، وهم يرون الحقائق يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ (المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠) ولكنّه لو رجع فإنّه لن يعمل صالحاً.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢٣ ـ ٢٤) فهؤلاء يقسمون بأنّهم ما كانوا مشركين، فملكة الكذب إذ استقرّت في نفوسهم، أضحت جزءاً من وجودهم حتّى يوم القيامة يوم تُبلى السرائر، فلم يستطيعوا التخلّص منها، ولذا كان هذا الوصف القرآني لهم في الآية

المتقدّمة؛ المؤمن يعمل على شاكلته فيُرزق تلك الطيّبات، والكافر يعمل على شاكلته فيُعطى باطن عمله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ (النساء: ١٠).

فباطن أكل مال اليتيم هو أكل النار، ويوم القيامة يُعطى ما هيّأه لنفسه ولما جعله جزءاً من وجوده.

فإذن المحور الأساس في التساؤل المتقدّم هو أنّ العمل ليس دائمياً، فإذن لابدّ أن يكون الجزاء غير دائميّ وغير خالد.

ولكن في البيان المتقدِّم تبيَّن لنا أنّ العمل ليس هو هذه الأمور الظاهريّة القشريّة والمادّية، وإنّما العمل يكون سبباً في التأثير في صياغة نفس الإنسان وفي الشكل الذي يريد الإنسان أن يكون عليه، وبالاستمرار توجد الملكة، وإذا أصبحت ملكة للنفس، والنفس دائمة، فملكاتها أيضاً دائمة، وعندها يصحّ قوله تعالى: ﴿جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾ لأنّ الملكة استقرّت في وجود هؤلاء.

وهذا البيان لا يختصّ بقضيّة الخلود في النار، بل بالخلود في الجنّة أيضاً، فالإنسان يخلد في الجنّة لأنّ هذه الأعمال أوجدت تلك الملكات المناسبة والمسانخة لها، وكلّ عمل يوجِد الصفة التي تسانخه في النفس.

- عن الإمام الصادق عليه السلام قال في جواب عن سؤال حول الخلود في الجنّة والنار: «**إنّما خلد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا لو بقوا أن يطيعوا الله أبداً ما بقوا، فالنيّات تخلّد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ** تلا قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ قال: **على نيّته**»[1].

وليس المراد من النيّة ذلك الميل القلبي الذي لا يقوم على أساس

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٨ ص ٣٤٧.

التصديق والإيمان والتسليم والطاعة، بل المراد النيّة التي وراءها كلّ ذلك، أي النيّة الصادقة.

• في وصيّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى أبي ذرّ الغفاري:
«... **يا أبا ذر، إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، يا أبا ذر إنّ التقوى هاهنا** ـ وأشار بيده إلى صدره ـ»[1].

من هنا نُجيب على السؤال المطروح وهو أنّ الذين لا يؤمنون بالله من الملحدين ومن الكفّار والمشركين والذين لا يؤمنون بالمعاد، ولكنّهم يقومون بأعمال صالحة، ما هو مصيرهم؟

والجواب واضح من البيان القرآني والعقلي والفلسفي وهو أنّ العمل إنّما تكون له قيمة ويعطي ثمرته إذا كان مؤسّساً على أساس صحيح، لا على أساس منهار كالشرك والكفر والإلحاد.

إذا أراد الإنسان أن يعطي قيمة لعمله، لابدّ له أن يرفع درجة الاعتقاد، ويصحّحه، وعند ذلك يَخلُص العمل، وإلاّ إذا كان الاعتقاد فاسداً فلا معنى لأن يَخلُص العمل.

• قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أوّل الدِّين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال تصديقه توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه**...»[2].

فعلى المؤمن العارف السالك إلى الله سبحانه وتعالى أن لا يذهب إلى

---

(١) **مستدرك الوسائل**، الميرزا النوري، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م: ج ١١ ص ٢٦٤.

(٢) **الاحتجاج**، الشيخ أبو منصور أحمد الطبرسي (ت: ٥٤٨)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م: ج ١ ص ٢٩٥.

البُعد الكمّي للعمل، بل إلى البُعد الكيفي، وإلى تصحيح الاعتقاد، ورفع درجته.

وبعد هذا كلّه نفهم بدقّة ونتعقّل بوضوح أنّ العدل الإلهي لا يتناقض ولا يتنافى مع خلود البعض في النار وفي العذاب.

خاتمة: مع المجلسي في بحار الأنوار

أورد العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار في الباب السابع والعشرين (في ذكر مَن يخلد في النار ومَن يخرج منها) بحثاً مهمّاً حول الكافر وخلوده في النار، وبيَّن فيه آراء وأقوال جملة من العلماء والمحقّقين من السنّة والشيعة، ونظراً لأهمّية هذا البحث نورده في خاتمة هذا الفصل.

«**تذييل**: اعلم أنّ الذي يقتضيه الجمع بين الآيات والأخبار أنّ الكافر المُنكر لضروريّ من ضروريّات دين الإسلام مُخلّد في النار، لا يُخفّف عنه العذاب إلاّ المستضعف الناقص في عقله أو الذي لم يتمّ عليه الحجّة ولم يقصّر في الفحص والنظر، فإنّه يحتمل أن يكون من المرجون لأمر الله كما سيأتي تحقيقه في كتاب الإيمان والكفر، وأمّا غير الشيعة الإماميّة من المخالفين وسائر فرق الشيعة ممّن ينكر شيئاً من ضروريّات دين الإسلام فهم فرقتان:

إحداهما المتعصّبون المعاندون منهم ممّن قد تمّت عليهم الحجّة فهم في النار خالدون.

والأخرى المستضعفون منهم وهم الضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبُله وأمثالهم ومن لم يتمَّ عليه الحجّة ممّن يموت في زمان الفترة، أو كان في موضع لم يأتِ إليه خبر الحجّة فهم المرجون لأمر الله، إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار، وأمّا أصحاب

الكبائر من الإماميّة فلا خلاف بين الإماميّة في أنّهم لا يخلّدون في النار.

وأمّا أنّهم هل يدخلون النار أم لا؟ فالأخبار مختلفة فيهم اختلافاً كثيراً، ومقتضى الجمع بينها أنّه يحتمل دخولهم النار وأنّهم غير داخلين في الأخبار التي وردت أنّ الشيعي والمؤمن لا يدخل النار، لأنّه قد ورد في إخبار أُخر أنّ الشيعة مَن شايع عليّاً في أعماله، وأنّ الإيمان مركّب من القول والعمل، لكنّ الأخبار الكثيرة دلّت على أنّ الشفاعة تلحقهم قبل دخول النار، وفي هذا التبهيم حِكَم لا يخفى بعضها عن أُولي الأبصار، وسيأتي تمام القول في ذلك والأخبار الدالّة عن تلك الأقسام وأحكامهم وأحوالهم وصفاتهم في كتاب الإيمان والكفر»[(١)].

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ج ٨ ص ٣٦٣.

الخاتمة
المبحث السادس والعشرون

حشر الموجودات غير الإنسان

- شموليّة العودة لغير الإنسان
- الهدف من حشر الموجودات الأخرى
- هل الجنّة والنار مخلوقتان ؟
- القرآن وخلق الجنّة والنار
- الشواهد الروائيّة
- جنّة الأعمال والاعتقادات
- كيف نحصل على الآثار في الآخرة ؟

شموليّة العودة لغير الإنسان

في جميع الأبحاث السابقة كان الكلام في الإعادة والمعاد والنشأة الأخرى بالنسبة إلى الإنسان، والقرآن الكريم كما ثبت فيه هذه المباحث للإنسان كذلك نجد أنّه يُثبت ذلك الأمر من الإعادة والمعاد والحشر لغير الإنسان من بعض الموجودات.

وقبل الدخول في البحث التفصيلي لهذا الموضوع نشير إلى أنّ الموضوعات العقائديّة التي تُطرح يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأوّل: الموضوعات التي يمكن للعقل وللاستدلال والبرهان العقليّ أن يُعطي وجهة نظره فيها، ويكون للعقل من خلال استدلاله وبراهينه وتأمّلاته القدرة على الوصول إلى نتائج معيّنة فيها.

وهذا من قبيل استدلال العقل على إثبات وجود الله تعالى حتّى لو لم ترد عندنا آية أو رواية في هذا المجال.

وهناك أيضاً موضوعات أخرى يمكن للحسّ والتجربة أن تنالها، مثل كون النار حارّة ومحرقة، وأنّ الماء يرفع العطش ونحو ذلك، فهذه ليست أموراً عقليّة وإنّما هي أمور تجريبيّة حسّية، ويمكن لنا من خلال العلوم الطبيعيّة أن نكتشف الكثير من هذه القوانين.

الثاني: الموضوعات التي لا يمكن للعقل بشكل مستقلّ أن يعطي وجهة نظره فيها، ولا التجربة أيضاً قادرة على ذلك، ولابدّ للوحي أن يتكلّم فيها.

من هذه الموضوعات قضيّة الحيوانات وهل تُحشر يوم القيامة؟ فالعقل لا يمكنه أن يعطي رأيه فيها، ولا العلوم الطبيعيّة ولا غيرها.

وأمّا القرآن الكريم والحديث النبوي وكذلك أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام فقد فصّلوا الحديث في هذه المسألة.

والإشارة في القرآن الكريم هي إلى أنّ الحشر لا يختصّ بالإنسان، وإنّما الإعادة ووجود النشأة الأخرى ليست من اختصاصات الوجود الإنساني، بل يمكن أن تكون لغير الإنسان أيضاً وردت فيه بعض الآيات الكريمة:

• منها قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

فيوم القيامة توجد أرض ولكنّها غير هذه الأرض، وتوجد سماوات ولكنّها غير هذه السماوات، وفي الأبحاث السابقة ذكرنا بأنّ النشأة التي ننتقل إليها تختلف عن النشأة التي نعيش فيها، فالأرض في نشأتنا لها أحكام وقوانين تختلف عن الأرض في تلك النشأة الأخرى، وكذلك السماوات.

فتبدّل الأرض والسماوات غير هذه الأرض والسماوات يكشف لنا كما أنّ الإنسان يُعاد في النشأة الأخرى، كذلك الأرض والسماوات.

• ومنها قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزلزلة: ١ ـ ٤).

فالأرض عندما تحدّث أخبارها فذلك يعني أنّها موجودة، ولها نشأة أخرى، وهناك وجودٌ آخر وحشر وإعادة للأرض، وقد ذكرنا في مبحث شهادة الأعمال أنّ من ضمن الأشهاد الأرض، والزمان، والمكان، وكلّ هذه تُعاد وتُحشر وهكذا كلّ ما يُعبد من دون الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ * لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨ـ ٩٩).

فالحجارة وكلّ ما يُعبد من دون الله تعالى أيضاً له إعادة في النشأة الآخرة بالإضافة إلى الأرض والسماوات.

• ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ (الأعراف: ١٧٩) والتي تفيد وجود الحشر للجنّ وأنّه كما في غيرها من الآيات أنّ بعضهم من أهل الجنّة وبعضهم من أهل النار.

• ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ * يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ـ ٣٥) فالذهب والفضّة التي يكنزها الإنسان في هذه الدُّنيا بغير حقّ ولم ينفقها في سبيل الله سوف يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم، وهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗا﴾ (النساء: ١٠)، والحقائق والصور في هذه الدُّنيا هي غيرها في عالم الآخرة كما ذكرنا في مبحث تجسّم الأعمال.

ومن أهمّ المصاديق التي أشار إليها القرآن الكريم بشكل واضح وقال بأنّها تحشر يوم القيامة، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨).

وهذه الآية ليست كالآيات السابقة إذ إنّها تصرّح بأنّه كما يوجد حشر للإنسان وهو الحشر الأكبر، كذلك يوجد حشر لكلّ الحيوانات هوائيّة كانت أم أرضيّة؛ لأنّ التعبير فيها بـ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ﴾ أي كلّ شيء يدبّ على

الأرض ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾، ومحلّ الشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ... ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾.

فالإعادة إذن تشمل الإنسان والحيوان، والسماوات والأرض، والحجارة، والجنّ، والذهب والفضّة...

وهنا لابدّ من الوقوف والتأمّل في المعنى المُراد من «الأمّة» في القرآن الكريم الذي يصف الناس من أوّله إلى آخره بأنّهم أُمّةٌ واحدة، وهنا وصف الدوابّ والحيوانات والموجودات بأنّها أُمم، فما هو المراد من الأمّة ؟

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات: «والأُمّة كلُّ جماعة يجمعهم أمرٌ ما إمّا دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً وجمعُها أُمم»[1].

وجاء في تفسير الميزان للطباطبائي حول هذه الآية: «والخطاب في الآية للناس، وقد ذكر فيها أنّ الحيوانات أرضيّة كانت أو هوائيّة هي أُمم أمثال الناس، وليس المراد بذلك كونها جماعات ذوات كثرة وعدد فإنّ الأُمّة ـ وهنا محلّ الشاهد ـ لا تُطلق على مجرّد العدد الكثير، بل إذا جمع ذلك جامع واحد من مقصد اضطراريّ أو اختياريّ يقصده أفراده، ولا أنّ المراد مجرّد كونها أنواعاً شتّى كلّ نوع منها يشترك أفراده في نوع خاصّ من الحياة والرزق والسفاد والنسل والمأوى وسائر الشؤون الحيويّة، فإنّ هذا المقدار من الاشتراك وإن صحّح الحكم بمماثلتها الإنسان ولكن قوله في ذيل الآية: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ يدلّ على أنّ المراد بالمماثلة ليس مجرّد التشابه في الغذاء والسفاد والإيواء بل هناك جهة اشتراك أخرى تجعلها كالإنسان في ملاك الحشر إلى الله، وليس ملاك الحشر إلى الله في الإنسان إلاّ نوعاً من

---

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني، مادّة (أم) : ص٢٣.

الحياة الشعوريّة التي تخدّ للإنسان خدّاً إلى سعادته وشقائه، فإنّ الفرد من الإنسان يمكن أن ينال في الدُّنيا ألذّ الغذاء وأدفق النكاح وأنضر المسكن ولا يكون مع ذلك سعيداً في حياته لما ينكبّ عليه من الظلم والفجور أو أن يحيط به جماع المحن والشدائد والبلايا...»[(١)].

فما لم يكن هناك روابط بين مجموعة من المفردات، وكذلك ما لم يجمعها هدف ومقصود واحد فلا تسمّى أمّة.

فمثلاً هذا الكتاب، والمنديل، والأوراق، والأحجار... إذا جمعناها إلى بعضها البعض لا تسمّى أُمّة لأنّه لا روابط ولا هدف يجمعها، فمجرّد اجتماع مجموعة من الأفراد لا يمكن تسميتها أمّة إلاّ إذا كان بينها جامع واحد وهدف واحد.

والناس يطلق عليهم «الأُمّة» عندما يجتمع فرد مع فرد آخر وآخر و...، ويكون للجميع هدف واحد ومعيّن يريدون الوصول إليه، وهو الوصول إلى القُرب الإلهي.

والآية هنا عندما قالت: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ﴾؛ فمعنى ذلك أنّ النمل أمّة، والبقر أمّة، والكلاب أمّة، والطيور أمّة و... لأنّ هذا العدد له حالة من الترابط الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعيّة التي من خلالها يريد الوصول إلى هدف معيّن وإلى غاية معيّنة، وإلى مقصد معيّن، وهذه هي الحقيقة الأولى المستفادة من الآية.

وهذه الحقيقة أو هذا المعنى لم نجده في السماوات والأرض والذهب والفضّة، والقرآن الكريم لم يعبّر عنها بالأمّة، ولكن عندما ذكر الدوابّ عبّر عنها بقوله: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٧ ص ٨٣ .

والحقيقة الثانية هي في قوله: ﴿أَمْثَالُكُم﴾ فما هو المراد من المثليّة هنا؟

الإنسان عندما صار أمّة إنّما حصل ذلك باعتبار وجود مجموعة من الصفات التي وجدت فيه مثل الطاعة والانقياد وكذلك المعصية والانحراف، والعدل والظلم، والغفلة والحضور، والسعادة والشقاوة، وهذه هي حقيقة الإنسان.

وبهذه الأشياء والصفات أصبح لنا أن نعبِّر عن الإنسان بـ «الأمّة».

فهل هذه الصفات موجودة لدى الدوابّ ؟

صريح القرآن الكريم أنّ الدوابّ والطيور أمم، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَآئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ والأهمّ من ذلك أنّ أهمّ خصوصيّة في الإنسان أنّه يوم القيامة يُحشر لأجل أن يوفّى أجره وحسابه، وهكذا الحال في الطيور والحيوانات فإنّ لها هذه الخصوصيّة وفقاً لما ذكره القرآن الكريم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

وهذه الحقيقة والخصوصيّة لا يعطيها القرآن الكريم للسماوات والأرض وللذهب والفضّة ونحو ذلك، وبهذا تتميّز الحيوانات عن باقي الموجودات غير الإنسان، وبذلك تقترب منه.

والنتيجة أنّ للإنسان حياة ونشوراً وفصلاً وقضاءً، وحساباً وعقاباً وثواباً و...، وكذلك للدوابّ أيضاً مثل هذه الأمور.

الهدف من حشر الموجودات الأخرى

يؤكّد القرآن الكريم وجود هدف من وراء الحشر للإنسان يوم القيامة مثل أن يتمّ الفصل بين الناس في ما اختلفوا فيه، لذلك عبّر عن يوم القيامة بيوم الفصل، ويوم الجزاء، ويوم الحساب لأجل أن يُعطى المطيع ما يستحقّه من الثواب، ويُعطى العاصي ما يستحقّه من العقاب.

• قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (السجدة: ٢٥). فهو يوم الفصل بين المختلفين، وبين الخصماء.

• وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٥).

فعندما يحكم الله تعالى بينهم يُثيب المطيع بالجنّة، ويُعاقب المجرم والعاصي بالنار. فالغرض الأصلي من حشر الإنسان هو الحساب. ومن هنا لا إشكال ولا شبهة أنّ حشر الحيوانات إنما يكون لأجل الحساب.

ولكن الحساب يقتضي ويستلزم أن يكون عند المُحاسب إدراك، وفهم، وشعور، وقدرة على التمييز، وإلاّ إذا لم يكن كذلك فلا معنى لأن يُحاسب الموجود. وكذلك لابدّ مع الحساب أن نفترض وجود الطاعة، والمعصية، والغفلة، والحضور، ونحو ذلك من الأمور عند المُحاسب. فهل القرآن الكريم يثبت مثل هذه الأمور للحيوانات ؟

قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤)، والآية عامّة تشمل جميع الموجودات حتّى الجماد وليس الحيوانات فقط، بل الأرض والجبال والخشب والحصى و... كلّها تسبّح ربّها وخالقها.

والشواهد الروائيّة الكثيرة تؤيّد هذه الحقيقة، نذكر منها:

• «قال صلى‌الله عليه وآله: **يا عائشة إغسلي هذين البردين**، فقلت بأبي وأُمّي يا رسول الله بالأمس غسلتها، فقال لي: **أما علمتِ أنّ الثوب يسبّح فإذا اتّسخ انقطع تسبيحه**»[(١)].

• وفي مناقب ابن شهر آشوب عن ابن مسعود: «كنّا نجلس مع النبيّ صلى الله عليه وآله ونسمع الطعام يسبّح ورسول الله يأكل، وأتاه مكرز

---

(١) تذكرة الموضوعات: ص ١٥٧؛ كنز العمّال، المتّقي الهندي: ج ٩ ص ٢٧٨.

العامري وسأله آية فدعا بتسع حصيات فسبّحن في يده» وفي حديث أبي ذرّ: فوضعهنّ على الأرض فلم يسبّحن وسكتن ثمّ عاد وأخذهنّ فسبّحن.

• وعن ابن عبّاس قال: «قدم ملوك حضرموت على النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: كيف نعلم أنّك رسول الله؟ فأخذ كفّاً من حصى فقال: **هذا يشهد أنّي رسول الله فسبّح الحصاة في يده وشهد أنّه رسول الله**».

• وعن أبي هريرة وجابر الأنصاري وابن عبّاس: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخطب بالمدينة إلى بعض الأجذاع فلمّا كثر الناس واتّخذوا له منبراً وتحوّل إليه حنّ ـ أي الجذع ـ كما يحنّ الناقة، فلمّا جاء إليه وأكرمه كان يئنّ أنين الصبي الذي يسكت»[1].

والروايات في تسبيح الأشياء على اختلاف أنواعها كثيرة جدّاً، وربّما اشتبه أمرها على بعضهم فزعم أنّ هذا التسبيح العامّ من قبيل الأصوات، وأنّ لعامّة الأشياء لغة أو لغات ذات كلمات موضوعة لمعانٍ نظير ما للإنسان مستعملة للكشف عمّا في الضمير غير أنّ حواسّنا مصروفة عنها.

إذن الروايات تثبت أنّ الموجودات جميعها عالمة، مدركة، شاعرة، مسبّحة، مدركة لأمرها ولأمر خالقها سبحانه وتعالى.

سنحاول أن نذكر بعض الشواهد الخاصّة المرتبطة بالحيوانات والواردة في القرآن الكريم، منها:

• قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ (النمل: ١٦). فسليمان عليه السلام يعلن أنّ للطير منطقاً خاصّاً.

• وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٣ ص ١٢٢.

أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ (فصلت: ٢١)، فهذه الآية تثبت النطق أيضاً للجلود.

والآية السابقة في سورة النمل تابعت القول: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ (النمل: ١٧).

وجنود سليمان عليه السلام كانوا مشكّلين من الجنّ والإنس والطير، والقائد إذا كان من بين جنوده مثل هذه الأصناف فلابدّ أن يكون عالماً وعارفاً بمنطقهم، وإلاّ كيف يُعقل أن يحاربوا معه؟

وأضافت الآيات: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

فسليمان عليه السلام فهِمَ كلام النمل ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾.

والشاهد الأهمّ في آيات سورة النمل الذي يبيّن عمق الإدراك والقدرة على الفهم للحيوانات قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾. فكان للهدهد ثلاث خيارات، وإذا لم يكن له إدراك أو فهم كيف تكون له مثل هذه الخيارات، وهي: العذاب الشديد، والسجن، أو يفعل به سليمان عليه السلام ما يريد، فالحساب للطير من النبيّ سليمان عليه السلام يثبت وجود نوع من التكليف عليه.

وتابعت الآيات إثبات أنّ الحيوانات لها أمور تُشكر عليها، ولها أُمور تُعاقب عليها بقوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ فالطير يقول لإمام ونبيّ زمانه أنّه أحطت بما لم تحط به، وهذا يكشف عن كون علوم الأنبياء غير متساوية، وأنّ سليمان عليه السلام لم يكن هنا عالماً بكلّ شيء، ثمّ قال: ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾.

وإلى هنا يتبيّن لنا أنّ هذا الموجود (الطير):

أولاً: يستطيع أن يحيط بعلوم، ويعلم كم هو مقدار علم قائده.

وثانياً: أنّه يعرف المناطق الجغرافيّة.

وثالثاً: أنّه يعرف اليقين من غير اليقين.

ورابعاً: أنّه يعرف التوحيد والشرك بشكل واضح بدليل قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ * وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وخامساً: أنّه يعلم بوجود شياطين توسوس للإنسان: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾.

وسادساً: أنّه يعلم ماذا يفعل الشيطان: ﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾.

ثمّ أخذ الطير بالعتاب فقال: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ ودخل سليمان عليه السلام في حوار مع موجود من أعلم الموجودات فقال: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، وبعد التحقيق اتّضح له صدق الهدهد ولهذا بعثه بكتابه، قال: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾.

وهكذا إلى تتمّة الآيات التي ينقل فيها الهدهد كلّ التفاصيل المتعلّقة بملكة سبأ (بلقيس).

وتعليقاً على هذه الآيات الكريمة، يقول الطباطبائي في الميزان: «... فلأنّ ما حكاه الله تعالى في الآيات التالية في محاورة سليمان والهدهد يتضمّن معارف عالية متنوّعة لا يسع لما نجده عند الهدهد من الأصوات المعدودة أن تدلّ عليها بتميّز لبعضها من بعض، ففي كلام الهدهد ذكر الله

سبحانه ووحدانيّته وقدرته وعلمه وربوبيّته وعرشه العظيم، وذكر الشيطان وتزيينه الأعمال، والهدى والضلال وغير ذلك، وفيه ذكر الملك والعرش والمرأة وقومها وسجدتهم للشمس، وفي كلام سليمان أمره بالذهاب وإلقائه إليهم ثمّ النظر في ما يرجعون، وهذه كما لا يخفى على الباحث في أمر المعاني المتعمّق فيها معارف جمّة لها أصول عريقة يتوقّف الوقوف عليها على أُلوف وأُلوف من المعلومات، وأنّى تفي على إفادة تفصيلها أصوات ساذجة معدودة»[1].

فهذا الحوار يشير إلى أنّ في هذه الأمّة مثل هذه الموجودات، ولا يعني ذلك أنّ كلّ أفراد الهدهد هم بهذا المستوى، فكما أنّه في الإنسان يوجد النابغة، والعالم، والمحقّق، والجاهل و... كذلك في أفراد الهدهد يوجد مثل هذه الأنواع، فليس كلّ هدهد هو مثل هدهد سليمان عليه السلام.

وهذا كلّه يكشف أنّ في هذا النوع الحيواني، وفي هذه الأمّة التي عبّر عنها القرآن الكريم ﴿أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ يوجد مثل هدهد سليمان عليه السلام.

والمعارف والمعلومات الموجودة لدى الهدهد يستطيع من خلالها تمييز التوحيد من الشرك، والهدى من الضلالة، ودور الشيطان في تزيينه للأعمال السيّئة وإلى غير ذلك.

فالأمر الأوّل الذي يتبيّن بوضوح من هذه الآيات أنّ هذه الحيوانات تملك الفهم والإدراك والتمييز.

والأمر الثاني الذي تكشف عنه الآيات الكريمة أنّ هذه الحيوانات عندها حقّ وباطل، وتفعل الحقّ أو تغفل عنه، وتسبّح أو لا تسبّح، وتكذب وتصدق، كما في الآية: ﴿أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١٥ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

ومن الشواهد الروائيّة:

• عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما من طير يُصاد في برٍّ ولا بحر ولا يصاد شيء من الوحوش إلاّ بتضييعه التسبيح**»[١]، وهذا المعنى رواه أهل السنّة، وروي مثله عن ابن مسعود، وأبي هريرة و...

وهذه الروايات ليست وحدها الدليل على ما نقول إذ إنّ الإنسان إذا كان ذاكراً لله سبحانه وتعالى ومسبّحاً له فهو في حصن من الله تعالى، ولا يمكن أن يُصاد أو يؤذيه أحد، ولن يصل الشيطان إليه أبداً.

وإذا ما مسّه طائف من الشيطان فسبب ذلك ومنشأه الغفلة.

• وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**آجال البهائم كلّها من القمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال كلّها والبقر وغيره آجالها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء**»[٢].

والحديث يشمل الحيوانات والنباتات لأنّ في بعض ألفاظ الرواية «وخشاش الأرض». فهذه الموجودات إذا كانت مستمرّة في التسبيح لا يأتي أجَلها، فكما أنّه إذا انتهى رزقنا كبشر تُقبض أرواحنا، فهذه الموجودات آجالها تسبيحها.

وأمّا من حيث البحث القرآني فإنّه أيضاً يثبت هذه الحقيقة كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ (النحل: ٦١).

فالآية وإن ذكرت الناس إلاّ أنّها قالت: ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ ، وهي تريد أن تبيّن أنّ الظلم يؤدّي إلى الهلاك، وهذا مقتضى قاعدة الظلم، والله

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦١ ص ٢٤.

(٢) **كنز العمّال**، المتّقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ج ١ ص ٤٤٥.

تعالى لا يؤاخذ على جميع الظلم، وإلاّ لما ترك عليها من دابّة.

وهذا الأمر جارٍ في الدوابّ حيث يظهر منها ويصدر عنها الظلم وتستحقّ الظلم، ولكن الله تعالى يعفو عنها.

فصريح الآية الكريمة أن الظلم وإن كان يؤدّي إلى الهلاك إلا أنّ الله تعالى لم يعاقب على ذلك بأنّه لن يترك عليها إنساناً، أو أنّه لن يترك عليها من دابّة، ومفاد ذلك أنّه لو يؤاخذ الله الدواب أيضاً بظلمهم لما أبقى منهم أحداً، ويفيد ذلك أنّ الظلم يصدر منها.

وعندما نثبت أنّ للحيوانات غير الإنسان لها حشر وحساب، فلا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن بأنّ حسابها وحشرها كحساب وحشر الإنسان، ولا أنّ لها جنّة وناراً كما للإنسان.

فطبيعة حسابها وحشرها وثوابها وعقابها والتعامل معها هي قضايا مرتبطة بالنقل، وحيث إنّ الروايات سكتت عن ذلك، فلا يمكن أن نقول في هذا الأمر شيئاً، وكذلك لا يمكن أن نحتكم في ذلك إلى العقل.

نعم، هناك نقطة محوريّة في هذا المبحث وهي: أنّ الحيوان إذا كان له إدراك، وله نوع من التكليف، والمجتمعات الحيوانيّة أُمم أمثالكم، فكلّ أمّة لها نبيّ، فهل للحيوانات نبيّ؟ ومَن هو نبيّها ورسولها؟

في سورة فاطر يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، وفي سورة الأنعام يقول تعالى: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

وبحسب الاصطلاح المنطقي هناك صغرى للقياس وكذلك كبرى، وصغرى القياس ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ ، وكبرى القياس ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ونتيجة القياس: «لابدّ لكلّ واحدة من هذه الأمم من وجود نذير».

ولكنّ السؤال المطروح هو: من هو نذير أمّة الحيوان، وهل هو من

نوعها؟ في الأبحاث المرتبطة بالإمامة ذكرنا بأنّ نذير الأنس هو نذير للأنس وللجنّ وللحيوانات، وأنّ إمامة الإمام ليس مختصّة بالبشر، بل تشمل الجنّ أيضاً، وهذا من المسلّمات القرآنيّة والروائيّة. ولكن أ تشمل الحيوانات ؟

هناك الكثير من الروايات التي تثبت أنّ إمامة الإمام عليه السلام تشمل جميع العوالم، والمراد من العوالم جميع الأمم.

وللسيّد الطباطبائي كلامٌ في هذا المجال يقول فيه: «هل الحيوان يتلقّى تكليفه في الدُّنيا برسول يُبعث إليه ووحي يُنزّل عليه؟ وهل هذا الرسول المبعوث إلى نوع من أنواع الحيوان من أفراد ذلك النوع بعينه؟ فعالم الحيوان إلى هذا الحين مجهول لنا مضرب دونه بحجاب، فالاشتغال بهذا النوع من البحث ممّا لا فائدة فيه ولا نتيجة له إلاّ الرجم بالغيب، والكلام الإلهي على ما يظهر لنا من ظواهره غير متعرّض لبيان شيء من ذلك، ولا يوجد في الروايات المأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم ما يعتمد عليه في ذلك.

فقد تحصّل أنّ المجتمعات الحيوانيّة كالمجتمع الإنساني فيها مادّة الدِّين الإلهي ترتضع من فطرتها نحو ما يرتضع الدِّين من الفطرة الإنسانيّة، ويمهّدها للحشر إلى الله سبحانه كما يمهّد دين الفطرة الإنسان للحشر والجزاء، وإن كان المشاهد من حال الحيوان بالقياس إلى الإنسان ـ وتؤيّده الآيات القرآنيّة الناطقة بتسخير الأشياء للإنسان وأفضليّته من عامّة الحيوان ـ أنّ الحيوان لم يؤتَ تفاصيل المعارف الإنسانيّة ولا كُلّف بدقائق التكاليف الإلهيّة التي كُلّف بها الإنسان»[1].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج٧ ص ٧٨ .

الفهارس التفصيلية

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس المصادر
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات

رقم الآية **رقم الصفحة**

الحمد

٢: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ٩٨

٣: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ٣٦٩

البقرة

٢٤: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، ٢٨٣

٢٥: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُ﴾، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٢١

٣٠: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾، ٢٥١

٣١: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ... قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾، ٢٥٢

٤٨: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ ...﴾، ١٥٩، ١٦٥

٨٠: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾، ١٩١

٨١: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾، ٣٧٩

٨٩: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ ...﴾، ٨٢

١٢٤: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ١٠٤

١٤٣: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾، ١٦، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٢١٣، ٢١٥

١٥٢: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾، ١٩٤

١٦٥: ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾، ١١٧

١٧٤: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ﴾، ٣٣٧

٢١٧: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، ١٣٦

٢٢٥: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾، ٣٥، ٢١٢

٢٥٤: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾، ١٥٩

٢٥٥: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١١٢، ١١٧، ١٢٣، ١٤١

٢٦١: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾، ١٤٠

٢٧٠: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾، ١٥٩

٢٨١: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾، ٢٢٦

آل عمران

٩: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ...﴾، ٧٦، ١٥٤

١٥: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾، ٢٩٥

١٨: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ ...﴾، ٩٤

١٩: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، ١٣٣

٣٠: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾، ٢٢٧، ٢٢٨

٣١: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، ٩٩، ١٠٠، ١٣٣، ١٤٠

٥٥: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾، ٣٩٣

٩٧: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾، ٨٢

١١٠: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ...﴾ ، ٣٦، ٢١٤

١٢٨: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾، ١٩٥

١٣١: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، ٢٧٦

١٣٣: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ٢٧٦

١٣٥: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ١٦٨

١٦٢-١٦٣: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، ٢٩٨

١٨٥: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، ٢٧

١٩٨: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، ٢٩٥

٢٠٦: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ٥٣

النساء

١٠: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، ٢٨١، ٣٣٧، ٣٨١، ٣٨٩

١٣: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ ...﴾، ٢٩٥

٣١: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ...﴾، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢

٤٠: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ...﴾، ٣٧٧

٤١: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، ١٤، ٣٢

٤٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾، ١٠٨، ١٣٣، ١٥١، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٨

٥٧: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾، ٣٢١

٥٩: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾، ٦٥

٦٤: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ...﴾، ١٢٥، ١٣٥، ١٥٠

٦٩: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾، ٢١٤

٧١-٧٢: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا... قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾، ٣٤٢

٨٠: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، ٦٥، ٦٨

٩٧: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾، ٧٣

٩٨: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾، ٧٣

١١٥: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ... نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾، ٦٨

١٢٢: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾، ٧٦

١٢٣: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾، ١٣٤

١٣٩: ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾، ١١٧

١٤٥: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٢

١٥٠: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾، ١٥٠

١٥٩: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾، ٢١٢

١٦٥: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾، ٩٨

المائدة

٣: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، ١٧٠
٢٠: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾، ٣٥
٤٨: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾، ٩٨
٦٧: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ...﴾، ٧٠
٩٠: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، ٣٠٠
١١٧: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾، ١٤، ٢٩، ٣٣، ٢١١
١١٨: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، ١٧٥
١١٩: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾، ٣٢٣، ٣٥٥

الأنعام

٢٣-٢٤: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ * ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾، ٣٨٠
٢٨: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾، ٣٨٠
٣٨: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾، ٣٨٩ ـ ٣٩٢، ٣٩٧، ٣٩٩
٤٤: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾، ٣٤١
٤٨: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ...﴾، ٩٨
٥١: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ...﴾، ١٠٤
٦١: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾، ٢٥١

٧٠: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ... أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾، ١٠٥

٧٥: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾، ٢٧٥

٩٣: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ... ﴾، ٤٤

١١٥: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، ٢٣

١٦٠: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، ١٤٠، ١٩٥

الأعراف

٢٩-٣٠: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، ١٤٦

٣٤: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا ﴾، ٣١٩

٤٣: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُۖ ...وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، ٣١٦

٤٤-٤٥: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ... فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾، ٤١ ـ ٤٤، ١٧٤

٤٦-٤٩: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْۚ... وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ... أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ...﴾، ٤١، ٤٦، ٤٩، ٥٢ ـ ٦٢

٥٣: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي ... وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾، ١٠٢، ١٠٣

٥٨: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾، ١٤٦

١٠٦: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾، ٢٥٩

١٤٣: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، ١١٤

١٥٦: ﴿.. وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ١٤٩، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٦

١٥٨: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، ١٤٠

١٧٥: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾، ١٠٤

١٧٩: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾، ٣٨٩

١٨٠: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ ...﴾، ١١٧

١٩٩: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾، ٢٣٥

الأنفال

٣-٤: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾، ٢٩٧

٣٣: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾، ٢٢

التوبة

٣: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ ...﴾، ٤٥

٣٤-٣٥: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ ... * يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ ...﴾، ٢٨١، ٣٨٩

٧٢: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ...﴾، ٢٩٠، ٣٢٣، ٣٢٤

٩٠-٩٧: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ ... * ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ... ﴾، ١٧٥ ـ ١٧٩

١٠٢: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ... ﴾، ١٧١، ١٧٥

١٠٣: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾، ١٥٠

١٠٥: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ...﴾، ١٨، ١٩، ٢٣

١٠٦: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ ...﴾، ٧٧، ١٩٥

١٠٨: ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ﴾، ٥٢

١١٧: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، ٣٧٤

١١٩: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾، ٢٩
١٢٨: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ ...﴾، ١٩٧

يونس

٣: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ٩٧
٥٥: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، ٧٦

هود

١٦: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، ١٣٦
١٨: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾، ٨
٩٠: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾، ١٥٠
٩٦-٩٧: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴾، ٢٣٩
٩٨: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴾، ٢٤٠
١٠٤-١٠٨: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ * يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ... *وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾، ٨، ٥٦، ٥٧، ١٠٨، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧

يوسف

٣٩: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾، ١١٣
٩٧-٩٨: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ * قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ١٢٦، ١٥٠
١٠٩: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم ﴾، ٥١

الرعد

٨: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾، ١٤٩

١٦: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ٩٨

١٧: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾، ٣٧٣

٢٢: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، ٣٦٥

٣٣: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، ٩٤

٣٥: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾، ٣٢١

٣٩: ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾، ٣٦٨

٤٣: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ٢٦

إبراهيم

١٨: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾، ١٣٧

٢٤-٢٧: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ... يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ...﴾، ١٨٧، ٣٦٨

٤٨: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ...﴾، ٣٦٤، ٣٧٧، ٣٨٨

الحجر

٢: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، ٢٠٤

٩: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ٢٥١

٢١: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، ١٤٩

٤٣-٤٤: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾، ٢٠٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥١

٤٥-٤٧: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ... لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾، ٢٩٦، ٣٢١

٨٧: ﴿ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾، ٢٥٢

٩٩: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾، ٩٩

النحل

٣٢: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾، ٤٤

٦١: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾، ٣٩٨

٨٤: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾، ١٤، ١٥، ٣٣، ٢١١

٨٩: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ...﴾، ١٤، ١٥، ١٧، ٩١، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٣

٩٦: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾، ٣٦٤، ٣٦٥

١١٨: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾، ٣٤٥

الإسراء

١١: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾، ١٢٣

١٣-١٤: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، ١٤٤، ٢٢٨

١٩: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾، ٣٧٢

٢٠: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾، ١٣٤، ٣٧٥

٤١: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾، ٣٢٠

٤٤: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ٣٩٣

٧١-٧٢: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ...* وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، ٢٨، ١٤٥، ١٨٤، ٢٤٠

٧٩: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، ١٤١، ٢٠٥ ـ ٢٠٩

٨٢: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، ٣٧٢

٨٤: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، ٣٨٠، ٣٨١

١٠٠: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ...﴾، ١٢٣

١١٠: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ٣٦٩

الكهف

٢٩: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾، ٣٥١

٣٠-٣١: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ...مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، ٣٢١

٤٩: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ...﴾، ٢٢٧، ٢٢٨

مريم

٣٩: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، ٣٦٠

٦٣: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾، ٣١٦

٧٥: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾، ٣٧٤

٨١-٨٢: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ۞ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾، ١٠٧

٨٥-٨٧: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۞ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۞ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾، ١٠٧، ١٢٤، ١٨٩

طه

٥: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾، ٣٧٤

٨: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، ١١٧

٥٠: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾، ١٠١

٧٤-٧٦: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۞ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ... جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾، ١٩١

١٠٨: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ ... ﴾، ١٥٣، ٢٥٧

١٠٩: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾، ١٠٧، ١٠٨، ١٢٤، ١٥٣، ١٨٧، ١٨٩ ـ ١٩١

الأنبياء

٢٣: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾، ١٤٠

٢٨: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾، ١٠٨، ١٠٩، ١٥٣، ١٦٠، ١٧٠ ـ ١٧٥

٧٣: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، ٢٨

٩٨: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، ٢٨٣، ٣٨٨

٩٩: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾، ٣٨٨

١٠٤: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ ﴾، ٣٦١

١٠٥: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾، ٣١٩

الحج

٥: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ .. ﴾، ٢٠٥

٢٢: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ... ﴾، ٢٠١، ٣٣١

٢٣: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ... وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾، ٣٢١

المؤمنون

١-٩: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ... وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾، ٣١٦

١٠-١١: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ ... ﴾، ٢٨٢، ٣١٦، ٣١٨

٩٩-١٠٠: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾، ٣٨٠

١٠١: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾، ١٦٥

النور

٣٧: ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾، ٥١، ٥٢

٣٩: ﴿ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾، ١١٤، ١٣٧

٥٥: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ ﴾، ١٧٠

٦٣: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ ﴾، ١٤٠

الفرقان

٢٣: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾، ١٣٦

٧٠: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ... ﴾، ١٣٤

الشعراء

٨٣ ـ ٨٥: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ * وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، ٣١٦

٩٠: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾، ٢٧٦، ٣٢٨

٩٤-٩٥: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾، ٢٨٣

١٠٠-١٠١: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، ١٠٢، ٢٣٢

١٩٣ ـ ١٩٤: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾، ٢٥١

النمل

١٣: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، ٦٩

١٤: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ ... ﴾، ٦٩، ٨١، ٨٢

١٦: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ... ﴾، ٣١٥، ٣٩٤

١٧ ـ ٢٨: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ... ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾، ٣٩٥ ـ ٣٩٤

٨٨: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، ٣٤٧، ٣٤٨

٨٩: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾، ١٠٠

القصص

٥٤: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، ١٤٠

العنكبوت

٨: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾، ٦٥

٢٣: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾، ١٠٤

٤٣: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾، ١٣٧، ٣٢٠

٥٨: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، ٢٩٩

الروم

٦: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ٧٦

٧: ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾، ٢٨١، ٣٣٦

٥٦: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ...﴾، ٢٠٥

لقمان

٨-٩: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ * خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾، ٧٦

السجدة

٤: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، ٩٧
٥: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾،٩٨
٧: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾، ٢٠٦، ٣٤٦
١١: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾، ٢٥١
١٦: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، ١٠٠، ١٥٨
١٧: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، ١٩٦
١٩: ﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، ٢٩٦
٢٥: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ٣٩٣
٣٠: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾، ١٨٧

الأحزاب

٢١: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ١٤٠
٢٣: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾، ٥١ ـ ٥٣، ٢٣٤
٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ٥٨، ١٨٦
٤٣: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ٣٧٤

٦٤-٦٥: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾، ٣٥٥

٧٢: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾، ١٢٣

سبأ

٣: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾، ٣٤٦

فاطر

١٠: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾، ٣٣٣

١٥: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾، ٩٣، ١٢٢

٢٤: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾، ٣٩٩

٣٢: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾، ١٨٠، ٣١٥

٤٣: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾، ١١٦

يس

٦٠-٦١: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾، ١٩١

٦٥: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، ١٠

٨٢: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، ١١٦

الصافات

٢٧: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ١٦٥

٤١-٥٠: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ... فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، ٣٢٢

٥٨ ـ ٦١: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾، ٣٦٠

ص

٣٥: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا﴾، ٢٥٢

٣٩: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾، ٢٥٢

٦٥: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، ١١٣

٧٤: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ١٠٤

الزمر

٣: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، ١٠٩

٤: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾، ٢٠٦

٩: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، ١٥٨

٤٢: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾، ٢٥١

٤٤: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ١٠٥، ١٠٦، ١١٢

٥٣-٥٥: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ... وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن ...﴾، ١٥١، ١٥٨، ١٦٩، ١٩٩

٦٢: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، ١٠٥

٦٥: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ...﴾، ١٣٦

٦٧: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ٣٦١

٦٩: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، ١٣، ٢١٣

٧٤: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ...﴾، ٣١٩، ٣٦٥

غافر

٧: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا...﴾، ١٠٩، ١٦٠

١٦: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾، ١٦٣

١٨: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾، ١٧٣

٤٠: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾، ٣٧٦

٥١: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، ٩

٦٢: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ٢٠٦

٦٥: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ١١٧

فصّلت

١٢: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾، ٢٩٣

١٩-٢٠: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، ١٠، ١٢

٢١: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا... وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ...﴾، ١٠، ١١، ٣٩٥

٥٣: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾، ١١، ١١٣

الشورى

١١: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾، ٣٧٠

٢٢: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، ١٩٥

٢٣: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، ٧٢، ١٣٨

٢٥: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾، ١٥٧

٣٠: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، ١٥٨

٤٠: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾، ٣٧٦

الزخرف

٣٢: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾، ٣١٠

٦٨-٧٣: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ... لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، ٣١٧

٧٧: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، ٤٤، ٣٣٢

٨٦: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ٨، ١٠٩، ١٢٤، ٢١٢

الدخان

٥٦: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، ٢٢٤

الجاثية

١٨: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ٩٨

الأحقاف

٣: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾، ٣٦١

١٣: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ١٨٧

محمد

١٥: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ...وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ ...﴾، ٣٠٠

١٩: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، ١٩٨

٣٢-٣٣: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ ...يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾، ٦٧، ٧١، ١٣٦

الحجرات

٢: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾، ١٣٦

١٣: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ...﴾، ١٨٦

ق

١٨: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾، ١٢

١٩-٢١: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۞ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾، ٢٧٤

٢٢: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ...﴾، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٧٤، ٢٨٠

٣٥: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾، ١٩٥، ١٩٦

الذاريات

٥٦: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾، ٩٩، ١٥٢

الطور

٢١: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾، ١٤٠، ١٨٤

النجم

١٣-١٥: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۞ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾، ٢٧٥

٢٦: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾، ١٠٨، ١٠٩، ١٥٣

القمر

٢٤: ﴿أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾، ١٨٢

٥٤-٥٥: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۞ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾، ٢٤٧، ٢٩٩

الرحمن

١٣: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ٣٤٩

٤١: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾، ٥٣، ٣٤٩

٤٣-٤٤: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾، ٢٧٨، ٣٤٩

٤٦-٤٧: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، ٣٤٩

٦٠: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾، ١٩٥

٧٠: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾، ٣٠٥

الواقعة

٧-١١: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ... وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، ١٨٠، ١٨١، ١٨٦

١٧-١٩: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ ... لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾، ٣٠٠

٢٧-٣٨: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ... لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، ١٨٣

٤١-٥٦: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ... لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ * فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ * فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ * هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾، ١٨٢، ١٨٣

٨٨-٨٩: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، ١٨٠، ٢٩٨

الحديد

١٢-١٣: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم ... قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾، ٤٧، ٤٨، ٥٣

٢٠: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ...﴾، ٩٩، ٣٢٣

٢١: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾، ٢٧٦

الحشر

٢٤: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ١١٧

الطلاق

٣: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾، ١٤٩

التحريم

٧: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ٢٢٧

٨: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، ١٥٠

الملك

٢: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾، ٣٥٩

٨-٩: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ ... فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾، ٦٩

المعارج

١٥ ـ ١٨: ﴿لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾، ٣٥١

١٩-٢١: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، ١٢٣

الجن

٢٦-٢٧: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، ٢٣٥

المدّثر

٢٨ ـ ٣٠: ﴿سَقَرُ * لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، ٣٥١

٣٨-٤٨: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ... فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾، ١٠٣، ١٠٤، ١٦٠، ١٦٣، ١٨٣، ١٨٥

القيامة

٢٤-٢٥: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾، ٥٣

الإنسان

٣: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، ٣٧١

٤: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا﴾، ٣٥١

٥-٦: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾، ٣٠٧

٢١: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾، ٣٠٣

النبأ

٢١-٢٦: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ... جَزَآءٗ وِفَاقًا﴾، ١٩٥، ٣٧٦

٣٨: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾، ٨، ٥٧، ١٠٨، ٢٣٠

النازعات

٥: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾، ١١١

٣٦: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾، ٣٢٨

عبس

٣٨-٣٩: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۞ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾، ٥٣

٤٠-٤١: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۞ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، ٥٣

الانفطار

١٠-١١: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۞ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾، ١٢

١٩: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾، ٦١

المطففين

١٤: ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾، ١٣٤

١٨ - ٢٨: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ... عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾، ١٨٠، ٣٠١ _ ٣٠٣، ٣٠٨

الطارق

٩: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، ٣٨٠

الغاشية

٨: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾، ٥٣

الفجر

٢٢-٢٣: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾، ٣٢٧

٢٥-٢٦: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾، ٣٢٩، ٣٤٤

البلد

١٠: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، ٣٧١

الليل

٥-١٢: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ... إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾، ٣٧٢

الضحى

٥: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾، ١٤١، ١٩٥، ١٩٨ ـ ٢٠٠

العلق

١٤: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾، ١٩

القدر

١: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ٢٥١

البينة

٧-٨: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ ... ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، ١٩٦

الزلزلة

١-٤: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا *

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾، ١٠، ٣٨٨

٧-٨: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ ... شَرًّا يَرَهُۥ﴾، ١٤٤، ٣٥٧

العاديات

٦: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، ١٢٣

التكاثر

١-٣: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ... ﴾، ٢٧٥

٥-٦: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾، ٢٧٥، ٢٩٤

الكوثر

١: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾، ٢٥١ ـ ٢٥٤، ٢٦٢، ٣٠٤

المسد

١: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، ٢٨٦

فهرس الأحاديث

١.أبشر يا عليّ ما من عبد يحبّك وينتحل مودّتك إلاّ بعثه الله يوم القيامة معنا، ٢٤٧
٢.أبى الله أن يُجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً، ١٤٩
٣.أتاني جبرئيل وهو فرح مستبشر، فقلت له: حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من الفرح! ما منزلة أخي وابن عمّي عليّ ؟، ٢٤٥
٤.آتي تحت العرش فأخرّ ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع رأسك وقد تسمع واشفع تشفّع، ١٤١
٥.آجال البهائم كلّها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها، ٣٩٨
٦.أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟!، ١١٥
٧.ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، ١٦٢
٨.إذا أدخل أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار جيء بالموت في صورة كبش، ٣٥٩
٩.إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني مناد: يا رسول الله إن الله جلّ اسمه قد أمكنك من مجازاة محبّيك ومحبّي أهل بيتك، ٢١٨
١٠.إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، جيء بالموت فيذبح، ٣٥٩
١١.إذا صار أهل الجنّة في الجنّة ودخل وليّ الله إلى جنانه ومساكنه واتّكأ كلّ مؤمن منهم على أريكته حفّته خدّامه، ٢٨٩، ٣٢٢
١٢.إذا قال الرجل لصاحبه: جزاك الله خيراً فإنّما يعني بذلك تلك المنازل، ٣٠٥
١٣.إذا قُمت المقام المحمود تشَفّعتُ في أصحاب الكبائر من أمّتي، ١٦١
١٤.إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر فيدفعه إليّ فأدفعه إلى عليّ، ٢٤٥
١٥.إذا كان يوم القيامة أعطى الله عليّاً من القوّة مثل قوّة جبرئيل، ٢٤٥
١٦.إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد... وقيل للعالم: قف تشفّع، ٢٣٢

١٧.إذا كان يوم القيامة تُقاد جهنّم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد، ٣٢٨
١٨.إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فتغشاهم ظلمة شديدة، ٢٢٩
١٩.إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد من الأولين والآخرين عراة حفاة، فيوقفون على طريق المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً، ٢٥٧
٢٠.إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستّ صور، فيهنّ صورة أحسنهنّ وجهاً، وأبهاهنّ هيئةً، وأطيبهنّ ريحاً، وأنظفهنّ صورةً، ٢٨٨
٢١.اذكروني بالطاعة والعبادة، أذكركم بالنِعم والاحسان والراحة والرضوان، ١٩٥
٢٢.إذن لا أرضى وواحد من أمّتي في النار، ١٩٨
٢٣.أرأيت أم أيمن؟ فإنّي أشهد أنّها من أهل الجنّة وما كانت تعرف ما أنتم، ٧٤
٢٤.أرأيت إن كان لرجل خيل غرّ محجلة في خيل دهم، فهل لا يعرف، ١٤٤
٢٥.أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيتي، ٢١٩
٢٦.أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، ٣٣٧
٢٧.ارتعوا في رياض الجنة، ١٩٤
٢٨.أرِد أنا وشيعتي الحوض رواءاً مرويّين مبيضّة وجوههم، ٢٦٨
٢٩.أشفع لأمّتي حتى يناديني ربّي: أرضيت يا محمّد؟، ١٩٧
٣٠.الإصرار هو أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدّث نفسه بتوبة، ١٦٨
٣١.أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت، ٢٩٩
٣٢.الأعراف: كثبان بين الجنّة والنار، والرجال: الأئمّة صلوات الله عليهم، ٥٩
٣٣.أعلاها: الجحيم يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها، ٣٥١
٣٤.أفترى مَن لا تجوز شهادته في الدُّنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته، ٣٥
٣٥.ألا أنبئكم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، ٢٣٤
٣٦.ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، ١٤٨، ٢٢١

٣٧.ألا إنهم شباب لا يهرمون، وأصحّاء لا يسقمون، وأغنياء لا يفتقرون، ٢٢٤
٣٨.ألا تخبرني مَن سكّان الباب السابع، ٣٥٢
٣٩.ألا فليذادنّ رجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضالّ، ١٤٤
٤٠.ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ٧٩، ٨٠، ١٣٩
٤١.ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ١٣٩
٤٢.إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيّتك جاحد، ولا بأمرك مستخفٌّ، ١٣١
٤٣.إلهي وسيدي بمنزلتي وقربي منك وكرامتي عليك إلا ما استجبت لطلبي، ١٣٢
٤٤.أما علمتِ أنّ الثوب يسبّح فإذا اتّسخ انقطع تسبيحه، ٣٩٣
٤٥.أما والله ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقاً، ولكنهم يؤتون بنوق من الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها، رحالها الذهب وأزمّتها الزبرجد، ١٩٠
٤٦.إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي عليّ، يسقي منه أولياءه، ٢٦٦
٤٧.أمّا أبواب الجنّة فعلى أوّل باب منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، ٣١٢
٤٨.أمّا إذا سألتموني عنه فسأخبركم: إنّ الحوض أكرمني الله به وفضّلني على مَن كان قبلي من الأنبياء، ٢٥٨، ٢٦٣
٤٩.أمّا الجنان المذكورة في الكتاب فإنّهنّ جنّة عدن وجنّة الفردوس وجنّة نعيم، ٢٩٦
٥٠.أمّا باب الصبر فبابٌ صغير مصراع واحد من ياقوتة حمراء لا حلق له، ٣١١
٥١.أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبيّ بعدي، ١٧٩
٥٢.أمّا هؤلاء فإنّهم في حفرتهم لا يخرجون منها، فمن كان منهم له عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فإنه يخدّ له خدّ إلى الجنّة التي خلقها الله، ٧٤
٥٣.أُمّتي ترِد عليَّ الحوض على خمس رايات: أوّلها: راية العجل فأقوم فآخذ بيده فإذا أخذت بيده اسودَّ وجهه، ورجفت قدماه، ٢٤٠
٥٤.إن اثني عشر رجلاً من المنافقين اجتمعوا على أمر من النفاق وائتمروا به، ١٢٥

٥٥.إن الله عزّ وجلّ قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً، ١٨٦
٥٦.إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفّع فيهم حتى يبقى خادمه، ٢٣٢
٥٧.إن النار تأكل كلّ شيء من ابن آدم إلا موضع السجود، ١٩٤
٥٨.إن الناس يعبدون الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه، فطبقة يعبدونه رغبة، ١٠٠
٥٩.إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ٢٣٤
٦٠.إن رسول الله صلّى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، ١٦٨
٦١.إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي، ١٦٠
٦٢.إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً، ١٠١
٦٣.إن لأهل الإيمان علامات يعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، ٢٣٤
٦٤.إن لكلّ نبيّ دعوة مستجابة فتعجّل كلّ نبيّ دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي، ١٦٠
٦٥.إن للجنة ثمانية أبواب، باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، ١٣٨، ٢٣٠
٦٦.إن للمؤمنين خطايا وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد، ٢١٠
٦٧.إن مع العزّ ذُلاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شيء رقيباً، ٢٢٩
٦٨.إن موسى لما ذهب إلى ربّه استخلف هارون وإني أستخلفك بعدي.
٦٩.أنا ذلك المؤذّن، ٤٣
٧٠.أنا سيّد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقرّبين، وأوصيائي، ٢٦٦
٧١.أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة وأوّل شافع وأول مشفّع، ١٦٣
٧٢.أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ٢٠٩
٧٣.أنا على حوض أنتظر مَن يرِد عليَّ فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أُمّتي، فيُقال: لا تدري مشوا القهقراء، ٢٦٠
٧٤.أنا فرطكم على الحوض فمَن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني ثمّ يُحال بيني وبينهم، ٢٦٠
٧٥.أنا فرطكم على الحوض ليرفعنّ إليَّ رجالٌ منكم حتّى إذا أهويتُ لأناولهم ماء

الحوض، اختلجوا دوني، فأقول ربّي أصحابي، ٢٦٠
٧٦.أنا مع رسول الله ومعي عترته على الحوض، فمَن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بعملنا، فإنّ لكلّ أهل بيت نجيباً، ٢٦٦، ٣٠٥
٧٧.أنا وأهل بيتي مطهرون منالذنوب، ١٨٦
٧٨.أنا يعسوب المؤمنين، وأنا أوّل السابقين، وخليفة رسول ربّ العالمين، وأنا قسيم الجنّة والنار، وأنا صاحب الأعراف، ٦٠
٧٩.أنت أخي ووارثي، ٣١٥
٨٠.أنت أوّل مَن يدخل الجنّة؛ فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك؟ قال: نعم، لأنّك صاحب لوائي في الآخرة، ٢٤٧
٨١.أُنزلت في هذه الأمّة، والرجال هم الأئمّة من آل محمّد، ٦٠
٨٢.إنك سألت عن الاستطاعة، فهل تملكها من دون الله أو مع الله؟»، ٩١
٨٣.إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، فأمّا المحسنون فما عليهم من سبيل، ١٧٢
٨٤.إنّ أعمال العباد تُعرض على نبيّكم كلّ عشيّة الخميس، فليستحي أحدكم، ٢١
٨٥.إنّ أعمال هذه الأمّة تعرض على رسول الله في كلّ خميس أبرارها وفجّارها، ٢١
٨٦.إنّ التقوى هاهنا ـ وأشار بيده إلى صدره، ٣٨٢
٨٧.إنّ الله أعطاني في عليّ أنه متّكئي بين يديّ يوم الشفاعة، وأعطاني في عليّ لآخرتي أنّه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنّة، ٢٤٢
٨٨.إنّ الله عزّ وجلّ أعطاني نهراً في السماء مجراه تحت العرش، عليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، حشيشها الزعفران، ٣٠٤
٨٩.إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الجنّة خلقها من لبنتين: لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، وجعل حيطانها الياقوت، وسقفها الزبرجد، ٢٨٩
٩٠.إنّ الله عزّ وجلّ نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ٨٣

٩١.إنّ الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجميع الأوّلين والآخرين أتي بجهنّم تُقاد بألف زمام، ٣٢٧
٩٢.إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، ٣٨٢
٩٣.إنّ أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون، ٣٣١
٩٤.إنّ أهل النار يعظّمون النار وإنّ أهل الجنّة يعظّمون الجنّة والنعيم، ٣٣١
٩٥.إنّ أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح من نار، ٣٣٥
٩٦.إنّ أوّل أهل الجنّة دخولاً عليّ بن أبي طالب، ٢٤٧
٩٧.إنّ جبرئيل جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم، ٣٣٠
٩٨.إنّ خيراً نهرٌ في الجنّة مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش، عليه منازل الأوصياء وشيعتهم، على حافّتي ذلك النهر جواري نابتات، ٣٠٥
٩٩.إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أُسري به لم يمرّ بخلق من خلق الله إلاّ رأى منه ما يحبّ من البِشر، ٢٧٩
١٠٠.إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنّة ورأى النار، ٢٧٧
١٠١.إنّ سور الجنّة لبنة من ذهب، ولبنة من فضّة، ولبنة من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر، ٣١١
١٠٢.إنّ عليّاً باب فتحه الله تعالى من دخله كان مؤمناً، ٧٧
١٠٣.إنّ في الجنّة طيوراً كالبخاتي، عليها من أنواع المواشي، تصير ما بين سماء الجنّة وأرضها، فإذا تمنّى مؤمن محبّ للنبيّ وآله عليهم السلام، ٣٢٣
١٠٤.إنّ في الجنّة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أُمّتي من أطاب الكلام، ٣٢٢
١٠٥.إنّ في الجنّة نهراً يُقال له جعفر، على شاطئه الأيمن درّة بيضاء، ٣٠٦
١٠٦.إنّ في النار لناراً يتعوّذ منها أهل النار، ما خلقت إلاّ لكلّ متكبِّر جبّار عنيد ولكلّ شيطان مريد... وكلّ ناصب لآل محمّد، ٣٣٥

١٠٧.إنّ في جهنّم رحىً تطحن خمساً ، أفلا تسألوني ما طحنها؟، ٣٤٠
١٠٨.أنّ لعليّ في كتاب الله أسماءً لا تعرفها الناس، ٤٣
١٠٩.إنّ لكلّ نبيٍّ حوضاً وإنّهم يتباهون أيّهم أكثر واردة وإنّي أرجو أن أكون أكثرهم واردةً، ٢٦٤
١١٠.إنّ للجنّة إحدى وسبعين باباً، يدخل من سبعين منها شيعتي وأهل بيتي، ومن باب واحد سائر الناس، ٣٠٩
١١١.إنّ للجنّة باباً يُدعى باب الريّان، لا يدخل منه إلاّ الصائمون، ٣١٢
١١٢.إنّ للجنّة باباً يُقال له المعروف، ٣١١
١١٣.إنّ للجنّة ثمانية أبواب: بابٌ يدخل منه النبيّون والصدّيقون،، ٣٠٨
١١٤.إنّ للنار سبعة أبواب: باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون، ٣٥٠
١١٥.إنّ لله جنّةً ليس فيها حور ولا قصور ولا لبن ولا عسل بل يتجلّى فيها ربّنا، ٢٩٩
١١٦.إنّ لله لواءً من نور عموده من ياقوت، مكتوبٌ على ذلك اللواء: لا إله إلاّ الله محمّدٌ رسول الله، وآل محمّد خير البريّة، ٢٤٧
١١٧.إنّ ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنّم، وقد أُطفئت سبعين مرّة بالماء ثمّ التهبت، ٣٢٩
١١٨.إنّما خلد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدُّنيا لو خلدوا فيها أن يعصو الله أبداً، ٣٨١
١١٩.إنّهم منّي، فيُقال: إنّك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً، ٢٦٠
١٢٠.إني أكره أن أعبد الله ولا غرض لي إلاّ ثوابه، فأكون كالعبد الطمع المطمع، ١٠١
١٢١.إني سألت ربّي عزّ وجلّ الشفاعة لأمّتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله عزّ وجلّ شيئاً، ١٧٥
١٢٢.إني سمّيت فاطمة لأن الله فطمها وذرّيتها من النار، ٢٣١

١٢٣.أوّل الدِّين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، ٣٨٢
١٢٤.إياكم والمحقّرات من الذنوب، فإن لكلّ شيء طالباً، ١٦٨
١٢٥.أيعجز أحدكم أن يتخذ كلّ صباح ومساء عند الله عهداً، ١٩٢
١٢٦.أين أنت عن العقيق الأحمر والعقيق الأصفر والعقيق الأبيض، فإنّها ثلاثة جبال في الجنّة، ٣٠٦
١٢٧.أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كلّ جديد، ١٤٧
١٢٨.بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، ١٤٤
١٢٩.تُحشر أُمّتي يوم القيامة حتّى يردوا عليَّ الحوض فترد راية إمام المتّقين وسيّد المسلمين وأمير المؤمنين... وهو عليّ بن أبي طالب، ٢٥٩
١٣٠.ترد شيعتك يوم القيامة رواءً غير عطاش، ويرِد عدوّك عطاشاً، ٢٦٨
١٣١.تسنيم أشرف شراب في الجنّة يشربه محمّد وآل محمّد صرفاً، ويمزج لأصحاب اليمين وسائر أهل الجنّة، ٣٠٤
١٣٢.تُعرض الأعمال على رسول الله صلى الله عليه وآله أعمال العباد كلّ صباح، أبرارها وفجّارها فاحذروها، ١٩
١٣٣.تعلّموا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، ٢٢٠
١٣٤.تعلّموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل، ٢٢٢
١٣٥.تعلّموا القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف، ٢٢٢
١٣٦.تُمدّ الأرض يوم القيامة مدّ الأديم ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدمه، ٢١٠
١٣٧.تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملّككها كان ذلك من عطائه، وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملّكك، ٩١، ١١١
١٣٨.ثلاثة يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفّعون: الأنبياء ثم العلماء، ١٩٣، ٢٣٢

١٣٩.ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، ١٨٦
١٤٠.ثمّ إنّ الجبّار يشرف عليهم عليهم فيقول لهم: أوليائي وأهل طاعتي وسكّان جنّتي في جواري، ألا هل أُنبّئكم بخير ممّا أنتم فيه؟، ٣٢٣
١٤١.ثمّ خرجت من البيت المعمور فانقاد لي نهران: نهرٌ تسمّى الكوثر، ونهرٌ تسمّى الرحمة، فشربت من الكوثر، واغتسلت من الرحمة، ثمّ انقادا لي، ٣٠٥
١٤٢.جاء جبرئيل إلى النبيّ في ساعة ما كان يأتيه فيها متغيّر اللون، ٢٠٠
١٤٣.جلّ يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك، وسأعلّمك ما تعرفه به ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، ١١٥
١٤٤.الجنّة أشوق إلى سلمان من سلمان إليها، ٢٩٩
١٤٥.حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم، ٢٢
١٤٦.خلقتم للبقاء لا للفناء، ٣٥٨
١٤٧.خُيّرتُ بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمّتي الجنّة فاخترت الشفاعة لأنها أعمّ وأكفى، أترونها للمتّقين، لا ولكنها للمذنبين الخطّائين المتلوّثين، ١٦١
١٤٨.دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن... فعليكم بالقرآن، ١٤٧
١٤٩.دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجدته يبكي بكاءً شديداً، فقلت: فداك أبي وأُمّي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟، ٣٣٨
١٥٠.الدُّنيا مزرعة الآخرة، ٢٨٦
١٥١.الدين واسع، ولكنّ الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم، ٧٤
١٥٢.الذين ارتضاهم لشهادة أن لا إله إلا الله، ١٧٥
١٥٣.رأيت نهراً في الجنّة حافّتاه قباب اللؤلؤ المجوّف فضربت بيدي إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر، ٢٥٤
١٥٤.رضاء جدّي أن لا يدخل النار موحّد، ١٩٨
١٥٥.السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح، ٣١٦
١٥٦.السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ١٤٤

١٥٧.سمّيتني فاطمة وفطمت بي، ٢٣١
١٥٨.سيدي أنا الصغير الذي ربّيتَهُ، وأنا الجاهل الذي علّمته، وأنا الضالّ الذي هديته، ١٣١
١٥٩.شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي، ١٦١
١٦٠.شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدّق قلبه لسانه، ٢٠٩
١٦١.الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيّكم، وأهل بيت نبيّكم، ٢٢٠
١٦٢.شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت، ٢٣٣
١٦٣.صراط بين الجنّة والنار، فمن شفع له الأئمّة منّا من المؤمنين المذنبين نجا، ومَن لم يشفعوا له هوى، ٦٠
١٦٤.الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربّي منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعّني فيه، ٢٢٠
١٦٥.العبّاد ثلاثة، قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفاً فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، ١٠٠
١٦٦.العلماء ورثة الأنبياء، ٣١٥
١٦٧.عليك بالقرآن فإنّ الله خلق الجنّة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصاءها اللؤلؤ، ٢٨٦
١٦٨.فإذا رأى أهل النار أن المسلمين قد أخرجوا منها، قالوا: يا ليتنا كنّا مسلمين وكنّا نخرج من النار، ٢٠٤
١٦٩.فإذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه وأخرج من النار من يريد أن يخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيُعرفون بعلاماتهم، ١٩٤
١٧٠.فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها، ١٣٩
١٧١.فالحدّ لخلقه مضروب وإلى غيره منسوب، ١١٣
١٧٢.فالضعيف من لم يرفع إليه حجّة ولم يعرف الاختلاف، ٧٥

١٧٣.فأمّا النصّاب من أهل القبلة فإنّهم يخدّ لهم خدّ إلى النار، ٧٤
١٧٤.فأمّا في يوم القيامة فإنّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلّ جزاء، ٦٠
١٧٥.فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحّدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، ١٦، ٣٦، ٢١٤
١٧٦.فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله جلّ ثناؤه ولا فخر، ١٨٦
١٧٧.فإنّ ولايتنا هي الجنّة، ٢٩٨
١٧٨.فإنه شافع مشفّع، ١٤٧
١٧٩.فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين: الإقرار بالجزاء، ١٧٣
١٨٠.فبين وارد يومئذ وبين مصروف. فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من يُصرف عنه من محبّينا أهل البيت بكى، وقال: يا ربّ شيعة عليّ، ٢٥٧
١٨١.فرأيت الجنّة وما فيها من النعيم، ورأيت النار وما فيها من العذاب، ٢٧٩
١٨٢.فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً، ٢٨٢، ٣١٧
١٨٣.فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة في ذلك اليوم فرحاً، ٢٨٢، ٣١٧
١٨٤.فمن أحبّ الله عزّ وجلّ أحبّه الله، ومن أحبّه الله كان من الآمنين، ١٠١
١٨٥.فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته، ١٧٣
١٨٦.فهم والجنّة كمَن قد رآها فهم فيها منعّمون، وهم والنار كمَن قد رآها، ٢٩٤
١٨٧.فهو المؤذِّن بينهم يقول: ألا لعنة الله على الظالمين الذين كذّبوا بولايتي، ٤٣
١٨٨.فهو المالك لما ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك، ١١٦
١٨٩.فيؤذن للملائكة والنبيّين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويُخرِجون من كان في قلبه ما يزن ذرّة من إيمان، ١٩٤
١٩٠.فيحاسبه بحسناته وسيّئاته فإما إلى الجنّة وإمّا إلى النار فهؤلاء موقوفون، ٧٧
١٩١.فيقولون لله: يا ربّ هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله..، ١٣
١٩٢.قد أُعطيت الكوثر، نهرٌ في الجنّة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب أحدٌ منه فيظمأ، ٢٥٦

١٩٣.قعرها بعيد، وحرّها شديد، وشرابها صديد، وعذابها جديد، ومقامعها حديد، لا يفتّر عذابها، ولا يموت ساكنها، ٣٣١

١٩٤.قل كل يعمل على شاكلته، على نيّته، ٣٨١

١٩٥.قيعان غراسها قول المؤمن لا إله إلاّ الله، سبحان الله...، ٣١٩

١٩٦.قيل يا رسول الله: من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما، ١٣٩

١٩٧.الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، ... فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبيّة، ٨٢

١٩٨.كفى بالندم توبة، ١٧٣

١٩٩.الكوثر نهرٌ يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، ٢٥٥، ٢٦٣، ٣٠٤

٢٠٠.لا ألفَينّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، كأنه يقول يا رسول الله أغثني، فأقول لا أملك لك، ١٤٣

٢٠١.لا إله إلاّ الله، يقولها العبد الصالح مخلصاً بها، ٢٨٧

٢٠٢.لا تقولوا جنّة واحدة، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: درجاتٌ بعضها فوق بعض، ٣١٠

٢٠٣.لا تكلّموهم ولا تجالسوهم فأعرضوا عنهم كما أمركم الله عزّ وجلّ، ١٧٩

٢٠٤.لا شفيع أنجح من التوبة، ١٣٥

٢٠٥.لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، ١٦٨

٢٠٦.لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، ١٧٣، ١٧٤

٢٠٧.لا يُخلِّد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال وأهل الشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يُسأل عن الصغائر، ١٧٢

٢٠٨.لا يستطيعون سبيل أهل الحقّ فيدخلون فيه ولا يستطيعون حيلة أهل النصب فينصبون، ٧٣

٢٠٩.لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، ١٧٢

٢١٠.لا يشمل بحدّ ولا يحسب بعدّ، ١١٣
٢١١.لا يُعرف ما هناك إلاّ بما هاهنا، ٣١٩
٢١٢.لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه وسنّة من نبيّه وسنة من وليّه. فأما السنة من ربّه فكتمان سرّه، ٢٣٥
٢١٣.لأنّ أعمالكم تعرض عليّ كلّ اثنين وخميس، فما كان من حسن حمدتُ، ٢١
٢١٤.لجهنّم بابٌ لا يدخل منه إلاّ من أخفرني في أهل بيتي، ٣٤٣
٢١٥.لعن الله المنافقين والمخالفين، ١٧٩
٢١٦.لفاطمة وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل: مؤمن أو كافر. فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه إلى النار، ٢٣٠
٢١٧.لكل باب منهم جزء مقسوم، جزء أشركوا بالله، وجزء شكّوا في الله،، ٣٤٢
٢١٨.لكلّ شيء حيلة، وحيلة العيش أربع خصال: القناعة، وبذل الحقّ، ٣١٣
٢١٩.لكلّ نبي شفاعة وأنا خبّأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي يوم القيامة، ١٩٣
٢٢٠.للجنّة باب يُقال له باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون سيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحّب بهم، ٣١٢
٢٢١.لمّا أُسري بي إلى السماء السابعة قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد أمامك ـ وأراني الكوثر، ٢٥٥
٢٢٢.لمّا أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب وربما أمسكوا، فقلت لهم: ما لكم ربّما بنيتم وربّما أمسكتم؟، ٢٨٤
٢٢٣.لمّا أُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: قد أُمرتْ الجنّة والنار أن تُعرض عليك، ٢٧٩، ٣١٢
٢٢٤.لمّا عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنّة فناولني من رطبها فأكلته فتحوّل ذلك نطفة في صلبي، ٢٧٨
٢٢٥.اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد، ١٤٠
٢٢٦.اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، ١٢٨

٢٢٧.لو كشف لي الغطاء ما ازددتُ يقيناً، ٢٩٤
٢٢٨.ليجاء يوم القيامة بقوم معهم حسنات مثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباءً، ١٣٨
٢٢٩.ليخرجنّ قوم من أمّتي من النار بشفاعتي يسمّون الجهنّميين، ١٦١
٢٣٠.ليلة أُسري بي مرَّ بي إبراهيم عليه السلام فقال: مُر أُمّتك أن يكثروا من غرس الجنّة، ٢٨٤
٢٣١.المؤذِّن أمير المؤمنين عليه السلام، ٤٣
٢٣٢.المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى الله بشروطه التي اشترطها عليه، ٢٣٣
٢٣٣.المؤمن مؤمنان، فمؤمن صدّق بعهد الله ووفى بشروطه، ٢٣٣
٢٣٤.ما أولئك منّا ولا نحن منهم، مَن أنكر خلق الجنّة والنار فقد كذّب النبيّ صلى الله عليه وآله وكذّبنا، ٢٧٨
٢٣٥.ما بال أقوام يقولون: إنّ رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشفع، ٢٥٩
٢٣٦.ما جهلت شيئاً! هو والله الذي نحن عليه، ٧٤
٢٣٧.ما خلق الله خلقاً إلاّ جعل له في الجنّة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنّة الجنّة وأهل النار النار نادى منادٍ، ٢٨٢، ٣١٧
٢٣٨.ما عفا الله عنه فهو أعزّ وأكرم من أن يعود إليه في الآخرة، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة، ١٥٨
٢٣٩.ما لكم تسوءون رسول الله صلى الله عليه وآله؟!، ٢٠
٢٤٠.ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله، ٢١١
٢٤١.ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشفاعة، ١٧٣
٢٤٢.ما من طير يُصاد في برٍّ ولا بحر ولا يصاد شيء من الوحوش إلاّ بتضييعه التسبيح، ٣٩٨

٢٤٣.ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، ١٧٣
٢٤٤.ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، حصاه الزمرُّد والياقوت..، ٢٦٣
٢٤٥.مت يهوديّاً أو نصرانيّاً، ٨٢
٢٤٦.مَن أحبّ عليّاً وأطاعه في دار الدُّنيا، ورد عليٌّ الحوض غداً، وكان معي في درجتي في الجنّة، ٢٦٦
٢٤٧.من أحيا أرضاً مواتاً فهي له، ٣١٨
٢٤٨.من أدخل على مؤمن سروراً فقد سرّني، ومن سرّني فقد اتّخذ عند الرحمن عهداً، ومن اتّخذ عند الرحمن عهداً فلا تمسه النار، ١٩٢
٢٤٩.مَن أراد أن يتخلّص من هول يوم القيامة فليتولَّ وليّي، وليتّبع وصيّي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب، ٢٦٥
٢٥٠.من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة، كلّ باب منها أشدّ حرّاً من الذي يليه سبعين ضعفاً يُساق أعداء الله إليها، ٣٣٤
٢٥١.من تعلّم القرآن فاستظهره فأحلّ حلاله وحرّم حرامه أدخله الله به الجنّة وشفّعه في عشرة، ٢٣٢
٢٥٢.من جاء بالصلوات الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينقص منها شيئاً، جاء وله عند الله عهد، ١٩٢
٢٥٣.من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاءه منكراً لحقّنا، جاحداً لولايتنا، أكبّه الله تعالى يوم القيامة في النار، ٨٠
٢٥٤.من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً، ١٧٣
٢٥٥.مَن صلّى عليَّ ولم يصلِّ على آلي لم يجد ريح الجنّة، وإنّ ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام، ٣٢٤
٢٥٦.من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعفّى نفسه بالصيام، ٢٣٤

٢٥٧.من عرف نفسه فقد عرف ربّه، ٣٢٠
٢٥٨.من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، ١٩٤
٢٥٩.من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، ١٧٢
٢٦٠.مَن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة... من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوبٌ في جبينه آيس من رحمة الله، ٢٨٨
٢٦١.من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ١٣٩
٢٦٢.من مات ولم يحجّ حجّة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحجّ أو سلطانٌ يمنعه فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً، ٨٣
٢٦٣.من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله، ١١٣
٢٦٤.نحن الأعراف نعرف أنصارنا بأسمائهم، ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف، ٦١
٢٦٥.نحن الأعراف. من عرفنا دخل الجنّة، ومَن أنكرنا دخل النّار، ٦٠
٢٦٦.نحن الأمّة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، ٣٦
٢٦٧.نحن الأمّة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه، ٢١٥
٢٦٨.نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صواباً، ٢٣٠
٢٦٩.نعم يا سعد والصلاة تتكلّم، ٢٢٤
٢٧٠.نهرٌ أكرمني الله به، ٢٥٤، ٢٦٢، ٣٠٤
٢٧١.نهرٌ في الجنّة عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، شاطئاه... خصّ الله به نبيّه وأهل بيته دون الأنبياء، ٢٥٥
٢٧٢.هؤلاء يدخلون الجنّة بأعمال حسنة وباجتناب المحارم التي نهى الله عنها ولا ينالون منازل الأبرار، ٧٣، ٧٨
٢٧٣.هذا يشهد أنّي رسول الله فسبّح الحصاة في يده وشهد أنّه رسول الله، ٣٩٤
٢٧٤.هل لأحد على ما عمل ثواب على الله موجب إلّا المؤمنين، ٧٨

٢٧٥.هو والله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ٢٠
٢٧٦.هو يومٌ تُعرض فيه الأعمال على الله وعلى رسوله وعلى الأئمّة، ٢١
٢٧٧.وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلاّ الله عمّا حرّم الله عزّ وجلّ عليه، ٢٨٧
٢٧٨.وإذا رأيت كرمك طمعتُ، فإن عفوتَ فخير راحم وإن عذّبتَ فغير ظالم، ١٣٠
٢٧٩.واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، ٢٢٠
٢٨٠.واعلموا أنّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار، فارحموا نفوسكم فإنّكم قد جرّبتموها في مصائب الدُّنيا، ٣٣٢
٢٨١.واعلموا أنه شافع مشفّع وقائل مصدّق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفِّع فيه، ١٤٨، ٢٢١
٢٨٢.والذي نفس محمّد بيده إنّ في الجنّة لشجراً يتصفّق بالتسبيح بصوت لم يسمع الأوّلون والآخرون مثله، يثمر ثمراً كالرمّان، ٢٧٨
٢٨٣.والله إنّ أعمالكم لتعرض عليَّ في كلّ يوم وليلة، ٢٠
٢٨٤.والله يا عليّ إنّ شيعتك ليؤذَن لهم في الدخول عليكم في كلّ جمعة، وإنّهم لينظرون إليكم من منازلهم يوم الجمعة، ٣٢٤
٢٨٥.وأمّا أهل المعصية فخذلهم في النار، وأوثق منهم الأقدام، ٣٣٢
٢٨٦.وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، ٢٣٢
٢٨٧.وإنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه، ٢٢١
٢٨٨.وحده وحده وحده، ٢٨٦
٢٨٩.وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، ٧٤
٢٩٠.ولا يشفعون إلا لمن ارتضى: قول لا إله إلا الله، ١٧٤
٢٩١.ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّة فسمعتها أذنه ووعاها قلبه، ٧٥
٢٩٢.ولا يكون شهداء على الناس إلاّ الأئمّة والرّسل، فأمّا الأمّة فإنّه غير جائز أن يستشهدها الله تعالى على الناس وفيهم، ٣٦

٢٩٣.ولسوف يعطيك ربك فترضى، الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة، ١٩٩
٢٩٤.ولسوف يعطيك ربك فترضى، هي الشفاعة، ١٩٨
٢٩٥.ومتى ندم كان تائباً مستحقّاً للشفاعة، ١٧٤
٢٩٦.ومزاجه من تسنيم هو أشرف شراب في الجنّة يشربه محمّد وآل محمّد؛ وهم المقرّبون السابقون، ٣٠٣
٢٩٧.ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ١٤٧
٢٩٨.وهم الأمّة الوسطى وهم خير أمّة أخرجت للناس، ٣٧، ٢١٤
٢٩٩.وهو الشهيد، والشهداء هم الرسل عليهم السلام، ٣٣
٣٠٠.ويحك يا أبا أيمن! أغرّك أن عفّ بطنك وفرجك، أما لو علمت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله، ٢١١
٣٠١.ويشهق أهل النار شهقةً لو كان أحد يموت من شهيق لماتوا، ٣٦٠
٣٠٢.ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها، ٣٣٩
٣٠٣.ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار، ٢١٦
٣٠٤.يا أبتاه أين ألقاك يوم الموقف الأعظم ويوم الأهوال ويوم الفزع الأكبر؟، ٢١٨
٣٠٥.يا أيها الناس والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويباعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به، ١٠٢
٣٠٦.يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً، فقال: يا محمّد قد وضعت منافخ النار، ٣٣٠
٣٠٧.يا حليم يا كريم يا حيّ يا قيّوم... أين سترك الجميل، ١٣٠
٣٠٨.يا داود أعمالكم عُرضت عليَّ يوم الخميس فرأيت لك فيها شيئاً فرّحني، ٢١
٣٠٩.يا عائشة إغسلي هذين البردين،، ٣٩٣
٣١٠.يا علي أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، ١٩٠
٣١١.يا عليّ أنت أخي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيَّ بعدي؛ أما علمت يا عليّ أنّه أوّل مَن يدعى به يوم القيامة يدعى بي، ٢٤٣

٣١٢.يا عليّ أنت أخي ووزيري وصاحب لوائي في الدُّنيا والآخرة، وأنت صاحب حوضي، مَن أحبّك أحبّني، ومَن أبغضك أبغضني، ٢٦٥
٣١٣.يا عليّ أنت أوّل من يدخل الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد، وهو سبعون شقّة، الشقّة منه أوسع من الشمس والقمر، ٢٤٦
٣١٤.يا عليّ إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ أُمّتي تغدر بك من بعدي، فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ لهم، ٣٤٠
٣١٥.يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي، ٢٥٥، ٣٠٤
٣١٦.يا عليّ إنّك والأوصياء من بعدك أعراف بين الجنّة والنار، لا يدخل الجنّة إلاّ من عرفكم وعرفتموه، ولا يدخل النار إلاّ من أنكركم وأنكرتموه، ٦٠
٣١٧.يا عليّ إنّه لمّا أُسري بي رأيت في الجنّة نهراً أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأشدّ استقامةً من السهم، ٢٧٨
٣١٨.يا عليّ إنّي سألت ربّي فيك خمس خصال فأعطانيها: أحدها أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر مكتوبٌ عليه: المفلحون، ٢٤٥
٣١٩.يا عليّ كأنّي بك وقد دخلت الجنّة وبيدك لوائي وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه، ٢٤٧
٣٢٠.يا عليّ إن الوفد لا يكون إلا ركباناً، أولئك رجال اتقوا الله فأحبّهم، ١٩٠
٣٢١.يا همّام إنّي أجد صفتهم في كتاب الله المنزل، إنّهم حزب الله وأنصار دينه وشيعة وليّه، وهم خاصّة الله من عباده ونجباؤه من خلقه.، ٣٠٢
٣٢٢.يامحسن يا مجمل يا منعم يا مفضل، لستُ أتّكل في النجاة من عقابك على أعمالنا، بل بفضلك علينا، ١٣٠
٣٢٣.يجتمعون في مواطن يستنطق فيه جميع الخلق فلا يتكلّم أحد إلاّ من أذِنَ له الرحمن وقال صواباً، ١٤، ٢١٣
٣٢٤.يحشر المرء على ما مات عليه، ١٤٥
٣٢٥.يخرجون من النار بعدما دخلوا، ٢١٩

٣٢٦.يسمع في بطن أمّه، فإذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوباً، ٢٣

٣٢٧.يشفع الشهيد في سبعين إنساناً من أهل بيته، ٢٣٢

٣٢٨.يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء، ١٤٣

٣٢٩.يقول الله تعالى: ولاية عليّ بن أبي طالب حصني فمَن دخل حصني أمِنَ من عذابي، ٢٨٧

٣٣٠.يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً وتؤمر الشمس فتركب على رؤوس العباد ويُلجمهم العرق، ٢٠٨

٣٣١.ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: وقور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، ٢٣٥

فهرس المصادر

١. **آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ١٤٢**

تأليف: الإمام المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٢. **الإلهيّات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، ٣٥**

الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن مكّي، دار الأميرة، ط٦، بيروت، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

٣. **أمالي الصدوق، ١٦١، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٩، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣١**

الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.

٤. **أمالي الطوسي، ٢٢، ٢٣١، ٢٥٨، ٢٨٧، ٢٦٣، ٣٣١**

محمّد بن الحسن أبو جعفر الطوسي، تحقيق مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٥. **أمالي المفيد، ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٨**

الإمام الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

٦. **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٦، ٣٦٧**

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧. **أوائل المقالات، ٤٩، ١٥٥، ٢٧٣، ٣٥٦**

للشيخ المفيد، تحقيق إبراهيم الأنصاري، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٤٣، ٨٠، ٨٣، ٩١، ١٤١، ١٦٣، ١٩٣، ٢١٨- ٢٢٠، ٢٣٠- ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٥٣-٢٥٩، ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٨١- ٣٨٤، ٣٩٨**

العلاّمة المجلسي، دار التعارف، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٩. **بحث حول الإمامة، ٢٤**

السيّد كمال الحيدري، بقلم جواد كسّار، دار فراقد، ط١، قم، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

١٠. **بحوث في الملل والنحل، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١**

دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، تأليف: جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١١. **البرهان في تفسير القرآن، ١٧٣، ١٨٦، ٣٠٣**

تأليف: العلامة المحدّث السيد هاشم البحراني، حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

١٢. **بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليه وآله، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٦٠**

محمّد بن الحسن بن فرّوخ، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ.

١٣. **تأويل الآيات الظاهرة، ٣٠٣**

شرف الدِّين علي الحسيني الاسترابادي، منشورات مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم.

١٤. **التبيان في تفسير القرآن، ١٢٦، ١٦٣**

أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥. **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور التونسي، ٣٤٨**

تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

١٦. **تحف العقول عن آل الرسول، ١١١**

الشيخ الثقة ابن شعبة الحرّاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٧. **تذكرة الموضوعات، ٣٩٣**

١٨. **تسنيم، تفسير القرآن، ١٠١**

المفسّر الحكيم آية الله جوادي آملي.

١٩. **تفسير ابن كثير، ١٤١**

٢٠. **تفسير الصافي، ١٩٩**

تأليف: أستاذ عصره ووحيد دهره المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٢١. **تفسير الطبري المسمّى جامع البيان في تأويل القرآن، ١٧٨**

لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، منشورات دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨ هـ.

٢٢. **تفسير العياشي، ٣٣، ٣٧، ٦٠، ٧٣، ٧٨، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٩٠، ٣٢٤**

محمّد بن مسعود، الأعلمي، بيروت.

٢٣. **تفسير الفرات، ٦٠، ٦١، ١٩٩**

٢٤. **تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار، ٤٦**

تأليف الشيخ محمّد رشيد رضا، وهي مجموعة الدروس التي أخذها عن أستاذه الشيخ محمّد عبده، تعليق وتصحيح: سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.

٢٥. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، ١٧٩، ١٨١، ١٩٨

٢٦. تفسير القرآن الكريم، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٦

صدر الدِّين الشيرازي، تصحيح محمّد خواجوي، انتشارات بيدار، قم.

٢٧. تفسير القمّي، ١٢، ١٣، ٦٠، ١٨٩، ١٩٠، ٢١٠، ٢١١، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٥١، ٣٥٩

أبو الحسن عليّ بن إبراهيم (من أعلام القرنين ٣ و ٤ هـ)، منشورات مكتبة الهدى، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ.

٢٨. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ١٥، ٣٠، ٤٨، ٥١، ٥٥، ١٠٣، ١١١، ١٣٥، ١٤٠، ١٤١، ١٥٣- ١٦٢، ١٦٨، ١٧٦، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٧، ٢١٥، ٢٥٢- ٢٥٤

الإمام الفخر الرازي ط٢. طهران، عن منشورات محمّد علي بيضون، نشر كتب السنّة والجماعة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٩. التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ٦١، ٣٢٣

٣٠. تفسير مقاتل بن سليمان، ١٨٠

دراسة وتحقيق: د. عبد الله محمود شحاته، دارإحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢٣.

٣١. تفسير نور الثقلين، ١٦، ٣٥

عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق هاشم الرسولي المحلاّتي، مطبوعات إسماعيليّان، قم، ط٤، ١٤١٢هـ.

٣٢. التنقيح في شرح العروة الوثقى للسيد الخوئي، ٨١

٣٣. التوحيد ، ١١٥، ٢٧٨، ٢٨٧

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، تحقيق علي أكبر الغفاري، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٣٩٨هـ.

٣٤. **التوحيد، بحوث في مراتبه ومعطياته، ١١٠، ١١٣، ١١٦، ١٢٤، ٣٤٩**
السيد كمال الحيدري، تقرير: جواد علي كسار، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.

٣٥. **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ٢٨٢، ٣١٨، ٣٣٨**
محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٩م.

٣٦. **جامع السعادات، ٢٢٩، ٣٧٨، ٣٧٩**
محمّد مهدي النراقي، تعليق وتصحيح محمّد كلانتر، مطبعة النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٣٧. **الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكوّنات وغرائب الآيات الباهرات، ١٤٥**
تأليف: الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٩١م.

٣٨. **حقائق التأويل في متشابه التنزيل، ٢٧٣**
السيد الشريف الرضيّ (ت:٤٠٦هـ)، شرح وتحقيق: محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

٣٩. **حقّ اليقين، ٢٧١، ٢٧٢**

٤٠. **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ٩٣، ٢٧٣**
صدر الدين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١. **الخصال، ١٣٨، ١٨٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٦٦، ٢٨٩، ٣٠٩، ٣٤٠، ٣٥٠**
للشيخ الجليل الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي.

٤٢. **الدر المنثور في التفسير المأثور، ١٣٨، ١٧٤، ١٧٩، ١٨١، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٨- ٢١٠**

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٤٣. **الرسائل التوحيديّة، ٨، ١١**

محمّد حسين الطباطبائي، المؤسسة العلمية والفكرية للسيد الطباطبائي، قم، ١٩٨٦ م.

٤٤. **رسالة اعتقادات الصدوق، ٤٨، ٢٧٢**

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، طبعة المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣هـ.

٤٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٤٣، ١٠٨، ١٢٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٦، ٢٠٥، ٣٤٧**

أبو المعالي شهاب الدِّين محمود بن عبدالله البغدادي الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر، بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي.

٤٦. **سنن ابن ماجة، ١٦١، ١٩٤**

٤٧. **سنن أبي داود، ١٦١، ٢٣٢**

٤٨. **سنن الترمذي، ١٦١، ٢٣٢**

٤٩. **سنن النسائي، ١٩٤**

٥٠. **شرح تجريد الاعتقاد، ١٥٦**

تأليف: العلامة الحلّي، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: الأستاذ حسن حسن زادة الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران.

٥١. **شرح صحيح مسلم، ١٤١، ١٦٣**

٥٢. **شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد، ٤٩، ٣٥٦**

الشيخ المفيد (مطبوع مع أوائل المقالات)، طبعة قم.

٥٣. **شرح المقاصد، ٢٧٣**

الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدِّين التفتازاني، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، منشورات الشريف الرضي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٤. **شرح نهج البلاغة، ٢٢١**

لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، عُني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدّة نسخ موثوق بها.

٥٥. **شواهد التنزيل للحسكاني، ٤٥**

٥٦. **الشواهد الربوبيّة، ٢٧٦، ٢٩٥**

صدر الدِّين الشيرازي، تعليق جلال الدِّين أشتياني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.

٥٧. **صحيح البخاري، ١٦١، ٢٥٩، ٢٦٠**

٥٨. **صحيح مسلم، ١٦١**

٥٩. **صفات الشيعة للشيخ الصدوق، ٢٣٣**

٦٠. **عدّة الداعي، ١٩٥**

٦١. **عصمة الأنبياء في القرآن، ٣٢، ٢١٢**

السيّد كمال الحيدري، بقلم محمود نعمة الجياشي، دار فراقد، ط١، قم، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ م.

٦٢. **علل الشرائع، ٢٣١، ٢٤٧**

الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

٦٣. **علم اليقين في أصول الدين، ٢٠٤، ٢٧٥، ٢٨٣، ٣٣٤، ٣٥٢**

المولى محسن الكاشاني، دار البلاغة، بيروت.

٦٤. **عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١٧٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٧٨، ٣٣٩**

محمّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤م.

٦٥. **الفتوحات المكية، ٢١٦، ٢٨٣**

محي الدين بن عربي، تحقيق وتقديم: د. عثمان يحيى، تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور.

٦٦. **فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢٦٤**

المناوي، تصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلميّة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٧. **الكافي، ١٩، ٢٠، ٣٦، ٤٣، ٧٤- ٧٨، ٨٢، ١٠٠، ١٠٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٨، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٩٦، ٢٣٤، ٢٣٥، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١**

محمّد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٩٨٦م.

٦٨. **كتاب العرشيّة، ٣٤٣**

صدر المتألّهين، تصحيح وتعليق: فاتن اللبون فولادكار، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦٩. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٧٩، ١٠٧، ١٣٩، ١٦٥، ١٨٤، ٢٨٨**

وهو تفسير القرآن الكريم، للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٢٨هـ): ج ٣ ص ٨٩ الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان.

٧٠. **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ١٥٦، ٣٥٧**

تأليف: العلامة الحلّي، صحّحه وقدّم له وعلّق عليه: الأستاذ حسن حسن

زادة الآملي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران.

٧١. **كنز العمّال، ١٧٥، ٣٩٣، ٣٩٨**

٧٢. **لسان العرب، ٨٧**

العلاّمة ابن منظور، دار إحياء التراث العربي.

٧٣. **مجمع البيان في تفسير القرآن، ١٢، ١٦، ٤٣، ٤٨، ٥٠، ١١٢، ١٤١، ١٥٥، ٢٠٧، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨**

أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت.

٧٤. **مجموعة الرسائل الكبرى، ١٦٤**

٧٥. **مجموعة رسائل فلسفيّة، ٢٩٩**

صدر الدِّين الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٧٦. **المحاسن، ٢٧٩، ٢٩٨**

أحمد بن أبي عبدالله البرقي، الصفوة، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

٧٧. **مستدرك الوسائل، ٣٨٢**

الميرزا النوري، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط٢، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٨. **مسند أحمد، ١٦١، ١٧٥، ٢٠٩، ٢٢٠**

وبهامشه منتخب كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، دار الفكر

٧٩. **المظاهر الإلهيّة، ٢٩٤**

صدر المتألّهين، تحقيق: جلال الدِّين أشتياني، مكتب الإعلام الإسلامي للحوزة بقم.

٨٠. **معاني الأخبار، ٣١٢**

الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرّسين، قم، ١٣٧٩هـ.

٨١. **مفاتيح الجنان، ١٣١**

٨٢. **مفاهيم القرآن، ١٤١، ١٤٢، ١٥٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٩٤، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٣**

الشيخ جعفر السبحاني.

٨٣. **المفردات في غريب القرآن، ٦٧، ٨٧، ١٠٥، ١٣٦، ١٣٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٥٨، ٣٩٠، ٣٩١**

تأليف: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، قم، مصوّر عن طبعة القاهرة، ١٩٤٥ م.

٨٤. **مناقب آل أبي طالب، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣٠٩**

ابن شهرآشوب، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٩٩١م.

٨٥. **منتخب كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، ١٧٥**

٨٦. **من لا يحضره الفقيه، ١٦١**

٨٧. **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٢٢**

لمؤلفه العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره، منشورات دار الهجرة، إيران ـ قم، الطبعة الرابعة.

٨٨. **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢١٧**

٨٩. **موطأ مالك، ١٦١**

٩٠. **الميزان في تفسير القرآن، ٩، ١٣، ١٤، ١٨، ٢٨، ٣٣، ٤٥، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٨٧، ٩٢، ٩٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٢، ١٢٠، ١٢١، ١٢٨، ١٥٣، ١٦٩، ١٨٦، ١٨٨، ١٩١، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٨، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٠**

محمّد حسين الطباطبائي (ت: ١٤١٢هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، مصوّر عن طبعة مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣م.

٩١. **نهاية الحكمة، ١١١**

العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي.

٩٢. **نهج البلاغة، ٧٥، ١٠١، ١١٣، ١٣٥، ١٤٨، ٢٢١، ٢٩٤، ٣٣٢**

ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة الدكتور صبحي الصالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٩٣. **الهدية السنية، ١٤٢**

٩٤. **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ١٦٤، ٢١٦**

تأليف: الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي، طبعة جديدة ومصحّحة ومخرجة الآيات القرآنية الكريمة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات

المبحث السادس عشر: شهداء الأعمال في الآخرة

المراد من شهداء الأعمال ٧
مَن هم شهداء الأعمال ؟ ٨
الشهداء من غير الأنبياء والرسل ١٥
صفات الشهيد والشهادة ١٦
روايات عرض الأعمال ١٩
زمان عرض الأعمال ٢٠
علم الإمام عليه السلام بأعمال الخلائق ٢٣
شؤون المعاش والمعاد أيضاً ٢٦
الآثار المترتّبة على شهادة الأعمال ٢٨
الشهيد على الشهداء ٣٢
الأمّة الوسط وشهادة الأئمّة ٣٤

المبحث السابع عشر: رجال الأعراف في الآخرة

أضواء على المسألة قرآنيّاً وروائيّاً ٤١
ما هو الحجاب والأعراف ؟ ٤٦
صفات أهل الأعراف ٤٩
من هم أهل الأعراف ؟ ٥٨
الحاكميّة يوم القيامة ٦١

المبحث الثامن عشر: دور الاعتقاد بإمامة أهل البيت في الجزاء الأخروي

الطاعة المطلقة والطاعة المقيّدة ٦٥
البعد الفقهي والكلامي لإنكار أمامة أهل البيت ٦٦
شروط حبط العمل مع المشاقّة ٦٨
إنكار إمامة أهل البيت مصداق المشاقّة ٦٩
الإمامة وطبقات المنكرين ٧١
من هو المستضعف؟ ٧٥
قوانين الدخول إلى الجنّة ٧٦
موانع دخول الجنة ٧٨
مصير الجاحد لإمامة أهل البيت عليهم السلام ٧٩
تشبيه الجاحد لإمامة أهل البيت بالكافر ٨١

المبحث التاسع عشر: الشفاعة

الشفاعة لغة ٨٧
الشفاعة اصطلاحاً ٨٨
١. الشفاعة العقلائية ٨٨
٢. الشفاعة في اصطلاح القرآن ٩٠
الشفاعة في نظام التكوين ٩٠
الآيات الدالّة على الشفاعة التكوينية ٩٤
الشفاعة في نظام التشريع ٩٨
المبحث الأول: إثبات الشفاعة التشريعية ١٠٢
آيات الشفاعة التشريعية صنفان ١٠٤

الصنف الأول: الشفاعة مختصة بالله تعالى ١٠٤
الصنف الثاني: ثبوت الشفاعة لغيره تعالى ١٠٧
معالجة التعارض بين الصنفين ١١٠
المبحث الثاني: حقيقة فعل الشفيع ١١٧
الاسم بين اللفظ والعين ١١٩
صفات العبد ١٢٢
ملاحظتان ١٢٤
نظريتان في حقيقة فعل الشفيع ١٢٧
النظرية الأولى ١٢٧
النظرية الثانية ١٣٢
رجوع الشفاعة التشريعية إلى السببية ١٣٣
موارد من الحكومة في القرآن ١٣٤
أثر الشفاعة ١٤١
اتجاهات في تفسير الأثر المترتّب على الشفاعة التشريعية ١٤٢
الاتجاه الأول: إن الشفاعة لدفع العقاب لا لرفعه ١٤٢
الاتجاه الثاني: إن الشفاعة لدفع العقاب ورفعه ١٤٨
الاتجاه الثالث: إن الشفاعة لزيادة الثواب لا لإسقاط العقاب ١٥٤
شرائط المشفوع لهم ١٦٦
المرضيّ عند الله تعالى ١٦٩
الرضا بين الاعتقاد والعمل ١٧٠
إشكال وجواب ١٧٥

شواهد قرآنية ١٨٠
شفعاء الشفاعة التشريعية في الآخرة ١٩٣
١. الأنبياء ١٩٣
٢ . شفاعة النبيّ الأكرم ١٩٤
أرجى آية في كتاب الله ١٩٨
موعظة فيها تذكرة ٢٠٠
الشفاعة والمقام المحمود ٢٠٥
روايات المقام المحمود ٢٠٧
شفاعته صلى الله عليه وآله لا تختصّ بأمّته ٢٠٩
عود على بدء ٢١٦
روايات أخرى في شفاعته صلى الله عليه وآله ٢١٨
تلخيص ٢١٩
٣ . شفاعة القرآن الكريم ٢٢٠
نظرية تجسّم الأعمال ٢٢٥
٤ . شفاعة أهل البيت عليهم السلام ٢٢٩
٥ . شفعاء آخرون ٢٣١
صفات المؤمن ٢٣٤

المبحث العشرون: اللواء وحامله يوم القيامة

الحاجة إلى اللواء ٢٣٩
حامل اللواء ٢٤٤
أوّل من يدخل الجنّة ٢٤٦

المبحث الواحد العشرون: نهر وحوض الكوثر يوم القيامة

ما هو الكوثر ؟ ٢٥١
الكوثر نهر في الجنّة ٢٥٤
حوض الكوثر ٢٥٧
خصائص حوض الكوثر ٢٦١
الاختلاف بين الحوض والنهر ٢٦١
المشتركات بين النهر والحوض ٢٦٢
اختصاص الحوض بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ٢٦٣
صاحب الحوض ٢٦٥
فائدة الشرب من الحوض ٢٦٨

المبحث الثاني والعشرون: هل الجنة والنار مخلوقتان؟

القرآن وخلق الجنّة والنار ٢٧٤
الشواهد الروائيّة ٢٧٧
جنّة الأعمال والاعتقادات ٢٨٠
الدنيا مزرعة الآخرة ٢٨٥

المبحث الثالث والعشرون: حقائق عن الجنة وأهلها

مكان الجنّة والنار ٢٩٣
عدد الجنان ومراتبها ٢٩٥
أنهار الجنّة ٢٩٩
أبواب الجنّة ٣٠٨

الكتابة على أبواب الجنّة ٣١٢
وراثة المؤمنين للجنّة ٣١٤
المراد من وراثة الجنّة ٣١٧
تمايز لذائذ الجنّة عن لذائذ الدُّنيا ٣١٩

المبحث الرابع والعشرون: النار ودركاتها

مجيء جهنّم ٣٢٧
النار ودركاتها ٣٣٣
البرهان على وجود دركات جهنّم ٣٣٦
درجات الذنوب والمعاصي ٣٤٠
كيف يدخل الناس إلى النار ؟ ٣٤٣
العلاقة بين النظام الأحسن وخلق النار ٣٤٦

المبحث الخامس والعشرون: الخلود في الجنة والنار

إجماع الأمّة على الخلود ٣٥٦
معنى الخلود ٣٥٧
الخلود في القرآن والاستثناء منه ٣٦٠
معنى الاستثناء في الآية ٣٦٦
تساؤلات حول الخلود في النار ٣٦٨
الرحمة العامّة والخاصّة ٣٧١
هل الخلود في العذاب يتنافى مع العدل الإلهي ؟ ٣٧٦
خاتمة: مع المجلسي في بحار الأنوار ٣٨٣

الخاتمة: المبحث السادس والعشرون: حشر الموجودات غير الإنسان
شموليّة العودة لغير الإنسان ٣٨٧
الهدف من حشر الموجودات الأخرى ٣٩٢
الفهارس التفصيلية
فهرس الآيات ٤٠٣
فهرس الأحاديث ٤٢٩
فهرس المصادر ٤٤٩
فهرس الموضوعات ٤٦١